مكتبة 1280

رسائل في الأمومة والأنوثة والحياة

تسنيم راجح

راجعه وقدّم له
أ. د. إياد قنيبي

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

رسائل
في
الأمومة والأنوثة والحياة

تسنيم راجح

مكتبة 1280

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى الباحثة عن إجاباتٍ تشفي حيرتها..

تلك التي دمعت عينها وتاقت نفسها مع قراءة نداء ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾..

تلك التي تسعى للتقرّب من قوّة مريم وعزيمة آسية وثبات هاجر وسكينة خديجة..

تلك التي تريد لقاء ربّها بقلبٍ سليم..

تلك التي دعت الله في جوف الليل أن يرزقها رضاه عنها ورضاها عنه وقربه وحسن الظنّ به..

إلى كلّ من تريد السير إلى ربها في كلّ مكان..

هذه الكلماتُ لكِ، اقرئيها وعودي إليها، وشاركيها مع ابنتكِ وأختكِ وصديقتك..

عسى الله ينفعني وإيّاكِ بها..

مكتبة
t.me/soramnqraa

تقديم

الأستاذ الدكتور إياد قنيبي

في زحمة الحياة المادية المعاصرة، وغفلة عموم الناس عن العمل لما خُلقوا له، واضمحلال القيم الفطرية الأصيلة من النفوس ليحل محلها الافتتان بالشعارات البراقة التي تخبئ وراءها أجندات اغتيال كرامة الإنسان لتسهيل استعباده للمنظومة الرأسمالية العولمية..

ما أجمل أن تقع عينك علىٰ كتابٍ مستنيرٍ بنور الوحي، ينادي علىٰ الفطرة، ينتشلها من الركام، ويسعفها لتنبض بالحياة من جديد..

كتابٍ يبني في الفتاة والمرأة المسلمة اعتزازاً بدينها وقوةً في شخصيتها، ووضوحاً في فكرها، وطمأنينة في نفسها، ويُقوي حصن الأسرة أمام الهجمات التي تُشن عليه في هذا الزمان...

كتابٍ تكتبه امرأةٌ معتزةٌ بإسلامها، ناجحةٌ حتىٰ بمعايير أهل الدنيا، قد فُتِحت لها أبواب واسعة لتنافس في الشهادات والتميز المهني وجني الأموال...

لكنها حين أدركت أن ذلك سيكون في حالتها علىٰ حساب الأولويات من اكتساب العلم الذي لا تستغني عنه مسلمة مما ينفعها في علاقتها بربها وبنفسها والناس من حولها، وعلىٰ حساب عنايتها بأسرتها وأطفالها، وَقَفَتْ مع نفسها وقفة صادقة فيما نحسبها، وتذكرت النشأة والمصير، فلم تَفْتَتِن بالدوامة التي ابتلعت عامة الناس، بل استعلت عليها، واستروَحَتْ نسيم الدار الآخرة، فأعرَضَتْ عن المنافسة في الماديات وهي عليها قادرة لا عاجزة، وأعادت ترتيب أولوياتها علىٰ هُدىً من وحي ربها عَزَّوَجَلَّ وهَدْيِ نبيها ﷺ. حتىٰ إذا ذاقت حلاوة الحياة الطيبة، وجميل صنع الله بمن يُقبل عليه، أرادت أن تبث شيئاً من هذه المعاني لإخوانها

وأخواتها وتقول لهم:" هلُمُّوا، فإني وَجَدْتُ ما وعدني ربي حقـًا! حياةً طيبةً أحبها لكم كما أحب الخير لنفسي". فصاغت نداءها هذا في مقالات متتابعةٍ خرج كلٌّ منها من عصارات تجارب ومشاهدات وألمٍ علىٰ ما آل إليه حال الأنثىٰ المسلمة، وأملٍ في أن تُسهم في استنقاذها بطوق نجاة من وحي ربها... ثم ضمَّت نفائسها هذه بين دفتي كتاب.

هذا هو كتاب" رسائل في الأنوثة والأمومة والحياة" للأخت الفاضلة تسنيم راجح، والتي طلبت مني مشكورة الاطلاع علىٰ الكتاب وإبداء الملاحظات عليه والتقديم له. فاستفدت من قراءتي فيه وأبديت ملاحظاتي عليه، وتأملتُ فيه ملامح كرمِ الله إذ يفتح علىٰ مَن يؤْثِرُه سبحانه علىٰ الدار الفانية فيما نحسب الأخت الكريمة.

وقد عزمتُ علىٰ أن أخصص وقتـًا يوميـًا مع عائلتي لنقرأ منه مقالةً كل يوم ونناقشها، لتكون بمثابة وجبةٍ روحيةٍ تحيي الفطرة الأصيلة في نفوسنا، وتضبط بوصلتنا، وتعطي للأمور أحجامها التي أعطاها الله سبحانه. وأنصح إخواني وأخواتي الآباء والأمهات أن يفعلوا الشيء ذاته، كما أنصح بعقد دورات للفتيان والفتيات من هذا الكتاب النفيس ليكون حصانة لفطرتهم في مرحلة عمرية مبكرة أمام هجمات شياطين الإنس والجن والمفتونين بهم.

وختامـًا، أسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الكتاب نفعـًا عظيمـًا ويتقبل من كاتبته ويجعله من أسباب نهضة الأمة وعزها ومجدها الجديد المرتقب. وما كان فيه من توفيق فمن الله سبحانه، فله الحمد وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان فيه من خطأ فمن كاتبته، ونسأل الله أن يعفو عنها وعنا وعن المسلمين أجمعين.

كتبه: أ.د. إياد قنيبي

في ١ شوال عام ١٤٤٤ من هجرة الحبيب المصطفىٰ ﷺ

المقدّمة

هناك بدأت القصة..

فاجأتني تلك القوة التي شعرتُ بها هناك، أمام مكتب مديرة القسم وأنا أطرق الباب، شعرت بطمأنينةٍ لا يعادلها شيء، ثبات واسترخاء، نفسي الأمارة بالسوء وشيطاني كانوا متعجّبين مني!

"لماذا لستِ متوترة؟ ألا تريدين أن تعيدي التفكير في قرارك؟ اهلعي قليلاً! انظري لما تكادين تفعلينه!"

- تفضّل..

كان صوت المديرة مقاطعاً للأفكار التي تجاهلتها..

- مرحباً دكتورة..

- أهلاً تسنيم، تفضّلي..

ما الأمر؟ قلتِ في الإيميل أنكِ تريدين الحديث في موضوع مهمٍّ بعد العطلة..

- نعم، هو مهمّ فعلاً ولم أرد تأجيله أكثر..

في الحقيقة، أنا لا أستطيع الاستمرار معكم كمتدربة في برنامج التغذية والحميات[1]..

- واو! ماذا حصل؟ هذا مفاجئ جداً!

---

(١) كنت قد أنهيت البكالوريوس في التغذية في مدينة فيلادلفيا-بنسلفانيا وقُبِلتُ في برنامج مهمّ في جامعة سانت لويس- ميزوري، وكان هذا برنامجٌ من بضعة قليلين في البلاد يتيح لي تحقيق شرطي تحصيل الرخصة لممارسة المهنة في عامٍ واحد، وهما التدرب لمدة ١٢٠٠ ساعة وتحصيل شهادة الماجستير، فخرّيج بكالوريوس التغذية لا يستطيع في النظام الأمريكي أن ينال الترخيص ليقدم الاستشارات التغذوية ولا أن يعمل كاستشاري في المشافي بدون هذين الشرطين.

- أعلم دكتورة.. وأدرك تماماً أنني أتخلىٰ عن مكانٍ تنافسيٍّ جداً ويحزنني إن كنت أخذت مكاناً كان يمكن لغيري الاستفادة منه، لكني فعلاً لم أعد أستطيع..

لزمنٍ طويل كان كلّ ما أريده من حياتي هو أن أكون أفضل اختصاصيّة تغذية مرخّصة يمكن أن توجد، وقد سَعَيت كثيراً لهذا الهدف بكلّ طاقتي ولسنواتٍ طويلة، اجتهدت لتكون كلّ علاماتي تامّة في البكالوريوس وقمت بالأعمال التطوّعيّة المناسبة لاكتساب الخبرة وحصلتُ علىٰ رسائل التوصية الممتازة من معلميّ، واجتهدت لتكون سيرتي الذاتيّة كاملةً كما رأيتِ، لكنني اليوم لا أريد أيّاً من ذلك ولا أستطيع عيشه، أنا لا أريد إلا أن أكون مع أطفالي، لا أريد أن تفوتني هذه الدقائق معهم، لا أتحمّل أنني أترك ابنتي ذات الشهور القليلة لآتي للجامعة، مع أنّي ما زلت أحب دراستي وأريد إكمال الماجستير معكم، لكن العمل والتدرّب وساعاته وخصوصاً وهو بدوامٍ أكثر من كاملٍ ومع صفوف الماجستير هو ما لا أستطيع إكماله..

- أتفهّم ما تقولينه، العائلة تأتي أولاً بلا شكّ، لكنّ فرصتك الآن في خوض التدريب قد لا تتكرّر، أنتِ تعلمين أنكِ كخريجة جديدة تملكين الفرصة الأعلىٰ في القبول للتدرّب ولأخذ الترخيص، أوراقك الآن مثاليّة حرفيّاً لتكوني في الجامعة التي اخترتيها، بعد ذلك سيكون الأمر أصعب بكثير،[1] وهذا البرنامج من البرامج القليلة في كل الولايات المتحدة التي تتيح لكِ دراسة الماجستير مع القيام بالتدريب في عامٍ واحد فقط..

- صحيح، وأنتم كنتم متفهّمين جداً ومتعاونين معي حين أنجبتُ في مطلع العام الدراسيّ وسمحتم لي بأخذ شهرين إجازة، لكنني لا أستطيع الإكمال الآن، لا أستطيع إلا أن أكون مع أطفالي، كلّ أحلامي المهنية لا أشعر بأنّها شيء أمام أن أكون أفضل أمٍّ لهم، ربما أجرّب حظي مستقبلاً في التقدّم للتدرّب التغذوي مرةً

(١) القبول في التدرّب التغذوي في أمريكا يتم عبر عمليّة معقّدة تسمىٰ "match" أي أنها كالمسابقة، ونسبة القبول فيها هي حوالي ٦٠٪ فقط بحسب موقع All Access Dietetics

أخرىٰ ودخول المنافسة، وأعلم أن فرصتي ستكون أقل، خصوصاً وأنا أنسحب من برنامج مهمٍّ الآن، لكن لا بأس، سأكون علىٰ ما يرام إن شاء الله..

- إن كانت تلك رغبتك..

سأرسل لكِ الأوراق التي عليكِ ملؤها لتنسحبي رسميّاً، وسنتواصل معكِ بشأن بعض التفاصيل الإجرائية بعد ذلك، وستكملين في الماجستير ورسالته، صحيح؟

- نعم، أنا أعمل مع مشرفتي علىٰ الرسالة وآخذ مساقاتي تدريجياً..

- حسناً إذاً، أتمنّىٰ لكِ التوفيق..

- شكراً جزيلاً لكِ دكتورة، أقدّر تفهّمك ودعمكِ جداً، وأعتذر إن كان هذا سيسبّب أي إرباكٍ للقسم..

ومع تلك الكلمات خرجتُ من المكتب، ومن القسم، بارتياحٍ كبيرٍ وسكينةٍ لا أستطيع أن أقول إلّا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ امتنّ عليّ بها..

لم يساورني أدنىٰ شكٍّ بأنني أتخذ الخيار الصحيح لأجل ديني ودنياي وآخرتي، الخيار الصحيح علىٰ كلّ المستويات، لم أعمل في ذاك المنصب التنافسيّ في التدرّب التغذويّ وفي تلك الجامعة المهمّة (والتي كان تواجدي فيها قطفاً لثمار سنوات البكالوريوس الطويلة) إلا لبضعة شهور، لكنّ هذه الشهور كانت كفيلةً بأن أعود لنفسي التي كنت أُسكِتُها طويلاً..

طوال فترة حملي بابنتي التي أنجبت مطلع ذاك العام كان جلّ ما يشغلني هو أسئلة: "كيف سأذهب للجامعة وأكون المتدرّبة التغذويّة وطالبة الماجستير المجتهدة مباشرةً بعد إنجاب طفلتي؟ كيف سأستطيع إرضاعها؟ هل سيسمحون لي بأخذ بعض الوقت بعد الولادة؟ كيف سأستطيع الدراسة والعمل مع بنتٍ رضيعة وطفلٍ صغيرٍ في الثالثة؟" وكان ردّ نفسي الجاهز دوماً: "لا بأس، لقد كنتُ قويةً دوماً وسأكون كذلك الآن، ماذا فيها إن تعبتُ قليلاً؟ لن يضرّني ذلك، هي فترةٌ

محدودة وستمرّ، ابنتي لن تذكر ذلك وابني سيذهب للحضانة، سيكون كلّ شيءٍ علىٰ ما يرام، أنا مجتهدة وأستطيع الإكمال، أهلي وزوجي يساعدونني، هذه آخر خطوة لأحقق هدفي وأنهي هذا الجانب من حياتي، لن أتراجع الآن وقد قبلوني! لا يمكن!"

لكن الواقع كان أعقد من الكلام النظري والأفكار المجرّدة بكثير، لم تكن مشكلتي حين خرجت للعمل وتركتُ طفليّ مع جدّتهم وفي الحضانة هو تعبي أنا، كان التعب جزءاً من الثمن الذي أدفعه طبعًا، لكنّه كان الأقل في تلك المعادلة، كنت أدفع وقتًا ينبغي أن أقضيه معهم، دقائق ثمينة من عمرهم، ذكرياتهم، نظراتهم، ضحكاتهم، أوقاتٌ لهم وتغيّراتٌ فيهم لا يمكن أن تعود ولا أن يعودوا إليها بعد تخرّجي، ابنتي لن تعود ابنة الشهر والشهرين مرةً أخرىٰ أبداً، أول ضحكةٍ وأول مناغاةٍ تفوتني لن يكون بإمكاني استرجاعها حين أتخرّج ولو كنت الأولىٰ علىٰ دفعتي أو أخصائيّة التغذية الأفضل في جامعتي!

وإلىٰ جانب ذلك كنت أعود إلىٰ زوجي وأطفالي في نهاية كلٍّ من أيامي الطويلة لأقابلهم وأنا منهكةٌ لا وجود لأي شيءٍ عندي من الوسع لهم، لم أكن إلا مرهقةً ومستنزفةً تمامًا، نشاطي وقدراتي تذهب بين المرضىٰ وفي الأبحاث وبين الطلاب وفي عدّ الحريرات وتنظيم الوجبات، من مكتب لآخر وبين جدول بياناتٍ وآخر، في هذا الذي كانوا يقولون عنه أنه الحلم، أنّه قمة نجاح طالب التغذية، وأنني كنت محظوظة جداً لأني قُبِلتُ لأعمله في مكانٍ كهذا ومن أول مرة![1]

لكني لم أعد أستطيع إسكات التناقض الصارخ فيّ أكثر، لم أعد أذكر لماذا أفعل هذا الذي أفعله؟ ما الذي أوصلني إلىٰ هنا؟ لماذا أقود سيارتي منذ السابعة صباحًا بابنتي ذات الشهرين إلي بيت جدتها ومن ثم أمضي إلىٰ جامعتي لأعمل وأدرُس

---

(١) لا أبخّس التدرّب التغذويّ وما يتعلّمه الطالب فيه، إنما هي المقارنة والأولويات في هذه الحالة.

حتىٰ الخامسة أو السادسة أو السابعة؟ لماذا؟

سألت نفسي ذاك السؤال وأنا أكلّم أمي وأختي يوماً بعد شهرين فقط من البدء، كنتُ أقول لهم أنّي لا أريد العودة إلىٰ العمل، الأمر صعبٌ جداً، إنه خطأٌ مؤلم وفادح، كلّ شيءٍ أفعله خارج بيتي خاطئ، هذه" التضحية" التي أقدّمها كلّ يومٍ لأجل الأهداف التي لم أعد أستطيع تسميتها، إنها خاطئة جداً ومن كلّ الجوانب، ولا أصدّق أني لم أواجه تلك الحقيقة من قبل!

تلك" التضحية" بأيامي وبوقتي مع عائلتي، لقد كانت خدعةً في حقيقتها، وكان ينبغي أن أتوقف عنها نحو الصواب الذي أحتاج بعض التألم وبعض الصبر لأكفّ عن رفضه!

لقد كنتُ أستطيع (جسديّاً ونفسيّاً) الاستمرار بذاك الطريق، بل وكان يوافق هواي وميولي الأكاديميّة وحبّي لدراستي وللعلوم الصحيّة عموماً وللأبحاث العلميّة وللتعامل مع المرضىٰ ومساعدتهم في تحسين غذائهم أو تخطيط الحمية الأفضل لمرضهم، ولم يكن لديّ أدنىٰ كسلٍ عن الإكمال ولا ضعف همّةٍ عنه، لكنّه كان ينبغي أن يتوقف، كان ينبغي أن أمنعه عن الاستمرار لأيّ لحظةٍ أخرىٰ!

قلتها لهما لأول مرة هناك: أنا لا أستطيع العودة للتدرّب، أنا لن أعود!

لعلّه بدا قراراً عاطفيّاً أو متسرّعاً حينها، أنا نفسي تفاجأت من خروج الكلمات علىٰ لساني، قلت لهما أنني لا أصدق أني أقولها! لكنّ القرار كان حقيقةً يتهيّأ في قلبي لشهورٍ طويلة سبقت، منذ أواخر مرحلة للبكالوريوس ودخولي في دروس العلم ومعرفتي بصحبتي الصالحة وقراءاتنا معاً ومناقشاتنا للدروس والمحاضرات، في فقه النفس ومواد الدكتور إياد قنيبي وكتابات إبراهيم السكران وغيرها، كَبُر التناقض في داخلي حتىٰ سمحت لصوته أن يظهر، ليصرخ أن كفىٰ! الحلّ واضح وسهل وبسيط، لكنّكِ أنتِ من لم تسمحي له بالكلام!

أمّي وأختي جزاهما الله خيراً دعمتا قراري تماماً، وكانتا من القلائل الذين فعلوا ذلك بالإضافة إلىٰ زوجي ولله الحمد، لكن الذي فاجأني هو العائق الكبير الذي واجهني بعد الخطوة الأولىٰ، إنه وحش كلام الناس، كلمات: "يا لضيعانك!"، نظرات: "مسكينة! مضحوك عليكِ!"، والعبارات التي توقظ النفس الأمارة بالسوء: "ماذا إن ندمتِ؟! ماذا إن لم تستطيعي العودة؟!"، "انظري لفلانة التي تطلقت ولا عمل ولا دَخل ثابت لها ماذا أصابها! لا أحد يضمن الظروف!"، "أنتِ كنتِ ذكيّة، كنتِ الأولىٰ في دفعتك! ألم تستطيعي الصبر قليلاً بعد!"، "ألا تخافين أن تتقلّب بك الظروف؟ كيف تضيعين سنين عمركِ سدىً!"

وغيرها الكثير الكثير من كلمات ونظراتٍ وعباراتٍ مخيفة أو مُخجلة، كنتُ أعلم تماماً أنها مُغالِطة، لكنها مع ذلك كانت مؤلمة، ما بال الناس؟ هم يعلمون أني لا أحتاج العمل لأجل الوارد المالي، ويعلمون أني أتخلىٰ عن الذي أتخلىٰ عنه لأجل واجبي الذي لا يمكن لأحد أن يشغله عني، لأجل أن أكون بجانب أطفالي ولأجل الدور الأهم في حياتي، فما المشكلة؟ كيف صار عملي واجباً أو دليل نجاح أو إنجاز بعدما كان شيئاً زائداً قد أقوم به وقد لا أفعل؟ أهذا ما تتعرض له النساء في هذه المواقف؟ كيف؟ ولماذا؟ أيعقل أن شرّ النِسْويَّة الذي كنت أقرأ عنه حقيقيٌ لهذه الدرجة؟ كيف وصل الناس (حتىٰ "المتدينون" منهم) لهذه النقطة؟ كيف صارت هذه الأفكار هي "أعرافهم" و"مسلّماتهم"؟

أسئلة كثيرة كانت تراودني، لكنّها مع ذلك لم تكن تعكّر عليّ الطمأنينة الكبيرة التي رزقني الله إياها بعد ذاك القرار، لقد عادت الحياة لابتسامتي، وجدتُ في نفسي تقديراً عجيباً لكلّ دقيقة مع أطفالي، لكلّ حوارٍ معهم، شعرتُ أن أمومتي لهم بدأت من جديد وشعرتُ أنني استعدت ما رزقي إيّاه ربي، وجدتني أتعجب من جمال صغاري الذي كنتُ غافلةً عنه، أنبهر بأدقّ حركاتهم، وأرغب فوق الوصف بفعل ما يرضي الله معهم وأنا أشعر أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ردّني بفضله إليهم..

لكنّي مع ذلك عزمتُ علىٰ الخوض في ذاك الملف وفي عمق نفسي، للنظر فيما أوصلني وأوصلنا جميعاً إلىٰ هناك، في الحلول الفكرية والعمليّة لهذا الواقع المؤسف، من أين يُغرس في ذهن الفتاة منذ نعومة أطفالها أن كونها أمّاً و زوجةً " فقط" شيءٌ سخيف؟ لماذا وصلتُ أنا إلىٰ تلك النقطة التي كنت أعمل وأعمل وأعمل فيها ولا أملك أي فكرةٍ لماذا؟ ولماذا كان ردّ الناس عليّ بتلك الطريقة؟

وهناك وجدتني أريد أن أتقرب لربّي وأتعرف علىٰ نفسي، أريد أن أفكك المفاهيم المغلوطة فيّ وفي غيري، أريد أن أثبُت وأثبّت غيري من الإناث والأمهات والزوجات، أريد أن أفتح ملفات الأنوثة والأمومة والزواج، أنظر أين ابتعدنا كمجتمعٍ فيها عن وحي ربنا وكيف وصلنا إلىٰ ضنك عيشنا وخسارة أعمارنا..

ومن هناك بدأت أكتب..

مقالاتٌ كنت كثيراً ما أكلّم فيها نفسي قبل غيري، أردتها أن تكون نبراساً ورسائل واقعية وحقيقيّة لكلّ أنثىٰ تصلها، لتقويّها، ولتؤنسها ولتقول لها أنها ليست وحدها، لتقول لها أن هذا الذي تمرّ به من امتلائها بأحلام ليست أحلامها وسعيها لتحقيق طموحاتٍ بعيدةٍ عن غايات وجودها ليس عادياً، أنّ الخروج من الدّوّامة ممكن والعودة للطمأنينة ممكنة، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يراها ويسمع دعاءها ويعلم نيّتها، أنها ليست بحاجة للاستمرار بإثبات نفسها للمعايير المرفوضة، وأن الإجابات فعلاً أقرب إليها مما تظن..

وبعد سنواتٍ من بداية تلك الكتابة ها أنا أجمع بين يدي القارئات والقرّاء مجموعة من تلك المقالات، مجموعةً أظنها تكلّم كل أنثىٰ، تقترب منها وتصدق معها كأختٍ وصديقةٍ تحبّها في الله وتريد لها الخير وإن كانت لم تقابلها، في أنوثتها، حياتها اليومية، تجاربها، إن كانت أماً ففي أمومتها، وإن كانت ذات أسئلة ففي أسئلتها وتفكيك مصادر شبهاتها..

وسبحان الله سبحان الله، لا أعتبر هذا العمل إلا واحداً من البركات والخيرات الكثيرة التي فتح الله بها عليّ مذ تركت العمل الوظيفي وغادرت مكتب المديرة في ذاك اليوم الحاسم، لقد استخدمني الله ووفقني ومنّ عليّ مذ اخترت الخروج من ذاك العالم واختيار ما يرضيه عني (بحسب موقعي ومسؤولياتي ومكاني) في أمورٍ ومجالات لا أستطيع إلا التعجب من كرمه سبحانه عليّ وعظيم فضله بها، لقد عرّفني بمئات الأخوات اللواتي سمعن كلماتي ولمَسْتُهنّ، لقد رأيت الخير القليل الذي أعمله يمتدّ أثره فوق ما أتوقع، لقد أوصلني سبحانه لدروس علمٍ ودوراتٍ نافعة لا أستطيع تخيّل حياتي دونها ولا يمكنني بكلماتٍ قليلةٍ وصف أثرها عليّ، جمعني سبحانه بأفاضل أحسنوا الظن بي وسمحوا لي بالتعاون معهم علىٰ نشر العلم النافع والتأثير في الجيل، بارك لي في وقتي مع عائلتي وأطفالي، وما زلت أرىٰ تلك البركة ولا أملك إلا أن أحمده سبحانه وأشكره وأسأله الثبات والقبول..

ولله الحمد، لله الحمد، لله الحمد..

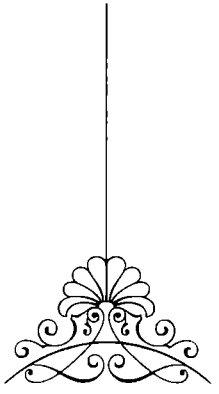

تصويب مفاهيم خاطئة
(مجتمعية/ حداثية/ نِسْويَّة)

لنبدأ بتنظيف الساحة وتهيئتها قبل البناء فيها، إذ تصعب مناقشة الأنوثة والأمومة والزواج وما يتعلق بها دون الاصطدام بكثير من الخرافات والمغالطات التي تقف عوائق للبناء السليم،

بين الخرافات تشكّلت وورثناها في الشرق وأخرى نتجت واستوردناها من الغرب، تيّاراتٌ فكريةٌ كثيرة وأخطاء وإشكالات،

نتناول بعضها ونفككها في هذه المقالات الثلاث والعشرين..

هل أصبحتِ المرأةُ أسعدَ بالفعل؟

تظهر دراسةٌ طويلة عن مؤشرات السعادة عند النساء الأمريكيات أنّها في انخفاض واضح منذ السبعينات، وذلك بصورة عامة وبالمقارنة بالرجال..

يقول الباحثون الذين رصدوا هذا الانخفاض في جامعة بنسلفانيا الأمريكية: "لقد كان تقدّم المرأة عظيماً على كثير من المستويات خلال العقود الأخيرة، لقد زاد التحصيل العلمي والتحكم بالخصوبة والإنجاب، ارتفعت الرواتب وفتحت بوّابات كثير من المهن الرجالية سابقاً أمام النساء، كما خفّف التقدم التكنولوجي من عبء العمل المنزلي، وكل ذلك مكّن من تحرر المرأة في العائلة وفي سوق العمل، وإن كانت هذه التغيّرات تدفعنا لتوقّع ارتفاع موازٍ في مؤشرات السعادة لدى النساء فإننا نجدها انخفضت بوضوحٍ سواءً بشكل مطلقٍ أو نسبياً بالمقارنة بالرجال."[1]

وعنوان هذه الدراسة يعكس التناقض الذي فاجأ الباحثين وهو: "The Paradox of Declining Female Happiness" أي: لغز انخفاض سعادة الأنثى، فهم يرونه لغزاً لأنه بخلاف المتوقع، وهي دراسةٌ انتشرت بشكل كبير، حيث تمت الإحالة عليها حتى تاريخ كتابة هذا الكتاب ٨٥٠ مرة.

وهذه واحدة من عدد من الأبحاث التي رصدت الانخفاض في الرضا عن الحياة بين النساء خلال العقود التي رافقت وتبعت انطلاقة الموجة النِسْويَّة الثانية، تلك الحركة التي غيّرت في فكر النساء والمجتمعات، تلك التي نادت بـ "تحرير "المرأة،

---

(١) الدراسة المشار إليها:
Betsey Stevenson, & Justin Wolfers. (2009). The Paradox of Declining Female Happiness. American Economic Journal: Economic Policy, 1(2), 190–225.
https://eml.berkeley.edu/~cle/laborlunch/stevenson.pdf

تأمين "حقوقها"، إشراكها في سوق العمل، السماح لها بتحصيل دخلها الخاص بها و"استقلالها"، وحشرها في كلّ مكان يوجد فيه الرجل..

لكن إلىٰ أين ذهبت بالمرأة نفسِها؟

هل الشابة التي تركض اليوم بين وظيفتها وحضانة ابنها وبيتها ومجلس صديقاتها أسعد من جدّة جدتّها التي كانت تستيقظ باكراً لتعجن خبز الفطور وتستمتع بعناق أبنائها وتأمّل الابتسامة علىٰ وجوههم ورؤية أثرها في عين زوجها وأسرتها؟

هل المرأة المعرّضة لآلاف الإعلانات والرسائل الإعلامية والاجتماعية عما ينبغي أن تكون عليه ومن ينبغي أن تشبههم ومن عليها أن تسبقهم ومن يضطهدها وما عليها أن تشتريه.. هل هي أسعد من تلك المرأة الريفية التي عاشت قبل بضع عقودٍ وكانت ترقّع بنطال ابنها وتشتاق لعودة زوجها وتطير فرحًا حين يزيد طول صغيرها أو تُنهي بلمستها الخاصة صنع الكعك الذي علمتها أمها؟

المرأة اليوم[1] أُقنِعَت بأن عليها أن تكون كلّ شيء، وبأنها إن لم تكن كلّ شيء فإنها ليست أي شيء! عليها أن تكون ذات الجمال المستحيل، الأناقة العجيبة، مواكبة الموضة، الشهادات العلمية الرفيعة، الثقافة الواسعة، السيرة الذاتية الطويلة.. إلىٰ جانب تلبية رغبتها بالاستقرار والأمومة التي صارت تؤجل لما بعد كل ما سبق!

لكن هل حصلت هذه الفتاة علىٰ السعادة التي وعدوها بها؟

هل نالت شيئًا من بريق "التحرر" الذي زرعوا في ذهنها أنّ عليها السعي دون توقف له؟

لا أقول إن مسؤوليّة انتشار النِسْويَّة تقع علىٰ عاتق النساء وحدهنّ، ولا أدعي أن النساء وحدهنّ من تغيّر أو تأثر بتلك الأفكار بانعزالٍ عن مجتمعات كاملة تمضي

(١) أتحدّث هنا عن المرأة الغربيّة وإن كانت المرأة المسلمة اليوم تستورد ذات الفكر وتتأثر به مع الأسف.

نحو الاستهلاكية والسيولة القيمية[١] في عالم رأسمالي يريد البشر جميعاً تروساً في آلات إنتاجه القاتلة..

لكننا بحاجة للنظر في الأثر العظيم لما يجري علينا كنساء، ما الذي نفعله بنفوسنا حين لا نتوقف مع ما تتم أدلجتنا عليه منذ الطفولة وحتىٰ آخر أيام عمرنا؟ حين يتم تحميلنا أثقالاً ومسؤولياتٍ مضاعفة عمّا حمله أسلافنا تحت مسمّيات التحرّر والتمكين، حين يتم إبعادنا عما نريد ودفعنا لما يجب أن نفعله لنمثّل أحلام وشعارات غيرنا، حين نجد مطالب غيرنا باتت واجباً لا يمكننا أخذ استراحةٍ منه، وحين نرىٰ الاعتراف بكل ذلك موصوماً بالضعف والجهل التخلّف..

وهذا ما يعيدني للدراسة التي بدأت بها، والتي قال الباحثون في ختامها (في نهاية قسم المناقشة/ Discussion): "لعل التغيّرات التي حققها الحراك النسائي أنقصت سعادة النساء، ربما جعلتهنّ يشعرن بأن حياتهنّ لا ترقىٰ للمطلوب منهن، لقد صرن يقارنّ نفوسهنّ بشريحة أوسع وتتضمن الرجال، وربما كانت التعقيدات وزيادة الضغوطات في حياتهن علىٰ حساب سعادتهن".

هم يقولون "ربما"، أما نحن فلا نستغرب أرقامهم ونتائجهم ونحن نقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾!

وسبحان الله ما أضنك العيش بعيداً ذكره...

(١) حيث باتت تعاريف القيم الإيجابية في المجتمعات كالنجاح والسعادة والطموح، والقيم السلبية كالكسل والفشل وغيرها، كلها مبهمةٌ ومتروكة ليملأها صاحب التأثير بما يريده، وبالتالي توجد تعاريف كثيرة لتلك المصطلحات كأنها نسبية بحسب من يؤمن بها.

لسنا في الجنة!

في عالمٍ يرفع قيمة المتعة والتسلية والترفيه ويجعلها الأهداف السامية المطلوبة بين إعلانات "بيت الأحلام" ومسابقة "الحلم" واستضافة أصحاب المتابعات العالية وتصدير من "يتقنون" نشر صورهم للملأ والسفر هنا وتذوق الطعام هناك.. في هذا العالم نجد أنفسنا ابتعدنا عن تلك الحقيقة البسيطة التي تبدو -إن وُضعت وحدها- بدهية يعرفها الصغير والكبير ولا يناقش فيها أحد..

فهل نعرفها ونذكرها فعلاً؟

هل نذكر أننا لسنا هنا لنستمتع؟

أننا لسنا علىٰ هذه الأرض لنتسلّىٰ، ولا لنجمع أكبر قدرٍ ممكن من المال، ولا لنجوب البلاد ولا لنأخذ الصور في كلّ مكان ولا لنستمتع بألذ الأطعمة ولا لنتباهىٰ بما لدينا ولا لنعيش نمط حياةٍ جاء من فلم أو مسلسل ولا غيره..

إنما الأصل أننا في دار ابتلاء، دار العمل والاجتهاد والامتحان، لا الراحة ونيل كلّ ما نريد، ولا التعامل مع ما نريد كحقٍ لنا علىٰ ربنا سبحانه، إنها الدنيا، وصفاتها وحقيقتها هي التي ينبغي أن تحكم علىٰ تعاملنا معها..

ليس "الطبيعي" أن أعيش في لذّاتٍ متتالية ولا أن توظَّف الدنيا لمتعتي ولا أن أقضي عمري جالساً أمام شاشةٍ أو محاطاً بالخدم الذين يلبّون لي كل ما أطلب، وفهم ذلك علىٰ بساطته يحل كثيراً من الإشكالات والشبهات التي قد تمر بنا..

لماذا يسمح الله بوجود الحروب؟ لماذا مرضت؟ لماذا خلقني الله فقيراً وخلق جاري ثريّاً؟ لماذا أمرني الله بما لا أهوىٰ؟ لماذا أعمل وأتعب كل يوم من الصباح وحتىٰ المساء؟ لماذا ينبغي أن أستيقظ من النوم في الليلة الباردة لأقوم وأتوضأ

وأصلّي؟ لماذا يُطلَب مني أن ألبس الحجاب في اليوم شديد الحر؟ لماذا أضطر للتعامل مع صعوبات التربية؟ لماذا ينبغي عليّ أن أجاهد نفسي في البرّ؟ لماذا أجوع وأعطش في الصيام؟ لماذا لم يخلقنا الله جميعاً بذات المستوىٰ من الحسن والجمال؟ لماذا جعل صديقتي أكثر ذكاءً مني؟ولماذا أصير أماً أو أصير أباً ولا أقضي عمري في شقةٍ وحدي أخرج للعمل في النهار والتسكع في الليل ولا أقلق إلا علىٰ جمع مالي وإيجاد طعامي؟!

أسئلة كثيرةٌ إجابتها المباشرة في تذكّر أننا لسنا في الجنة! أننا في دنيا، في مكان الاختبار، وكلّ ما سبق جزءٌ منه، لسنا في دار جزاء ولا ثواب ولا عقاب، والله الذي خلقنا أعلمنا بذلك بكل وضوح فقال: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، والذي يغفل عن هذه الحقيقة ويتعامل مع الدنيا علىٰ أنها الجنة سيُحرم من الجنة الحقيقة الأبدية!

وهذا مهمٌّ في بداية تناولنا للشبهات المتعلّقة بملفّ المرأة، لنتذكّر أننا هنا في اختبار، لا في مكان نيل الأمنيات، والدّين لم يجئ ليحقّق لكلٍّ منّا ما يريده ويعطيه طلباته وأهواءه، وحاشىٰ أن نحاول تغييره لأجل الأهواء، إنما نعلم أن قد توجد أحكامٌ تختبرنا برضانا وتسليمنا بها، وقد توجد أوضاعٌ دنيويةٌ تختبرنا بإحساننا العمل فيها، وقد نجد في طبيعتنا وفي ظروفنا كذلك ما يختبرنا لنعمل بما يرضي الله معها.. وهذا كلّه هو الأصل وهو المتوقّع..

فالحكيم من يرىٰ تلك الحقيقة فيَقدُر الدنيا قدرها ويعرف كيف يتعامل معها وما عليه أن يتوقعه منها، فيستثمر عمره القصير في سبيل دار المقام الأبدي التي هو مقبل عليه دون رجعة، والتي هي فعلاً إما نعيم أبداً وإما جحيمٌ أبداً.. أعاذنا الله منها وجعلنا من أهل فردوسه المكرمين..

هل النِسْويَّة = حماية المرأة / الدفاع عن حقوقها؟

لعل هذا المفهوم من أهمّ ما ينبغي علىٰ المتصدّر في قضايا المرأة توضيحه وتفكيكه، فكثير من القارئات إذا رأين كلمة "نِسْويَّة[1]" كان أول ما يخطر ببالهن أمور مثل "حقوقي"، "رفع الظلم الذي تعاني منه جارتي"، "حل مشكلة العنف الأسري في مجتمعي"، "حل مشكلة صديقتي مع زوجها البخيل"، "حمايتي ممّن يؤذيني"، وغير ذلك من أفكار مطلوبةٍ في إطارها الصحيح، لكن لا علاقة لها بالنِسْويَّة فعليًا!

فالنِسْويَّة اسم عريض لتيار فكري وأيديولوجيا مركبةٍ كبيرةٍ بدأت منذ عقود رداً علىٰ مشاكل كانت في مجتمعاتٍ لا تشبهنا وتطورت لتحتوي أموراً كثيرةٍ لا ترضاها الأنثىٰ المسلمة العاقلة التي يُصوَّر لها أن النِسْويَّة خلاصها الرحيم من مشاكلها..

فالحقوق الوحيدة التي تؤمن بها النِسْويَّة للمرأة هي تلك التي ترىٰ المرأةُ الحداثيةُ الغربية تقدمها فيها، هي التي تجبرُ المرأةَ (وركزوا معي علىٰ كلمة "تجبر") علىٰ منافسة الرجل بأي ميدان هو فيه وبأي ثمن كان، فهي بدأت ببعض المطالب التي رفعتها الغربيات كإتاحة الانتخاب للنساء وكحقهن في التملّك، لكن سرعان ما تطورت تلك المطالب لتفترض أن العدل هو المساواة التامّة بالرجل وبالتالي أصبحت تنتقص ممن يرفض هذه التسوية التامة في الحقوق والواجبات والأدوار.

هذا الفكر جزءٌ أساسيٌّ مما وصل بنا (في مجتمعاتنا المسلمة) لنقول عن ربّة البيت أنها عاطلة عن العمل وغير محققة لذاتها، هو جزءٌ كبيرٌ مما وصل برجالٍ

---

(١) الصواب في تشكيل الكلمة: نِسْويَّة، بكسر النون وتسكين السين، لأنها مشتقة من نِسْوة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾، وقد أشار لهذه النقطة الأستاذ عدنان معتوق في بودكاست: "النِسْويَّة دين بلا إله" https://www.youtube.com/watch?v=KgvcSHbREdE

(مسلمين) ليفضّلوا المرأة "العاملة" حين يبحثون عن الزوجة، وهو ما يجعل الأم التي تجتهد لتربي أطفالها كما يرضي ربها وتكون الزوجة الصالحة التي تعف زوجها والابنة البارة بوالديها والتي تعطي نفسها حقها.. هو ما يجعلها تتلقّىٰ بعض النظرات أو العبارات التي تقول لها أنها قليلةً أمام صديقتها التي تعمل أو تكمل شهادةً أكاديمية، وإن كانت الثانية مقصّرةً بكلّ ما مضىٰ..

كما أنّ هذا الفكر المساواتيّ متطرّفٌ لا يعرف حدّاً ولا ينضبط بضابطٍ لأنه أصلاً هوائي مبنيٌّ علىٰ رغبات أفرادٍ وقادمٌ كردٍّ فعلٍ علىٰ تطرّفٍ سبقه (حيث كانت المجتمعات الغربية تحتقر المرأة فعلاً في القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر) فكان وما يزال انقلاباً عاطفياً مستغَلًّا[1] رافضاً لكل ما له علاقة بالموروث الذي ربطوا به مشاكلهم، ولو تضمّن ذاك قيمَ الأسرة وكثيراً من الأمور الفطرية والبدهيّة والفوارق بين الجنسين في المهام والطبيعة والتربية، حتىٰ قد وصل ذاك الفكر إلىٰ محالفة وتغذية أيديولوجيات الجندر والشذوذ والتحوّل الجنسي.[2]

والذي يعنينا هنا هو أن الفكر النسويّ نتج في مجتمعاتٍ نبذت الدين وقرّرت أنها ستقود حياتها دون ما يمليه عليها خالقها، ووجدت أن أمامها مشاكل متطرّفة عليها

---

(١) وسأوضح في مقالات تالية كيف ناسب تمامًا هوىٰ الرأسمالية وتم استغلاله من قبله.

(٢) وهذا ما حصل فعلًا في الثورة الجنسية في الولايات المتحدة، وهو ما قالته رائدات الموجة النِسْويَّة الثانية، فإن كانت المرأة والرجل متساويين مطلقاً فلماذا ينبغي علىٰ المرأة أن تنجذب للرجل (مثلاً) ولماذا يجب أن تكون هناك فوارق بينهما؟ وهذا ما دعت إليه حركة الشذوذ أو LGBTQ+ التي انطلقت بقوة مع الثورة الجنسية في الولايات المتحدة.

فالنِسْويَّة لا تقول فقط أن هناك حقوقاً مسلوبة للمرأة ينبغي أن تعود، إنما أن المرأة والرجل أصلاً متساويان، والفروق بينهما محض نتاج للتربية، وبالتالي فمن قال أن السويّ في المرأة أن تنجذب للرجل طالما أنه لا فرق بينهما؟ ومن قال أن الرجل لا يمكنه أن يشعر بأنه امرأة طالما هناك هذا الفصل بين البيولوجيا الحقيقية وبين ما ينتجه التفاعل المجتمعي وما يملكه المرء داخله من مشاعر وأفكار؟

بهذا تجد النِسْويَّة في فكر الجندر والشذوذ والتحول إثباتها الذي تريد، ويجدون هم فيها الأساس والمنطلق والدعم والشعبية التي يريدون.

حلّها بالقفز للناحية المتطرفة المعاكسة، وبذلك كلّه هم لا يشبهوننا[١]، وطبيعي أن يكون إسقاط أقوالهم وأفكارهم وحلولهم علينا ومحاولة تطبيقها أو محاكمة حياتنا لها محضَ عبثٍ غير مقبول، وهو بالضبط ما ينتشر في حراك أذرع الأمم المتحدة بيننا علىٰ الأرض وفي نشاط مؤسساتها والشخصيات التي تسير بفكرها وتحاول تطبيق كلامها، كما أنّه منتشرٌ كالوباء في صياغة نشرات الأخبار وفي نتاج الأفلام والمسلسلات العربية وكذلك الإعلانات ومحتوىٰ السوشال ميديا، حتىٰ قد بات ذاك الفكر الممرض عند كثيرين معياراً للخير والشر في قضايا المرأة والأسرة دون لحظة توقّفٍ أو تأملٍ فيه.

فهو فكرٌ يرمي لتغيير بنية المجتمعات وتبديل نظامها، حتىٰ يصير الطبيعي عند الناس هو المساواة المجحفة غير العقلانية، وحتي تسود الفردانية وتركير كلّ فردٍ بإفراطٍ علىٰ حقوقه الخاصّة وتحصيل رغباته من المجتمع، فلا يبقىٰ أي اكتراثٍ من من أفراد المجتمع أو حتىٰ أبناء الأسرة الواحدة ببعضهم، وأمثلة ذلك كثيرةٌ تظهر في ردّات فعل من تأثر بذاك الفكر في مواقف متنوعةٍ تمرّ بنا أو نسمع عنها وتظهر مكنونات النفوس الحقيقية..

علىٰ سبيل المثال تجد من تشرّب الفكر النِّسويّ يتفاعل مع خبر عن أوّل امرأة تعمل في محطة وقودٍ في البلد الفلاني بالإعجاب والتصفيق، وبدلً أن يحرّك المشهد غَيْرته علىٰ المرأة المسلمة المدفوعة بلا شكٍّ دون اختيارها لعملٍ مجهدٍ لا يناسبها، ويلوم رجال أسرتها لتركها لذلك أو المجتمع المسلم ودولته لأنهم لم يكفوا نساءهم يكون ردّه: "واو! أول امرأة تقوم بهذا العمل الذي كنا نظنّه حكراً علىٰ الرجال!"، "نعم، أحسنتِ بالقيام بما تحبينه وعدم الاكتراث بكلام الناس"! ولا تجده يعبأ بالظروف التي جرّت تلك المرأة لذاك العمل الذي لا ينبغي أصلاً أن

---

(١) وإن كانت عندنا مشاكل يظهر فيها ظلمٌ للمرأة فسببها بعدنا عن شريعة ربنا، وهذا لا يُحلّ بمزيد من نبذها.

تتكبّد شقاءه بين السيارات ودخانها وفي البرد والحر..

وبنفس الطريقة حين تأتي امرأة -مثلاً- تعاني من سوء عشرة زوجها وتشتكي ذلك لأصحاب الفكر النّسوي التخريبي لا يكون الجواب بتذكير الزوج بحق الزوجية، ولا بالحديث عن مركزية الأسرة وبناء الحياة الزوجية على إحسان كلٍّ من الزوجين لبعضهما، إنما يكون الجواب: "ولماذا يهمك؟ هو يتجاهل البيت والتربية؟ تجاهليها أنت أيضاً، احصلي على وظيفةٍ واعملي وابحثي عن راحتك أنتِ حتى تتخلصي منه ولا تسألي لا به ولا بأولاده!"

وحين تقول أخرى أنها تضايقت من سخرية الجارة من احتشامها يكون رد ذاك الفكر ومن تأدلج به: "تغطّين جسدك! وهل يغطي الرجال جسدهم مثلك؟ من قال لكِ أنكِ عورة يجب أن تختبئي!"

فثوابتهم غير موجودة، ومساواتهم تناقض حريّتهم الوهميّة، وضلالهم لا يعرف توقفاً..

وحين تقول إحداهنّ: " أتمنى أن أعمل بشهادتي، لكن أرى أولادي أولى برعايتي وتربيتي.."، يكون ردّ هؤلاء: "أطفالك صغار؟ هناك الحضانات، أنت بحاجة لأي عمل لتستقلي وتثبتي ذاتك وتساهمي في المجتمع!"، ليضلّوا المرأة التي كانت تعرف دورها وترضى به ويفسدوا عليها دنياها وآخرتها بكلّ خبث!

وحين تقول أخرى أن أخاها قصّر بنفقتها بعد وفاة زوجها يكون ردّ من شرب ذاك الفكر: "تطلبين منه المال؟! ليتحكّم بك ويُذلّك كما يريد؟! اخرجي! اعملي بنفسك لتشتري ما تريدين وتجدي راحتك!"،

لن يوجّهوا التقريع لذاك "الرجل" على تقصيره بحقّ من يعول، لن يقال لها أنها مكرّمة في دينها غير مطلوب منها أن تكسب فلساً واحداً، لن يذكروا لها أن هذا الوضع الاستثنائي الذي هي فيه هو ابتلاء من ربها، ونتاج انحرافاتٍ مرّت على

أمتها، وعليها فيه أن توازن الأولويات وتجد الحلول الأنسب لواقعها انطلاقًا من دينها وأولوياته ومعاييره، حيث ستكون مأجورةً علىٰ العمل إن عملت ضمن الضوابط الشرعيّة وكفت نفسها وأولادها، لن يقولوا لها أن هذا الوضع ظلمٌ ينبغي رفعه بالعمل علىٰ إقامة شريعة ربها في واقع الناس، لن يرشدها هؤلاء (ولن يكترثوا أصلاً) بما يصلح نفسها ومجتمعها حتىٰ لا تتكرر حالات الظلم لها ولبنات جنسها بل ولعموم المسلمين في مجتمعها..

فأرباب هذا الفكر ومن تأثّر بهم لا يعنيهم أن يعطوا الأنثىٰ الحماية الحقيقية والأمان الصحيح الذي تحتاجه، ومؤسساتهم لن تزيدها في حالات مشاكلها أو لجوئها إليهم إلا اضطراباً وتخبّطًا وهم يعطونها حلولهم الجاهزة المستوردة والتي يريدون إقحامها في حياتها، وهم بكلّ خبثٍ يفكّونها عن أسرتها ومجتمعها، ويستغلّون ظروفها ليغيّروا فكرها ويزيدوا أي بعدٍ يجدونه في مجتمعها عن دينه..

حتىٰ وإن عاش هؤلاء في مجتمعها وانتسبوا لدينها، فإن منطلقاتهم اللّادينية -والتي استسلموا لها وجعلوها قيمًا عليا- هي ما يحكمهم، لتكون إجابتهم المتكررة لها هي أن تثور، أن تتمركز حول نفسها، ألا تسأل بأحد، أن تكون عجلة في ماكينة الفساد المستمر وتبحث عن دنياها التي يصورون بدايتها بأي خروجٍ من بيتها وانخراط في سوق العمل وتكاليفه وفعل أي شيء يطلبه ليصل بها لـ "قوّتها" و"تمكينها"!

وفي أحسن حالاتهم سيكون الذي ينادون به لأيّ امرأة سواء كانت أمام سؤال الوظيفة أو غيره هو أن تفعل ما يمليه عليها هواها، سيقولون: "قومي بخيارك الحر، اختاري الذي تحبينه، تريدين أن تكوني ربة بيتك؟ لا بأس هذا خيارك، تريدين العمل؟ لا بأس أيضًا!" والمشكلة في هذا الكلام أنه يلغي أن بقاءها في بيتها حقٌّ أساسي كفله لها دينها، ويجعل الآوِيَة إلىٰ بيتها لتربي أطفالها قليلةً في نظر المفتونين لأنها "لم تختر" أن تخرج و"تقدم شيئًا" للمجتمع، وبالتالي لا توجد حماية لحقّ

المرأة (الذي منحها إيّاه ربها) بألا تكسب رزقها، لا يوجد أمانٌ مستمرٌّ لها بأن يبرها أبناؤها ويعيلها زوجها ومن ثم أبناؤها حين تكبر ويكبرون، أو الذكور من أهلها إذا عدمت الزوج والأبناء، إنما عليها أن تفعل ما تريده، وهم كذلك بطبيعة الحال سيفعلون ما يريدون!

بينما الجواب علىٰ كل المشكلات التي سبقت وغيرها ليس بتحميل المرأة ما لا تحتمل في سياق "الحقوق" و"الحريات"، إنما بتحميل كل فردٍ مسؤولياته التي أمر الله بها سواء عبر الإصلاح الاجتماعي أو تدخل أهل الفضل أو النصح أو حتىٰ إحداث هيئات متخصصة بالإصلاح الأسري من المنطلقات الصحيحة في هذا الباب[1]..

وإن كان هذا الوسخ الفكريّ والخُبث الاجتماعيّ قريباً منّا يحاول تغيير واقعنا، فإننا لا نيأس ولا نبتئس، بل ندرك تماماً أنها اختباراتٌ من الله لنا وسنّته في أن يتدافع الحق والباطل، لنعمل بما نستطيعه لمواجهته ونختار أين نريد أن نكون في هذه الحرب الفكرية والاجتماعيّة الواقعية التي نعيشها يوماً بيوم في بيوتنا وأسرنا وشوارعنا، بين من يسحبوننا نحو الهاوية بحيلٍ شيطانية برّاقةٍ خدّاعة، وبين نداء فطرتنا وما يعيدنا لديننا الحنيف وشرعنا الرحيم المتوازن الذي ينبغي أن نقيمه ونعلِيَه فينا تربية وإيماناً وعملاً..

وبالله نستعين..

ولننظر في المقالين التاليين مثالان محدّدان لنشر الفكر النسوي الخبيث في وسائل التواصل والرد عليهما..

---

(١) وهذه بدائل مؤقته عن الوضع الإسلامي الصحيح الذي تُلزم فيه الدولة أولياء المرأة بالنفقة عليها وتكفلها إذا عدمت المعيل.

المثال الأول: من صفحة **UN Women Arabic**:

يقول المنشور: "كل الوظائف تصلح للنساء"، و"النساء بمقدورهن فعل أي شيء" وقد أرفقوه بصورة امرأ عابسةٍ بثيابٍ صبيانية في ورشة تصليحٍ وهي تمسك المنشار الكهرباء باستهتار، لسان حالهم يقول: عندك اعتراض؟ هل تجرؤ؟ من أنت لتعترض أصلاً!

ولنرد علىٰ الكلام المرميّ بعنفٍ بالهدوء وننظر.. ما معنىٰ تصلُح؟ يعني يمكنهم رمي المرأة فيها وأمرها بأن تعمل خلالها مثل الرجل؟ ثم ماذا؟

من ناحية مجردة، فمن البدهيّ أن جسد الأنثىٰ مختلفٌ في تكوينه وحاجاته وطاقته وحجم بعض عظامه عن جسد الذكر، وعلىٰ بداهة الأمر إلا أن الدراسات والأبحاث تفصّل فيه من نواحي كثيرة، وهذا ما لا يمكن أن ينكره طبيبٌ ولا مختصٌ تغذويّ ولا مدرّب رياضيٌّ حتىٰ، فحاجة الأنثىٰ الغذائية مختلفة عن حاجة الذكر، نسبة العضلات إلىٰ الشحوم في جسدها مختلفة، كثافة عظامها مختلفة، هرموناتها ومتوسط وزنها وطولها وسرعتها وأكبر وزن يمكنها حمله كلها مختلفة، و طريقة عمل دماغها في كثيرٍ من التفاصيل وتفكيرها وانفعالاتها وذاكرتها مختلفة..

طيب، لننسىٰ كل هذا، ماذا عن ميولها هي، عما تريده فعلاً؟ عن سعادتها ورغبتها (الدنيوية)؟

تظهر الإحصاءات في جامعات الدول الاسكندنافية -التي تقنع الفتيات منذ طفولتهن بالمساواة بين الجنسين وأن بإمكانهنّ عمل كل شيء- أن عدد خريجات كليات الهندسة، الرياضيات، العلوم، والتكنولوجيا (STEM) أقل بكثير من أقرانهن الذكور، حتىٰ إن نسبة الخريجات الإناث في هذه التخصصات تصل في فنلندا والنرويج إلىٰ ١٥٪ فقط.

في الولايات المتحدة أظهرت إحصائياتٌ عام ٢٠١٧ أن ٧٨٪ من خريجي علوم الحاسوب هم من الذكور، بينما ٨٦٪ من خريجي التمريض هنّ من الإناث، في حين أكثر من ٨٨٪ من خريجي الهندسة الكهربائية هم من الذكور.

في المملكة المتحدة وجدت إحصائيات عام ٢٠٢٢ أن أكثر من ٨٧٪ من المختصين النفسيين هن من النساء، بينما يمثل الذكور أكثر من ٩٧٪ من سائقي الشاحنات.[١]

والقائمة تطول.. والاختلاف ليس بسبب "التمييز الجندري" بالمناسبة لأننا رأيناه في ذروته في الدول الاسكندنافية الأكثر التزاماً ودفعاً للمساواة!

والاختلاف ذاته يعني أن هناك ما تتقنه المرأة أكثر من الرجل والعكس، فأين الإشكال في كل ذلك؟

فهذا الكلام ليس "حصراً للنساء في قوالب ضيّقة" كما يُدَّعىٰ ولا هو "منعٌ لهنّ من تحقيق طموحاتهنّ" كما يريد أصحاب تلك الصفحات أن يقنعونا، وليس كما تقول النِّسويات إبقاءً لهنّ علىٰ هامش المجتمع مستسلمات لسلطة الرجال، إنما هو دعوةٌ للعودة للحقائق وللفطرة السليمة ولرؤية طبيعة وسنّة الاختلاف التي اختار الله سبحانه أن يخلقنا عليها، طموح المرأة مختلفٌ عن طموح الرجل، وكذلك قدراتها وطريقة تفكيرها، وليس في ذلك منقصة ولا مهانة، وما ندعو إليه هو أن يُكفَل للمرأة الحق بامتلاك ذاك الطموح، طموح أن تكون أماً، ربة بيت، زوجة

---

(١) المصادر:

https://rb.gy/k4p32
https://rb.gy/xv5wa
https://rb.gy/t0fjw
https://rb.gy/jbbl3
https://rb.gy/3jqct
https://rb.gy/sjy9v

محبةً، أو غير ذلك مما يناسبها وتريده فعلاً، لا أن يُضغط عليها لتنافس الرجل باستمرار ولا أن تُوَجّه منذ طفولتها لتهرب من الاعتراف برغباتها علىٰ الدوام..

المرأة التي يظهر أولئك كقدوة لمجرد أنها هناك تعمل في مهنة مرتبطة تاريخيًا وثقافيًا بالذكور هي خدعةٍ كبيرةٍ يتم حشو أذهان الفتيات بها حتىٰ يعتقدن أن واجبهنّ هو أن ينافسن ويعشن هذا الصراع "الأزليّ" الوهمي الذي يتم إقناعهنّ بأنهنّ ورثنه من غير اختيار ولا قرار..

هل نظنّ فعلاً أن المرأة العاملة في محطة الوقود أو ورشة البناء أو إصلاح السيارات تحبّ مهنتها؟ وإن كانت تحبّها فما نسبة اللواتي يشبهنها فعلاً بين النساء؟ هل اخترن مهنتهنّ لتكون نسبة النساء فيها موازية للرجال؟ هل يعنيهن كل ذلك أم أنّ هناك من بلقنهنّ ما يريد ويضيف لحياتهنّ كلماته الخبيثة فقط؟

لماذا يستمرّون بالكذب علىٰ بناتنا بأن نجاحهن يجب أن يكون بمنافسة هذا الذكر الذي جعلوه المعيار الذي يعلّمونهنّ بغضه والنظر إليه كقدوة في آن معًا؟ أليس للأنثىٰ أي أهداف خاصة كأنثىٰ تسعىٰ إليها عدا عن هزيمته؟ ماذا عن خصوصيتها؟ عن فطرتها؟ عن تقديرها لذاتها بناءً علىٰ ما تتقن ولا يتقن أحدٌ في الكون غيرها؟

لذلك كله نحتاج أخذ خطواتٍ بعيداً عن ذاك الكذب والخداع، لنبحث عن غايتنا ومعنىٰ وجودنا بعيداً عن أيديولوجيا المساواة البائسة، لنبحث عن أهدافنا التي خلقنا الله لها بصدق وتجرد وطلبًا لما هو أبعد من إعجابات الفيس بوك وتعليقات الجمهور و" أول امرأة تفعل.." وغيرها مما يريد تحويلنا جميعًا لأرقام لا قيمة لها ولا كيان، كأن أحداً سيكترث حين تصل المرأة للستين وقد قضت حياتها تثبت للناس أنها" ليست أقل من الرجل" وأنها قادرة علىٰ" هدم الستيريوتايب" و" التحرر" من المجتمع والأعراف والتقاليد و" السلطات الأبوية"!

لن يكترث أحدٌ لكل ذلك حقيقةً، بل إن اعتقاد أن ذاك "الإنجاز" يستحق السعي لهو أمر غريب صعب التصديق بذاته، فهي حياة واحدةٌ وفرصةٌ لا تتكرّر يملكها صاحبها وحده وهو المسؤول عنها في النهاية، لن ينزل القبر معه أحد، ولن يمسك بيده يوم القيامة أحد، ولن يبقىٰ إلا الباقيات الصالحات بعيداً عن الأضواء والتصفيق والأوهام!

المثال الثاني: منشور من صفحةٍ عربية كبيرة والتعليقات عليه:

يتحدث المنشور عن فتاةٍ تعمل علىٰ عربة حلوىٰ تصنعها وتبيعها للمارة، يتحدث عن ساعات عملها الطويلة وتعبها في سياق "أنها تجاهلت استغراب الناس والجدل وكسرت النظرة النمطية للمجتمع" وفي كلماتٍ خطيرةٍ عن أنها "كسرت القيود التي وضعها المجتمع لنظرية حرام وعيب لعمل الشابات"!، وعليه كثيرٌ من التعليقات التي مفادها تشجيعٌ للفتاة واحتفاءٌ بها!

وهنا قد يقال: "وما مشكلتكم مع الأمر! بنت تحاول أن تكسب رزقها رغم كل الظروف! فتريدون أن تهاجموها وتقللوا منها لأجل النمطيات القديمة والأفكار المتوهمة السخيفة التي في بالكم! بالله عليكم اتركوا الناس في حالها!"

ونقول: بغض النظر عن هويّة الأخت التي في الصورة، أريد أن نقرأ الكلام بتمهلٍ ودقةٍ لنرىٰ ما يجري في مجتمعاتنا، وكيف يتم قلب الحق إلىٰ باطلٍ بكل نعومةٍ أما أعيننا وبدون أن ينتبه إليه أحد، كيف تتغير التسميات وتتغير معها المواقف والنظرات، ولننظر ولنحكم علىٰ ما يجري..

لا نريد أبداً مهاجمة الفتاة ولا التقليل منها، لكن الذي يجري هنا هو استغلالها واستغلال الظروف الصعبة التي تمرّ بها النساء والمجتمعات ليقال أن نتاج المعاناة التي تدفع المرأة للعمل في مجالٍ صعبٍ ومرهقٍ هو نموذج لكسر التقاليد والخروج عن ظلم المجتمع وتجاوز "ثقافة العيب والحرام"! لتصير قصةٌ تستحق التعاطف والمساعدة كشيءٍ مرهقٍ ومجحفٍ بحق البنت التي تعمل في الشوارع وتقف علىٰ عربة طعامٍ وعلىٰ رجليها لساعاتٍ طويلةٍ في الحر والبرد وأمام المارة وبعد ساعات وتعب دراستها الجامعية، لتصير هذه القصةُ مثالاً يستحق التصفيق وأن يكون قدوةً تحتذىٰ لكل الفتيات!

بسبب الأيديولوجيا النِسْويَّة الهجينة عن ديننا وشريعتنا تغدو معاناةٌ حقيقية ومثالٌ لتردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وصعوبة المعيشة وغسيل العقول

التي يعاني منها مجتمعٌ ما سبباً للتشجيع والفرح والابتهاج، بسبب الأيديولوجيا التي يملأ أرباب الصفحات العلمانية بها رؤوسنا لا يُلام المجتمع ولا تلام المحرّكات الكبرىٰ التي دفعت بنتاً لتحتاج وتضطر لإعالة أسرتها ونفسها، بل يقال أن هذا الموقف مُواجهةٌ" للجدل" و" تجاهلٌ لنظرات الناس"!

ولا عجب أن تتكلّم البنت ذاتها عن الأمر علىٰ أنه استقلال مادي، فهي جزءٌ من التيار الذي يقنع كل من يمرّ به أن انجرافهم طبيعي وجميلٌ وإيجابي..

لم تقل الصفحة أن البنت تتعَبُ هنا مرغمةً في ظلِّ مجتمعٍ شرب أن علىٰ كلٍّ مسؤولية نفسه فقط، لم يقولوا أنها تمثّل فشل المنظومة التعليمية وتأخر الزواج مع البعد عن النظام الإسلامي الذي ينبغي أن يجعل المجتمع متماسكاً يعتني ببعضه ويكفي فتياته الأعمال المجهدة، بل هي بنظرهم قصةٌ عاديّةٌ جافةٌ ينبغي ألّا تحرّك فينا أي ساكنٍ إلا بعض الفرح بأن مجتمعاتنا "تتحرر" من "ظلم المرأة" الذي كان يجعل العمل علىٰ عربات الطعام "حكراً" علىٰ الرجال فقط!

والأسف كل الأسف علىٰ الذين يذهبون ضحيّةً بطاقاتهم وقدراتهم وفكرهم لهذا السمّ كلّه..

-

وللتنبيه والتأكيد: ليس المقال مهاجمةً للفتاة أبداً، أعانها الله وأغناها عن هذا العمل، لكنه دعوةٌ لفهم الأمور علىٰ حقيقتها ومعرفة الذي يجري من تبديل المسميات وتغيير الأفكار في إطاراتٍ خبيثة لطيفة، حتىٰ يغدو الحق باطلاً والباطل حقاً.. والله المستعان..

كيف كانت النساء قبل النسوية؟

كثيراً ما يقتحم الخطاب النِّسوي مجتمعاتنا وعقول فتياتنا بناءً علىٰ أمرٍ يعتبره مسلّمًا عندنا، وهو أن حال المرأة المسلمة في بلادنا قبل عدة أجيالٍ كان سيّئًا مليئًا بالقهر والضنك، ولذا فإنها في هذا تشبه المرأة الغربيّة التي كانت "أيضًا" في حالٍ سيّئة حتىٰ "ثارت" وحصّلت مطالبها، وصارت -بحسب قولهم- في حالٍ أفضل بكثيرٍ اليوم!

والحقيقة أن حال المرأة الغربيّة ذاتها لم يزدد إلا تردّيًا مع التبدلات الاجتماعية التي أحدثتها النسوية، وبعد أن كانت لها كثيرٌ من الحقوق والميزات والحماية التي تختصّ بها عن الرجل، فإنها تُرِكَت بفعل النسوية لـ"تقاتل" و"تدافع" عن نفسها بعد أن تم إقناع الرجال بأنهم مساوون لها، وبأن حمايتهم لها هي "ذكوريّة سامّة" سيئة!

فباتت مسؤولةً عن نفقة البيت إن تزوّجت كما هو الرجل، وتظهر إحصائيةٌ نُشِرَت عام ٢٠٢٢ من قبل Pew Research Center أن نسبة ٥٥٪ من الأسر المتزوّجة الأمريكية ينفق عليها الرجل وحده أو بشكلٍ أساسيّ، بينما النسبة كانت ٨٥٪ قبل ٥٠ عامًا فقط![1]

وعلىٰ المرأة الغربية اليوم إن لم تتزوّج أن تعمل لتنفق علىٰ نفسها ولو كانت طالبةً جامعيّةً أو غير ذات شهادةٍ، فنجد طالبات الجامعة يتّجهن مضطراتٍ لوظائف ذات راتب قليل أو ما يسمونه "minimum wage" أي الراتب الأدنىٰ في البلاد ليكسبن دخلهنّ، كالعمل في المطاعم والمقاهي ومحلّات الوجبات السريعة غالبًا ليكسبن راتبهن، حيث تظهر الإحصائيات أن حوالي ٨٠٪ من نادلي المطاعم في

---

(١) https://www.pewresearch.org/social-trends/2023/04/13/in-a-growing-share-of-u-s-marriages-husbands-and-wives-earn-about-the-same/#:~:text=As%20women's%20financial%20contributions%20have,breadwinner%20in%2085%25%20of%20marriages.

أمريكا اليوم هم من الإناث،[١] وأن حوالي ٧١٪ من موظفي الكاشير في محلات الوجبات السريعة هم من الإناث[٢].

وبسبب غياب الأمان المجتمعي للمرأة وانتزاعها من حماية والدها أو أخيها أو زوجها أو غيرهم من رجال أسرتها (الذي بدأ تحت عناوين تحررها ومساواتها) فإنها باتت فريسةً سهلةً خارج بيتها وأمام الذين لا يتقون الله ولا يعرفون إلا سلطة القانون التي يسهل جداً عليهم التلاعب والتحايل عليها، فتظهر الإحصاءات الرسمية الأمريكية أن واحدةً من كلِّ خمس طالبات جامعةٍ في الولايات المتحدة الأمريكية تعرضن للتحرش مرةً واحدةً علىٰ الأقل،[٣] وأن ٣٨٪ من النساء الأمريكيات تمّ التحرّش بهنّ علىٰ الأقل مرةً واحدةً في مكان العمل[٤]، وأن حوالي واحدة من كل ٥ نساء أمريكيات تم اغتصابها مرةً واحدة علىٰ الأقل في حياتها[٥]!

فقد باتت المرأة معرّضةً لكثيرٍ من الأذىٰ مع غياب من تلجأ إليهم، ومع إماتة الرجولة في الذكور وتقوية فكرة "الاستقلال" في النساء، وجعل المجتمع فردانيّاً وندّيّاً بشكلٍ مرضيّ متكسّرٍ ومتفتت، حتىٰ أن المرأة لم تعد تجد ملجأً من العنف إن حصل لها من قِبَل الصديق الحميم -أستغفر الله- أو الزوج، فلا أسرة تستعدّ لاستقبالها من جديدٍ ولا والد ولا أخ يدافع عنها أو يحميها، ولذا تظهر الإحصاءات أن واحدةً من كلّ أربع نساءٍ أمريكياتٍ تعرّضن للعنف الشديد (الضرب، الحرق،

---

(١) https://www.zippia.com/waitress-jobs/demographics/

(٢) المصدر السابق.

(٣) https://www.rainn.org/statistics/campus-sexual-violence

(٤) https://inspiredelearning.com/blog/sexual-harassment-in-the-workplace-statistics/#:~:text=38%25%20of%20women%20have%20experienced,were%20harassed%20in%20the%20workplace.

(٥) https://ncadv.org/STATISTICS#:~:text=1%20in%204%20women%20and,of%20sexually%20transmitted%20diseases%2C%20etc.

الخنق) على الأقل مرةً واحدة من قبل الشريك الحميم في حياتهنّ[١]، وأن ٧٢٪ من جرائم القتل في أمريكا يكون المجرم فيها هو الشريك الحميم، وأن ٩٤٪ من تلك الحالات تكون الضحيّة فيها أنثى[٢]!

وقد اشتهرت قبل مدةٍ غير بعيدةٍ حركة "Me too" التي أظهرت أن عدداً كبيراً من الممثلات الأمريكيات اللواتي يسمونهم "نجمات" يتعرّضن للتحرّش والاعتداءات الجنسيّة الكبيرة ويصمتن لأنّ هذا "مما تحتمه عليهنّ الوظيفة"! أو "يشترطه عليهنّ الدخول في هوليوود" كما كنّ يقلن! وهذا ليس مُستَغرباً، حين يكون في المرأة ضعفٌ جبليٌّ وطبيعيٌّ عن الرجل، وتُمنَع عنها الحماية وتترَك وحدها، تكون حقيقةً مسلّمةً للمفترسين من وحوش الإنس والجنّ ليتلاعبوا بها كيفما شاؤوا!

وهذا بالضبط ما تفعله النسويّة الشيطانية في المجتمع، لتحوّله مجتمعاً متوحّشاً يأكل فيه القويّ الضعيف ويحاول أهله ما أمكن أن يأخذوا شهواتهم ومكاسبهم من بعضهم، وما هذه الأرقام إلا لمحةٌ مما يقولون أنه تحقيق التحرر للمرأة الغربية الذي تم! والذي يتحدّثون عن أنهم يريدون إيصاله لنسائنا اليوم!

فالغربيّات وإن حصّلن شيئاً من الحقوق المشروعة وبعضاً من المطالب ورُفع شيءٍ من الظلم القانوني عنهنّ مع الحركات النسوية، لكنّ الوضع العام لهنّ تردّى بشكلٍ عجيبٍ ومازال يتردّى، وما ينتظرهن أسوأ مع هذه الهندسة الاجتماعية وانتزاعهن من ولاية وحماية رجالهن والزج بهن في أتون العجلة الرأسمالية التي لا تكترث إلا بما يمكنها استخراجه منهن..

---

(١) https://ncadv.org/STATISTICS#:~:text=1%20in%204%20women%20and,of%20sexually%20transmitted%20diseases%2C%20etc.

(٢) https://www.vpc.org/studies/amroul2012.pdf

وللمزيد من التفصيل في هذا تُنظَر حلقة: تحرير المرأة الغربيّة للدكتور إياد قنيبي:

https://www.youtube.com/watch?v=r2M_YyM8dpU&t=1s

أما نساؤنا نحن فإن نظرةً إلىٰ حالهنّ قبل بضعة أجيالٍ مقارنةً باليوم تظهر كثيراً من الدروس التي نحتاج الاعتبار بها قبل أن ننحدر إلىٰ حيث وصل الغربيّون ونحن يتم حشو عقولنا بشعاراتهم ويظنّ كثيرٌ من أبنائنا وبناتنا أن النجاة في اتباع سبيلهم!

فرغم أن كثيراً من المجتمعات العربيّة المسلمة قبل بضعة أجيالٍ كانت بعيدةً -إلىٰ حدٍّ ما- عن العلم الشرعيّ، ورغم وجود حالاتٍ من الظلم فيها، ورغم بدء غزو العلمنة لها، إلا أن الأسر عموماً كانت تقدّر أمهاتها أضعاف ما نراه اليوم، والفتيات كنّ في أمانٍ وحمايةٍ نحتاج إحياءها في نفوس الرجال والحديث عن قيمتها النفيسة للنساء اليوم.

المرأة من قبل لم تكن عموماً مضطهدةً ولا مُجبَرَةً علىٰ حياةٍ تكرهها، وكانت تدرك قيمتها وتشعر بأثرها علىٰ أبنائها وأحفادها، كانت نصائحها تُسمَع، كانت كفتاةٍ تتوق للزواج والإنجاب ويتمّ تجهيزها له ولا يتمّ تأخيرها عنه، كانت تكتفي ببيتها وأسرتها ولا تشعر بالنقص بينهم، كانت مُصانةً جداً وذات قدرٍ ومكانةٍ في أسرتها، ولعلّ مُجالَسة الجدّات والاستماع لحكاياتهنّ عن طفولتهنّ وأزواجهنّ وحكايات تزويجهنّ لأبنائهنّ والمواقف التي مررن بها وغَيرة رجالهنّ عليهنّ تظهر شيئاً من ذلك..

لا نقول أن الوضع كان ورديّاً ولا أنّ الأخطاء لم توجد، خصوصاً وجهود اقتحام الفكر الغربي لبلادنا كانت قد بدأت فعلاً قبل عدّة أجيال ومنذ الاستعمار والابتعاث للجامعات الغربية وغيرها، ولكن الوضع كان بلا شكٍّ أفضل بكثيرٍ مما يُراد للمرأة اليوم بنزع حماية أسرتها ووصولها لمرحلةٍ تكون فيها وحدها لا يسأل بها أحدٌ وهي شابّة، ولا يبرّها ولا يكترث بها ابنٌ حين تتقدّم في السن، ومع العمل الحثيث الذي يجري لإعادة هندسة مجتمعاتنا وتبديل بنيتها ابتداءً من الأسر الصغيرة ووصولاً لأكبر وحَداتٍ فيها..

ووجود حالاتٍ من الظلم ومواضع من الأخطاء الفكريّة والعمليّة لدينا دليلٌ علىٰ أننا في نقاطٍ كثيرةٍ ابتعدنا عن شريعة ربّنا، وكثيراً ما غيّبنا حقيقتها وبقيت آثارها والأعراف التي كانت مستقاةً منها ثم جعلت تبتعد تدريجيًا عنها، ولذا فالحلّ بالعودة للشريعة، كما سنتحدّث أكثر في مقالاتٍ قادمة..

لكننا الآن نحمد الله علىٰ الوعي بحقيقة تلك الخدع، والذي نرجو أن يكون مما يقوّي ويسلّح المرأة والرجل أمام الفكر النسويّ الخبيث ويهيئهم لمواجهته وتكسير الأكاذيب التي يصيغها..

وبالله نستعين..

هل النِسْويَّة نصيرة المرأة بالفعل كما يقولون؟

أم أنها تنتصر للرأسمالية والشركات الكبرىٰ وأرباب الأموال فقط؟

حين يتم إقناع النساء بأن بقاءهن في البيت ذلٌّ ومهانةٌ واستغفال، وخروجهنّ منه لكسب المال وتشغيل المصانع وتحريك عجلة الاقتصاد وتشغيل السوق هو نهاية التحرّر والقوّة والاستقلالية، فمَن المستفيد من هذا كله؟

ومن الذي يتأثر أو يهتمّ حين تتحوّل الأمومة والتربية إلىٰ عائق يحول بين الفتاة وبين "تحقيق ذاتها"؟

حين يكون الذي نراه في الغرب اليوم.. أطفالاً يُتركون منذ عمر بضعة أشهر في الحضانات، ليذهب الأبوان للعمل.. [رغم أن كثيراً من النساء مجبرات علىٰ هذا بسبب الوضع الاقتصادي، لكن هذا الإجبار ما كان ليحصل لولا مرور المجتمع باعتبار عمل المرأة نفسه أساسًا ومن ثم تحوله واجبًا عليها]، نساءً منهكات، مجبرات علىٰ تحقيق معايير مستحيلة لـ "المرأة المثالية" الخياليّة، والتي تشمل التوفيق بين النجاح المهني والأسري والحياة الاجتماعية والجمال والثقافة وسعة الاطلاع وغيرها مما لا يمكن تحقيقه في آنٍ معًا..

حين يكون هذا وأكثر..

لكن في نفس الوقت.. الاقتصاد سيكون علىٰ خير ما يرام مع وفرة الأيدي العاملة التي ستؤدي إلىٰ نقص تكلفتها، وسيتحقق واحدٌ من أهداف أرباب الشركات الكبرىٰ حين تنقص الأجور مع تدفّق حوالي نصف السكّان البالغين الذين لم يكونوا يفكرون قبل عقودٍ فقط بالوظيفة نحو طلبها والمنافسة عليها، وبينما النساء بطبيعتهنّ أقل تطلّبًا وأمْيَل للرضا بالأجر الأقلّ فإن ذلك سينتج انخفاضًا عامًا

بالأجور، وسيؤدي بلا شكٍّ لزيادة أرباح الشركات مع خفض ما يجنيه الموظفون، وهذا ما أظهرته دراسةٌ نشرت عام ٢٠٠٢ من قِبَل المكتب الوطني الأمريكي للبحوث الاقتصادية عنوانها:

Women, War and Wages: The Effect of Female Labor Supply on the Wage Structure at Mid-Century

أي: النساء، الحرب والأجور: أثر وجود المرأة في سوق العمل علىٰ بنية الأجور في منتصف القرن العشرين، والتي تمت الإحالة عليها ٨٢٠ مرة.

فقد وجد الباحثون فيها أن دخول النساء إلىٰ سوق العمل عام ١٩٥٠ بعد الحرب العالمية الثانية أدىٰ إلىٰ انخفاض أجور الرجال مقارنةً بما كانت عليه عام ١٩٤٠، وكان الأثر أكبر علىٰ الرجال أصحاب المستوىٰ التعليمي المتوسط والمتقدم، فصارت فرص عملهم أقل بسبب ما بات استبدالاً لهم بالموظفات الإناث في سوق العمل.[1]

هذا من ناحية أرباح أصحاب الشركات من وجود الموظفات النساء مباشرةً، وإلىٰ ذلك نضيف أن السوق والحراك الاقتصادي من حيث البيع والشراء والاستهلاك سيزدهر مع خروج النساء عمومًا للعمل، إذ سيتضاعف عدد أصحاب الدّخل الذين يمكنهم إنفاق مالهم علىٰ الكماليات، وسيتضاعف عدد أصحاب كثيرٍ من الحاجات الاستهلاكية في العائلات، سيزداد أو سينشأ الطلب علىٰ كثيرٍ من البضائع التي لا تحتاجها النساء أو لا يحتجنها بكمياتٍ كبيرةٍ إلا إن كنّ عاملاتٍ، من ذلك الملابس الرسمية النسائية وأحذية الكعب العالي ومستحضرات التجميل، وكذلك الوجبات السريعة أو مسبقة التحضير التي تضطر إليها الأسر مع عمل الأبوين بدوامٍ طويل، وهذا كل يحرّك عجلة السوق الرأسمالية أكثر، ويزيد نفقات الأسر ويبقي النساء مدفوعاتٍ للعمل ويستمرّ بملء جيوب أرباب السوق وجشعهم الذي لا يشبع،

---

(١) https://www.nber.org/system/files/working_papers/w9013/w9013.pdf

وإنما هذا شيءٌ مما يفسّر سبب الدعم الرأسمالي والعالميّ للحراك النِّسوي، وهو من أهمّ الأسباب التي تدفع الأمم المتحدة اليوم وأذرعها لنشره وإن كان بالقوّة في بلاد المسلمين، ليكون بناتنا ونساؤنا ونكون نحن تروسًا جديدةً تضاف لعجلاتهم وتعيش علىٰ فتات بضائعهم وتسابِق في نمط حياة المصانع[1] الذي يريدون!

ولنا بعد ذلك أن نعود للسؤال الأول.. هل نصرت النِسْويَّة المرأة فعلاً؟

(١) المصطلح مقتبس عن الدكتور الفاضل خالد الجابر.

النِسْويَّة وكذبة الحريّة..

قبل بضعة سنوات دار بيني وبين بروفسورة في الجامعة حديث عن التمييز ضد الأقليات في الولايات المتحدة الأمريكية، هي كانت مندفعة تتحدث عن العنصرية ضد الأمريكيين الأفارقة وتطرح حلولاً عمليّة لكشف الممارسات العنصرية الخفية تجاههم ومعالجتها.

قلت لها: أنا أفهم تماماً ما تتحدثين عنه، فأنا -مثلاً- كوني مسلمة ومحجبة تعرضت لكثير من التمييز ضدي مذ أتيت لهذه البلاد، والأمر مزعجٌ فعلاً، فالذي يتعرض لذلك يشعر بالظلم وبأن صوته يُسرَق منه، وهو في موضع لا يستطيع معه الردّ عن نفسه، ومثال هذا مررت به مع بعض جاراتي سابقاً، خصوصاً كبار السن منهنّ..

هؤلاء الجارات كنّ معي في نفس العمارة وكنت أراهنّ بشكل شبه يوميّ لمدة أربع سنوات حين كنّ يرينني مع ابني الصغير، وكنت أقابلهنّ بـ صباح الخير في كل مرة، لكن جزءاً منهنّ لم يجبن التحية يوماً، بل كنّ يقابلنني بالتجهّم أو الإشاحة بوجههنّ للطرف الآخر، وكنت أستمر مع ذلك بتحيتهنّ في المرة التالية، وهذه واحدة فقط من صور التمييز الذي تعرضت له والذي لم يخجل أصحابه من إظهاره مع الأسف..

كانت البروفسورة تنصت بذهول وقد فغرت فاهها، لكن سرعان ما لاحَظَتْ أنني فرغت من الكلام فعدلت جلستها وابتسمت، وقالت بكل ثقة: لكن الأمر مختلف تماماً هنا، أنت تتحدثين عن الحجاب والإسلام، والأمريكيون حين يرون هذا فيك كامرأةٍ لا يفكرون إلا بأنك مقهورة مرغمة علىٰ وضعك هذا، خصوصاً مع كونك زوجة وأماً غير عاملة!

هنا فاجأني هذا الرد وما يحتويه من مغالطات ومخادعات واضحة، خصوصاً من امرأة تدعي رفض العنصرية وكانت قبل قليل تتحدث عن شرورها وتطالب بالعدل والحريات، فكيف تبرر لنفسها الذي تقوله؟

ودار في بالي أمران..

أولاً: أليس هناك احتمال -ولو بسيط- في أذهان هؤلاء أن يختار المرء بإرادته الحرة نمط حياة مختلفاً عن الهوىٰ الغربيّ الذي وصلوا إليه (والذي هو ذاته مختلف عن هواهم قبل عقود)؟ ألا يفكّر هؤلاء مطلقاً في احتمال أن يوجد في الكون من لا يريد فعلاً أن يعيش بأمرهم! أم أنّهم وصلوا باستعلائهم لدرجة جعلتهم ينصبون أنفسهم قضاة علىٰ حياة الناس يحددون لهم كيف ينبغي أن يعيشوا وما الذي ينبغي ولا ينبغي لهم فعله؟

ثانياً: إن الإشكال في العنصرية هي استنادها إلىٰ التنميط الاجتماعي "Stereotyping"، الذي يعمم فيه المرء فكرةً في رأسه أو حالةً خاصة علىٰ مجموعةٍ كبيرة من البشر، فكيف يكون تنميطي أنا كمسلمة مسموحاً ومبرّراً من قِبَل نفس الشخص الذي ينظّر ضد العنصرية؟

إنّه تناقضٌ غريب فعلاً!

لكنّ النِسْويَّة تمارسه علىٰ نسائنا بشكل يوميّ ومستمر، تحكم مباشرة علىٰ أيّ امرأة لا تأتمر بأمرها ولا تعيش بقوانينها بأنها مخدوعة ومظلومة وقليلة، فتلك التي تتزوّج "مبكراً" علىٰ حدّ قولهم مظلومة، وتلك التي تتفرغ لأسرتها" محرومة من حقوقها"، وهذه التي تلتزم الحجاب الشرعي" مقهورةٌ ومجبرةٌ عليه"!

وتظل الفتاة عالقةً في هذا الحكم إلىٰ أن تتفلت من دينها وأخلاقها وتتحول أمَةً للاستهلاكية والليبرالية والمادية لا أكثر، لتصير مستعبدة لهواها وأمر رؤسائها من شياطين الإنس والجن، وحينها فقط يتقبلها أولئك الذين نبذوها

من قبل، ويتكرمون عليها برضاهم واستقبالهم إياها في محافلهم ودورهم، أما إن كانت غير ذلك، فلا صوت لها ولا قيمة، إنما نصيبها حكم ثابتٌ بالانتقاص من قِبَل دعاة الحرّيّة والاحترام، حكمٌ غير قابل للنقاش البتة!

ولذلك فإن علىٰ الفتاة المسلمة أن تستحضر أنّ الاكتراث برضا النسويّين أو المتأثرين بهم عنها هو الخطأ المنهجيّ الذي قد ترتكبه وإن لم تنتبه له، أن تهتمّ بما يقولونه عنها أو كيف يظهرونها في إعلامهم أو كيف يتحدّثون عنها باستعلائهم في محافلهم الرسميّة أو علىٰ منابرهم، حين يدّعون أنّهم "يدافعون عن حقوقها" التي ليست مسلوبة أصلاً، وحين يدّعون "التعاطف معها" أو أنهم يريدون "نشر الوعي" لأمثالها وهي تعلم ما لها وما عليها وتستطيع تعليم أمثالهم بسبيل الخروج من ضياعهم..

فتلك الادّعاءات والنظرات الدونيّة التي يملؤونها بها خجلاً من واقعها وخياراتها ما هي إلا شيءٌ صغير من خبث وسائلهم التي يريدون بها تغيير حياة النساء وإيصالهنّ للعناوين الفارغة التعيسة التي قضوا عمرهم يسعون إليها..

وسبحان الله كيف وجّه نبيّه ﷺ إلىٰ التعامل الصحيح مع رضا أعداء الدين عنه فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، فلا تكترثي أختي بنظراتهم ولا تلتفتي لأحكامهم وادّعاءاتهم، وتذكّري: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾.. ولله الحمد أن هدانا لهذا، لله الحمد..

من شرور النِسْويَّة:
تبخيس العمل "التقليدي" للمرأة لمجرد كونه تقليدياً..

تجد كثيرين يصفون عمل المرأة في بيتها بألفاظٍ سلبيّةٍ ويتحدّثون عنه كأمرٍ قليلٍ لمجرد أنه روتيني ولا أجر مادي له، فيتم زج أوصاف تبسيطٍ عند ذكر الأعمال المركزيّة وعظيمة التأثير التي تقوم بها ربة البيت بشكل مستمر في منزلها، ليقتنع المجتمع أنها إنسانة بحاجة ماسّة للتحرّر والتغيير والتقدم، فهي "مازالت حتىٰ اليوم تقوم بما كان جداتها يعملنه منذ عشرات السنين"!

ونسمع عبارات مثل: "فلانة ربّة بيت بسيطة فقط"، أو "تلك أمّ عادية لأربعة أطفال لا أكثر"، وتقول أخرىٰ: "أنا لا أعمل مع الأسف، أنا أبقىٰ في البيت مع أبنائي الخمسة لا أكثر"..

وما أعجب هذه المقولات وما أكثر التناقضات فيها!

فعمل المرأة في بيتها ينطوي علىٰ بناء إنسان واجتهاد في مهامٍّ طويلة ومتلاحقة من الصباح إلىٰ المساء، من تعليم لتربية ثم خدمة ورعاية وتعليمٍ وفهمٍ لطباع الإنسان ونواحي قوته وضعفه، وهذا يحتاج -إذا أعطي حقّه- علماً وتخطيطاً وانضباطاً يفوق اللازم لمهنة مكتبية أضعاف المرات، فكيف صارت المرأة التي لا تخرج من بيتها صباحاً وتعود إليه مساءً عاطلةً عن العمل! مع أنها تقوم بما لا يحسنه غيرها وتقدم للمجتمع كلّه خدماتٍ لا تقدّر بأجرٍ ماليٍّ أبداً؟

وهل يخلو عمل الرجل من الروتين والتكرار مع مرور السنوات؟ فالخباز اليوم يعمل ما كان يعمل الخباز منذ مئتي سنة بشكل يومي (لم تتغيّر إلا بعض المعدات)..

ثم مَن جعل التغيير المستمر هدفاً بذاته؟

ولنقرأ نموذجاً من هذا الفكر في ما كتبته إحدىٰ قائدات الحركة النِسْويَّة بيتي فريدان عام ١٩٦٣ (كتاب الغموض الأنثوي، ص٢٨): "قليلٌ جداً مما تعمله ربة البيت اليوم مهمّ أو ضروري، وها نحن منذ ستين سنة وحتىٰ اليوم مازلنا ندور في حلقات مفرغة، ومازالت المرأة حبيسة قفص السنجاب الصغير، صار القفص اليوم مزيناً ومجهّزاً بمعدّات الرفاهية، لكن الوضع ليس أقل سوءاً أبداً مما عاشته جداتنا وهن ينسجن الصوف ويحلمن بحقوقهن المسلوبة".

ضلال كبيرٌ في كلمات قليلة! لكنه مقنع للأجيال الجديدة، فالروتين ممل إذا لم يكن لدىٰ المرأة جدّيّة في الحياة وهدف عظيم يشعل همتها باستمرار، وكون أجر الأم علىٰ معظم ما تفعله مؤجلاً يجعل طغيان المادية أشد وطأةً عليها، خصوصاً مع الافتتان بالمدنيا وتعظيمه. وهذا كله من نتائج البعد عن الدين وفصله عن الحياة العملية والواقعية، فيصير حديث رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "الزم رجلها فثم الجنة" (صححه الألباني) لا شيء مقابل ارتداء بذلة رسمية وكعبٍ عالٍ والخروج للعمل اليومي المنهك في سبيل شعارات الحرية والقوة والاستقلالية الزائفة!

فليت الجيل الجديد من بناتنا يعين تلك الحقائق..[1]

(١) لافتة: هذا ليس تناولاً لمسألة عمل المرأة، لكنه رد مختصر علىٰ من يبخس جهد الأم وربة البيت، وقد فصلت في موضوع عمل المرأة في هذه المحاضرة:

https://www.youtube.com/watch?v=hALweM_wrz8&t=33s

النِسْويَّة "الإسلامية"! التناقض الدارج!

هل يمكن لأحدٍ أن ينتسب لهوية ويتبرأ منها في نفس الوقت؟ هل يمكن للمسلم أن يعبد هواه تارةً ويتوجه لمولاه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تارةً أخرىٰ؟ هكذا هي التي تسمي نفسها "نِسْويَّة إسلامية" تتصدر للنّاس بخطابها الغاضب علىٰ مجتمعها، لا لبعده عن تعاليم دينه الحق، ولكن لمخالفته لهوىٰ الأنثىٰ الليبرالية، ثم ترفق ذاك الخطاب اللاديني كله بغطاء رأس تحافظ به علىٰ انتسابها لدين الإسلام في عيون الجماهير، وترفق إفسادها ببعض الآيات والأحاديث التي تلوي معانيها وتستدل بها خارج سياقها، فتكون بذلك أخطر علىٰ الشابات من النسويّات المعترفات بعلمانيتهن ونبذهن للدين، ولذلك وجب التحذير من خطاب هؤلاء، وإشكالاته المتمثلة فيما يلي:

١- جهل كبير بالدين الإسلامي، ومعنىٰ العبودية الحقة لله والتسليم له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذه الفتاة غالبًا لم تتعلم دينها، وتعتمد في الحديث عنه علىٰ بضع خطبٍ ومقالات قدّمت أمنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ أنها "سيدة أعمال"، وأمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ أنها "رائدة النسويات"!

٢- جهلٌ بمعنىٰ النِسْويَّة، ومنشئها ومطالبها، وإن قلت لإحداهن عرّفي النِسْويَّة التي تنتسبين إليها خادعت إما بأنها شيءٌ معروف لا يحتاج تبيانًا، أو وضعت لها تعريفًا إنسانويًا من عندها، وهي غالبًا تظنّها تساوي تكريم المرأة، أو الدفاع عن حقوقها بالعدل والإنصاف وغيرها مما هو مقبولٌ في إطاره الصحيح وتحت مظلّة شريعة الله والانطلاق من طلب رضاه، لكنّها أمورٌ تستغلّ النِسْويَّة عناوينها الجاذبة لتتطرّف بتطبيقاتها متّبعةً أهواءها، أو لتقوم بما لا علاقة له بها تحت مسمّاها علىٰ أرض الواقع..

٣- انبهارٌ عجيب بحياة المرأة الغربية، كأنها متربعة علىٰ قمة الحرية والاستقلالية والقوة -وهي المعايير التي تؤمن بها النِسْويَّة/ علىٰ بطلانها-، مع غضٍّ للطرف عما تكابده يوميًا في ظل غياب التراحم الاجتماعي والقوامة، وانتشار ثقافة المساواة وإنكار الغرائز والفروق الفيزيولوجية بين الجنسين.

٤- مهاجمة شرسة للعلماء والدعاة الذين يصدُقون الناس القول، ويريدون لهم أن يلقوا ربهم بقلبٍ سليم تجاه الشريعة وأحكامها وعدلها، مع اتهامهم بأنهم سبب الحال الذي نحن عليه اليوم، بينما يتعلقن بأصغر مقولة لأي متعالم يأتي بتأويل جديد للنصوص يوافق هواهنّ من حيث التهوين من حق الزوج أو إنكار الولاية أو أسلمة تمركز الأنثىٰ حول ذاتها.[1]

٥- مناداة بمفهوم جديد لم ولن يوجد، وهو تحرر المرء من الدين مع الإبقاء علىٰ الانتماء إليه، إذ تدعي إحداهنّ أنها أول من فهم كلاً من النِسْويَّة والإسلام بشكلهما الصحيح، بينما النسويّون يرونها طالبةً كسولةً لم تفهم الدرس في صفّهم، وعلماء الإسلام يشفقون علىٰ التناقض الجليّ في مرجعيتها، وطبيعة الإسلام ترفض انتسابها إليه لأنه دين -من اسمه- يعني التسليم الكامل لأمر الله ومعاييره في كافة مناحي الحياة.

٦- يرين النِسْويَّة حلاً لمشكلاتهنّ التي كان سببها البعد عن دين الله واستبداله بتقاليد مرفوضة وبأفكارٍ فاسدةٍ دخيلة، فيبحثن عن علاج الجاهلية الحاليّة في جاهلية أشد ضرراً ونبذاً للوحي منها. فالجاهلية الحالية جزئية بالتقصير في بعض أحكام الإسلام، مما ينتج عنه ضرر للمرأة والرجل علىٰ حد سواء، بينما "العلاج" الذي تريده النِسْويَّة هو في مرجعية بديلة عن الإسلام، يعني جاهلية كليّة! وإن حاولوا تزيينها بقشور وطلاءات إسلامية! كمن يغرق في عرض البحر فيرفض طوق النجاة ويطلب أثقالاً يربطها بساقه!

---

(١) لا ينكر وجود دعاة لا يحسنون فهم الإسلام أو خطاب الناس به، لكن النِسْويَّة تأخذ الجميع بجريرة هؤلاء وتعمم تعميمات مضللة جائرة.

- وهنا قد يقال: لا تعممي! من هؤلاء من لا تعلم أنها تفسد، بل تظن نفسها تصلح المجتمع.

وأقول: لا أنكر أنّ هناك مسلماتٍ كثراً لا تنطبق عليهن جميع الإشكالات أعلاه ويتسمين بالنِسْويَّة لمجرد الجهل بمعناها، والتي تبحث منهن وتتعلّم بتجرد عن الهوىٰ وطلبِ للحق ومرضاة الله فسيهديها الله، أما أن تكون للفتاة دعوىٰ ومناداةٌ تقول فيها أنها تريد أن "تصلح المجتمع" وهي فعلياً تتبع سبيل النِسْويَّة ولكن تؤسلمها فهذا لا يقبل ولا تُعذَر عليه، فالبحث عن الحقّ عبر وضع نتيجةٍ مسلّمٍ بها مسبقاً وهي أن الدين الذي ترضىٰ أن تأخذ منه هو الذي يوافق هواها (هوىٰ المساواة المطلقة/ موافقة هوىٰ الغربيّات)، فهذا في الحقيقة إفسادٌ بغضّ النظر عن ظنّ صاحبته، وصاحبته في هذه الحالة مجرمةٌ لأنها تخرّب علىٰ نفسها وعلىٰ أمّتها دينهم وحياتهم، بغضّ النظر عن "الأهداف الحسنة" أو الشعارات المبهرة التي تنادي بها، وذلك -مرة أخرىٰ- لأن رفض مرجعية الشريعة في حركاتنا هو مقصد قبيح غير مقبول.

النسويات الإسلاميات والدين الجديد الذي يُصنع..

لعلّ الناظر للمشهد المعاصر من بعيد يظن العلمانيين صراحةً أو الملاحدة أو المعادين لشرع الله بكل فجاجةٍ هم الأخطر علىٰ مجتمعاتنا، لكن الحقيقة مختلفة تماماً..

فالتيارات العلمانية المبطنة وخصوصاً النسويّات "الإسلاميات!" اللواتي يأتين بمراد الغرب وبذات قيمهم مبررةً بالآية والحديث واعتماداً علىٰ بعض الالتفاف الكلامي وبعض الإشكالات المجتمعية هم فعلياً الأخطر..

فهؤلاء لا يقولون أنهم ضد الدين، لا يقولون أنهم يحاربون شرع الله ويريدون العلمانية المحضة ويحادّون الله ورسوله كما هم فعلاً يفعلون، لكن يقولون أننا نحن عموم المسلمين من لم نفهم الدين الصحيح كما فعلوا هم، أن الفقهاء "الذكوريّون" هم السبب في سوء فهمنا للدين العظيم المنزه عن كل الأخطاء التي تساوي في عيونهم أي مخالفة للعقل الغربي ونتاج سيره الذي يقدسون، وأن هذا الاكتشاف العظيم كان ينتظر مرور ١٤٠٠ سنةٍ حتىٰ يظهر علىٰ أيديهم وحدهم!

ولهذا فعملهم اليوم -وإن كان أحدهم لا يجيد قراءة الآية والحديث- هو إعادة المسلمين لمراد الله سبحانه من كلّ وحيه الذي تقريباً لم يفهمه إلا أشخاص معدودون جاؤوا مؤخراً لينقذوا الأمة من الفهم "الخطأ" الذي أطبقت عليه القرون!

فهؤلاء القلّة هم "الوحيدون!" الذين فهموا أن الدين الذي يقول أنّ الحكم لله يعطيه في واقع الأمر للإنسان ليحكم كما يريد، وأن الدين الذي فيه أن الله لم يخلقنا إلا لعبادته يقصد أننا هنا لنستمتع ونتسلّىٰ ونعيش كما نهوىٰ، فهو وإن كان يأمر بالحجاب يقصد في واقع الأمر أن الموضوع اختياري، وإن كان يقرر مواضع التمايز بين الرجل والمرأة يقصد أنه لا يوجد شيءٌ ثابت هو أدوارٌ للمرأة وأدوارٌ

للرجل، فكلنا متساوون تماماً وفي كل شيء، والأمر راجعٌ للإنسان ليعيش بالقيم التي يختار!

فهناك دين جديدٌ يصنعه هؤلاء، وستجدونهم يصنعونه بالآية والحديث لكن بفهمهم الخاص لها والمنفصل عن التاريخ واللغة والعلم جميعاً، هذا الدين سيتسمىٰ بالإسلام وهو أبعد ما يكون عنه، ومن ثم سيُلام من بقي علىٰ الدين الأصيل وتمسّك بسنة رسول الله وكلام العلماء الأثبات، فنحن الذين لا نعلم أن الإسلام في حقيقته ديمقراطي مساواتي نسوي لا يقول إلا بذات الذي يأمر به المجتمع الغربي، بل وعنده الاستعداد للتغيّر بتغيّر أهواء البشر!

هل كانت أم المؤمنين خديجة سيدة أعمال نِسْويَّة؟

كثيراً ما نسمع نسويات مسلمات يستشهدن علىٰ أهدافهن ويبررن مسارهنّ عبر توظيف قصصٍ متنوّعة من عصر الصحابيات رضوان الله عليهن؛ ليقلن بأنهنّ أيضاً كنّ نسويات أو ممثّلاتٍ عمليّات لبعض شعارات النِسْويَّة التي يدعون إليها، فيقال -مثلاً-: إن ردّ أمّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لبعض الأحاديث كان خروجاً علىٰ السلطة الذكوريّة، وأن دفاع نسيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ في غزوة أحد كان كسراً للأدوار الجندرية، وأن الصحابيات طالبن بالمساواة مع الرجال، وصولاً إلىٰ القول بأن النبي ﷺ ذاته كان نسوياً[1] بهدف تسويغ أسلمة النِسْويَّة ونيل موافقة الفئات الملتزمة علىٰ كل أفكارها!

وفي هذا المقال أنظر في هذا النوع من التوظيف لقصص الصحابيات بعين ناقدة ليتبين صوابه من خطئه مع التركيز علىٰ ما أظنّه أشهر نموذج منه، والمتمثل في سيرة أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتجارتها ونمط حياتها..

الطاهرة، الزوجة، الأم، والتاجرة.

ولدت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسْد القرشيَّة في بيت عز وثراء وجاه في مكة، وكانت في الجاهلية تُلَقّب بالطاهرة، وقد تزوجت قبل رسول الله ﷺ من أبي هالة بن زرارة التميمي الذي توفي عنها وتزوجت بعده عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الذي توفي عنها كذلك، وقد أنجبت منهما ثلاثة صبيان وبنتاً[2]، ولنسبها وزواجيها دورٌ في امتلاكها للثروة الكبيرة التي كانت تتاجر بها علىٰ عادة

(١) قال الكاتب جيم غاريسون في مقال لصحيفة Huffington Post أن رسول الله ﷺ كان أول نسوي في التاريخ.
Jim Garrison, Muhammad Was A Feminist, Huffington Post, 2017.
https://www.huffpost.com/entry/muhammad-was-a-feminist_b_12638112

(٢) الإصابة، ٨/٣٤٧، سير أعلام النبلاء، ٢/١١٢

العرب، فكانت ترسل الرجال علىٰ مالها إلىٰ الشام كل عام، وكذلك استأمنت النبي الكريم ﷺ، وعرفت خلقه وخصوصيته عبر غلامها ميسرة، ومن ثم كان زواجها منه.

وبعد الزواج المبارك استمر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالتجارة علىٰ مالها، وأنجبت له ستة من الولد، وكان بيتهما سكنًا ومودةً ورحمة مدة خمسة عشر عامًا إلىٰ أن بُعِث عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكانت خديجة أول من صدّقه وآمن به، وساندته بمالها وعاطفتها وجهدها، حتىٰ إنها دخلت الحصار معه في الشعب ولاقت في سبيل دعوة الإسلام الجوع والقلة وهي ابنة الكرام ذوي العز والجاه.

تقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: "كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنىٰ عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عَزَّوَجَلَّ بها خيراً منها، قال: ما أبدلني الله عَزَّوَجَلَّ خيراً منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عَزَّوَجَلَّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء". (أخرجه أحمد في المسند)

فأمنا خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لم تكن تعرّف نفسها كـ"سيدة أعمال" أولاً كما يُصوَّر لنا، وإن كانت بلا شك ذات مال وتجارة فهي كانت قبل ذلك الطاهرة التي تستأجر الرجال علىٰ تجارتها لتنأىٰ بنفسها ما أمكن عن مخالطتهم والخوض بينهم، وإن تميّزت عن معظم أقرانها بعملها فإننا لا تجدها تحاضر عليهنّ حول سبق الرجال ولا عن كسر "السقف الزجاجي" ولا عن استعلائها عليهن بما "تساهم به للمجتمع عبر مهنتها" ببنما هنّ "عاطلات" في بيوتهن! بل هي التي مع تجارتها تزوّجت وأنجبت وربّت وصبرت علىٰ أعباء النبوة التي أضاءت أنوارها من بيتها الشريف.

لقد رسمت الخطابات النِسْويَّة المسلمة صورة مشوهةً لأم المؤمنين خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في أذهان الفتيات كسيدة خارجة للتو من فيلم هوليوودي -وحاشاها-

ببذلة رسمية ضيقة وكعب عالٍ تتجول في شركة ضخمة وتدير اجتماعات الرجال فيها ولا تكترث إلا بالأرباح والأسهم والإنتاج[١]، وهذا ما يخالف تماماً واقع حياتها الذي تعاملت فيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع ظروفها بحكمة وحنكة ومهارة، وعملت وسعها لتحافظ علىٰ مالها الذي رزقها الله دون أن تخسر شيئاً من أنوثتها أو تتخلىٰ عن حاجاتها وطبيعتها في الطريق.

الانتقائية غير البريئة!

إن الناظر في طريقة تعاطي النسويين والنسويات في الأوساط المسلمة مع محتوىٰ تراثنا يلاحظ بوضوح كمية الانتقائية التي يمارسونها لتسويغ توجهاتهم وأسلمتها، فهم لا يحكون إلا أجزاء من القصة، ولا يأتون إلا بالأمثلة التي تخدم أهدافهم وإن أشبهت الاستثناء في سياقاتها، ثم يحاولون جعلها حالات عامة ينبغي علىٰ الجميع الاقتداء بها.

فقد جعلوا السيدة خديجة "CEO" أو مديرة شركتها الضخمة بغض النظر عن بقية مكونات شخصيتها وأحداث حياتها وقلة مثيلاتها في نساء زمانها، ثم جعلوا هذه الصورة غير الدقيقة والمقتطعة من حياتها نموذجاً ينبغي علىٰ الفتاة السعي لبلوغه وإلا كانت فاشلة واقعةً تحت سلطة الذكور الظالمة التي تحتاج لفعل المستحيل والتضحية برغباتها الحقيقية للخروج عنها، وبنفس الطريقة يتم الحديث بإفراط عن الصحابيات اللواتي دخلن ساحات الجهاد في أوقات الاضطرار لا للثناء علىٰ فعلهنّ واستخراج الفوائد من سيرهن، وإنما للقول بأن هذا الفعل الذي يحقق قيمة

---

(١) انظر هذه المقالات لأمثلة ذلك:

أول نِسْويَّة في الإسلام: https://msmagazine.com/2010/03/16/islams-first-feminist/

الإسلام وأول نِسْويَّة: https://mg.co.za/article/2018-04-13-00-islam-and-the-first-feminists/

٧ أشياء عظيمة عن خديجة:

https://www.huffpost.com/entry/7-remarkable-things-about_b_7097606

المساواة الدارجة اليوم هو العمل الخيّر الذي ينبغي علىٰ المسلمات في كل زمان ومكان اتباعه!

فحين يذكرون أم عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وجهادها في غزوة أحد -علىٰ سبيل المثال- لا يقولون بأنها حالة خاصة ونادرة بين الصحابيات، ولا يقولون بأن خروجها ذاك كان في وقت حرجٍ تهَدَّد فيه أمة الإسلام والمسلمين، بل يجعلونها سابقة لزمانها لأنها وقفت بين الرجال ونالت شرف القتال بينهم، بينما هدفها كان الدفاع عن أمتها ونبيها، وبينما الصورة الغالبة لخروج النساء للغزوات كانت بأن يقمن علىٰ تضميد الجراح وإعانة الجيش من ورائه بالماء والغذاء.

والواقع أن ما تقوم به الخطابات النِسْويَّة الإسلامية هو إسقاطٌ لأفكار مستحدثة علىٰ الشخصيات التاريخية وإخراج للأحداث من سياقها وتحليل لمجرياتها وفق ما تراه المنظومات العلمانية خيراً وشراً وهدفاً ونجاحاً وفشلاً، بينما الشخصيات التي نتحدث عنها عاشت لقيمٍ مختلفة وعملت لأسباب مغايرة لما تريد الخطابات الحديثة إلباسها له، فالصحابيات رضوان الله عليهن علمن تماماً لماذا يعشن وإلىٰ أين يمضين، فلم يكن سؤالهنّ إن سألن عن أعمالهنّ أو قارنّ نفوسهن بالرجال.. لم يكن ذاك بحثاً عن المساواة أو الأهواء التي باتت رائجة اليوم، إنما سعياً لرضىٰ الله ونيل الدرجات العلا عنده وتحصيل ثوابه، وهذا ما نلمسه في كلام أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إذ أتت النبي صلىٰ الله عليه وهو بين أصحابه فقالت: "بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك، وأعلم نفسي -لك الفداء- أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهي علىٰ مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلىٰ الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضىٰ شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضىٰ، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج

حاجـًا أو معتمراً أو مرابطـًا حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أموالكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت النبي ﷺ إلىٰ أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مُساءلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله! ما ظننا أن امرأة تهتدي إلىٰ مثل هذا؟ فالتفت النبي ﷺ إليها ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله. فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً". (أخرجه البيهقي وابن منده وابن عساكر وآخرون)

ولنتوقف مليـًا هنا مع ثناء النبي علىٰ خطاب الصحابية الجليلة، ومع انصرافها نهايةً وهي تهلل وتكبر استبشاراً بقدرتها علىٰ نيل ذات الأجر، فسبحان الله ما أبعد مجتمعهم عما وقعنا فيه من ضلالات نريد إنزالها عليهم، وما أوضح الغايات في عيونهم إذ لم يريدوا شيئـًا من شعارات فارغة ولا علواً في الأرض ولا فساداً.

من سؤال: "ماذا قدم الإسلام لي؟"
إلى سؤال: "ماذا يمكنني أن أقدم للإسلام؟"

في جلسة "هل ظلم الإسلام المرأة؟" التي أقمت للنساء والفتيات مرةً، وبعدما ناقشنا التعامل مع الشبهات، ومفاهيم الظلم والعدل والحقوق، كانت واحدة من اللافتات الختامية هي الدعوة للانتقال من سؤال: "ماذا قدم الإسلام لي؟" إلىٰ: "ماذا يمكنني أن أقدم للإسلام؟"، لنعيد توجيه أنظارنا من البحث عن أهوائنا في شرع الله إلىٰ التجرد لدين الله وخدمته ونصرته..

وهذا ما أظنه محورياً في طريقة تعاملنا مع محتوىٰ الشريعة بغض النظر رجالاً كنا أم نساءً، لكن أهميته تتجلىٰ بصورة أوضح -برأيي- بالنسبة للخطاب الموجه للمرأة الذي بات عبر سنواتٍ طويلة يغلب عليه طابع "الطبطبة" ونبرة الحذر المبالَغ فيه من تنفير الفتيات، كأن الطبيعي والمقبول فينا أن يكون ديننا علىٰ شفا جرفٍ هارٍ يحتاج أي أحدٍ يقترب منه لكثير من الانتباه والحيطة وإلا انقلبنا علىٰ أعقابنا -معاذ الله-!

لقد بتنا نتحدث مع النساء كطفلاتٍ لا نريد إحزانهنّ ولا تنفيرهنّ علىٰ الدوام، وإن اضطررنا في سبيل ذلك لإخفاء بعض الأحكام والاعتذار عن غيرها والتعامل معها بأسلوب التبرير بدل الشرح والتفصيل والبيان الذي تحتاجه النساء..

كامرأة، أود أن يقول لي الشيخ والعالم والمتصدر للدعوة ما محتوىٰ الشريعة فعلاً وكما هو دون تنميق ولا تجميل كأنني أبسَطُ من أن أفهم، أود أن يقال لي أن في الدين ابتلاءٌ لصبري وتسليمي واستسلامي لأمر الله، وأود أن يقدّم الأمر لي بأسلوب البناء المنهجي الذي يعلمني كيف أتعامل مع شرع الله بعين الرضا التي تنقلني للعمل لا للعودة للسبات والغفلة..

لا أقصد أن نكون مخيفين للفتيات ولا أن نبحث عما يصدمهنّ قصداً، لكننا اليوم في عصرٍ مليءٍ بالشبهات والفتن، نحتاج فيه لبناء النفوس علىٰ القوة بالله والاعتزاز بالدين والتسليم له والانطلاق منه، وهذا لا يكون بإقناع المرأة أن الدين موجود ليناسب هواها ولا يخالف رغباتها، إنما بتعليمها مكانتها الحقيقية في الوجود كأمةٍ لله وفردٍ من الأمة مسؤولةٍ ومحاسبة وممتحنة.

لا يشترط أن تعلمي أنك متأثرة بالنِسْويَّة لتكوني كذلك!

ولا يشترط أن تسمي نفسكِ نِسْويَّة إسلاميةً لتكوني كذلك..

قد تبغضين النِسْويَّة لأجل بعض نماذجها ونتاجها الذي رأيتِ، وقد تظنين أنك تحاربينها حتىٰ، لكنكِ في ذات الوقت قد ترددين ذات أقوالها وأفكارها وتروجين لها -دون شعور- بين النساء..

كيف ذلك؟

- حين يكون كلّ كلامك انتقاءً وتأوّلاً من أحكام الشرع و أقوال العلماء وأفعال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بما يوافق أهواء النساء ويشعرهن بالقدرة علىٰ مشابهة النساء الغربيات و منافستهن.

- حين تشيطنين أحكامًا شرعيةً ثابتةً (كالتعدد مثلاً) وتقدحين بمن يذكرها أو يطبقها بحجة أن هذا ليس وقتها، أو أن الرجال اليوم تغيروا، أو أن الظروف لم تعد مشابهةً لما كانت عليه علىٰ عهد النبي ﷺ (وهي بالمناسبة ذات حيل النسويات الإسلاميات)، وإن كان الواقع أن هناك من يسيء تطبيقها لكنك تعممين وتطعنين في الحكم ذاته لا في سوء تطبيقاته من حيث تشعرين أو لا تشعرين.

- حين تكون موادك معنونة بما يشبه:" الصحابية التي .. قبل أي رجل"، كأن في الدين مسابقةٌ بين الجنسين علىٰ الشرف والبرستيج بمنظوره الدنيوي!

- حين يكون تعريفك لإنجاز المرأة ونجاحها وتعبيرها عن جمال دينها محصوراً في خروجها من بيتها وتحصيلها المهني وحيازتها الجوائز والرتب المتقدمة في العالم الرأسمالي الذي يسمي ربة البيت" عاطلةً" ويجعل منها" مسكينة" و" مقهورة".

- حين تنظرين لأي أنثىٰ في الكون (بغض النظر عن دينها وسلوكها) علىٰ أنها أقرب إليك من الشيخ الذي يأخذ بقولٍ صعب عليكِ في حكمٍ مثل خدمة امرأة لزوجها،[١] فتتعاطفين مع امرأة مجرمة وتهاجمين شيخاً "متشدداً" لمجرد أن تلك امرأةٌ وذاك رجل!

- وحين يتحول طرحك إلىٰ تخبيب للنساء[٢] علىٰ أزواجهن بحلّةٍ دينية، فتشعرين صديقتك المتزوجة أن وضعها حزين، بحيث يَكثُر إذا التقيتِ بها أو كلمتِها أن تشتعل المشاكل بينها وبين زوجها، كما يكثر أن تقدمي نماذج الرجال الأشرار المتسلطين الذين يُتعِسون نساءهم، وتكثرين الحديث بالنبرة التنافسية التي تشعر المرأة بأن حقها أعظم بكثير من واجبها، وأنها ينبغي أن تأخذ فقط دون أن تعطي، وأن أي رجلٍ يناقش في ذلك أو يسأل عما له أو يطلبه هو ظالمٌ مستبدٌّ ينبغي التحرّر منه!

وغير ذلك من الصور، لأن معظمنا (إن لم يكن جميعنا) تأثر بالفكر النسوي بدرجة ما، ربما عبر الثقافة المجتمعية، الأخبار، من الصور في المولات، الإعلانات، وسائل التواصل ومحتوىٰ أحاديث الجارات والأقارب والمسلسلات[٣] وغيرها.. فبتنا نرىٰ الأمور في ظل الفكر النسوي دون أن ندرك ونعي..

إضافة لذلك فالمزاج العام الذي يرضي الجمهور ويعجبه هو السير مع ما اعتادوه من نبرة المنافسة بين الجنسين، والانطلاق من مظلومية الأنثىٰ وظالمية

---

(١) والذي هو بدوره مطالب بخدمتها في المنظومة الإسلامية بما أوجبه الإسلام عليه من النفقة عليها وحمايتها

(٢) تخبيب المرأة علىٰ زوجها (بحسب موسوعة الدرر السنية): إفسادها عليه وخداعها بحيث تتزين لها عَداوةَ الزَّوْجِ بذِكْرِ مَساوِئِه أو يَذْكُرُ محاسَن رجُلٍ أجنَبِيٍّ عنها فتُقارِنُه بزَوْجِها، أو يُحسِّن إليها الطَّلاقَ؛ ليتَزَوَّجَها ذاك الرجل أو غيرها.

(٣) ذكر المسلسلات في معرض مصادر المدخلات لا يعني أبداً أنها مقبولة كمصدرٍ للترويح أو الترفيه في البيت المسلم، لكنه بسبب انتشارها وتأثر الثقافة بها.

الذكر، وتصوير الدين على أن واجبه التوافق مع الهوى السائد (المصدّر في حقيقته من الغرب) في التعامل مع المرأة وحقوقها وواجباتها، وكل هذا من التأثر بالنِسْويَّة التي نحتاج لفهم خطرها والتوعية بها..

ولذا نحتاج لكثيرٍ من الوعي الفكري والعلم الشرعي وفهم الواقع والصدق مع النفس والاستعانة بالله لنقدم ما يرضيه سبحانه عنا فعلاً وبشكلٍ مستقلٍّ عن الأهواء والجاهليات والضلالات المحيطة ليكون احتكامنا جميعاً لما يحبه الله وحده ويرضاه لنا، ولذا أيضاً نحتاج لتهيئة النفس كثيراً قبل تصدرها للجمهور أو افتتانها بذاتها أو افتتان غيرها بها..

نسأل الله الهدى والرشاد والتوفيق..

هل الحديث عن النِسْويَّة موجه للنساء فقط؟

وهل المرأة هي وحدها من تأثر بهذه الحركات ويحتاج لتفكيك نتاجها في فكره وشعوره وسلوكه؟

لنسأل أولاً..

- هل سمعتم بشابٍ يشترط علىٰ عروسه أن تمتلك وظيفة لأن "الحياة تشاركية"؟[1]

- هل سمعتم بأبٍ يوجه ابنته قبل الزواج للبحث عن عملٍ أو الحفاظ عليه إن كانت موظّفةً لأن "استقلالها المادي يحفظ كرامتها"؟

- هل سمعتم برجل يمنّ علىٰ زوجته أنه يعمل ويكدّ ليأتيهم بالمال بينما هي تجلس "مرتاحة" في البيت؟

كثيرةٌ هي صور الرجال الذين تأثروا بالفكر النسوي في مجتمعاتنا وجعلوه يحلّ محل شرع الله سبحانه وسنة نبيّه، ويحاولون التوفيق بينه وبين أفكارٍ وتصوّراتٍ مغلوطةٍ عندهم مأخوذة من العادات والتقاليد وبقايا الدين أو عناوين منه، حيث شرْع الله كما هو غاب عن حياة الكثيرين وبقي منه بعض مسمياته التي تمّ ملؤها بعاداتٍ وموروثاتٍ جاهلية، لتأتي وتغزو هذا التناقض بعدها الأفكار النِّسوية وتتم محاولة التوفيق بين ذلك جميعًا في أشكالٍ متنافرةٍ تفترض أن علىٰ المرأة أن تكون شرقيةً وغربيةً في آنٍ معًا، عاملةً وصاحبة دخلٍ وربّة بيتٍ نموذجيّة ومعتنيةً ببيتها ومحققةً لكلّ الصور الهوليوودية والتقليدية خارج البيت وداخله معًا!

ففكر المساواة لم يغزُ عقول النساء وحدهن، إنما تغلغل في المجتمع كله، فصار

---

(١) لا أتحدث عمن وضعه الاقتصادي يضطره لذلك.

الرجل يحمل تخيلاً مستحيّلا عن المرأة المثالية التي يريدها زوجة كانت أو أمًا أو أختًا أو ابنة، كما المرأة تحمل تصوراً خرافيًا عن "النجاح" الذي يجب أن تحققه..

فبات الزوج يتوقع من زوجته أن تنضبط بكل الأعراف المعتادة، وفي نفس الوقت تخرج معه إلىٰ العمل صباحًا لتساويه في طلب الرزق والإنفاق علىٰ الأسرة، ثم وبشكل خارق تتمكن من وضع وجبة العشاء المعدّة بإتقان علىٰ الطاولة حين يأتيان معًا إلىٰ البيت، وتريَه أبناءهم مرتبين نموذجيين حين يجلسون أمامه في مشهد مقتبس من الأفلام والروايات!

إن هذا كله من أثر الفكر النسوي، وإن لم ندركه.. وهو ولا شك موجود في كثير من رجال ونساء مجتمعاتنا المسلمة الذين لم يعودوا يقنعون بمحدودية كل جنسٍ وخصوصيته، فالمرأة لا يمكنها أن تتخلىٰ عن طبيعتها البشرية وحاجاتها النفسية الخاصة، لكن النِسْويَّة خدعتها وخدعت الرجل بأن من واجبها -إضافة إلىٰ ذلك- أن تكون مساوية للرجل في أدواره المجتمعية ومنافِسةً له أيضًا، لمجرد أن بعض مريضات القلوب رأين ذلك وكتبن ونادَينَ في فرضِه علىٰ غيرهن!

ولأن المرأة لا تعيش في عالمها المنعزل، فحل مشاكلها لا يمكن أن يكون من ناحيتها وحدها، إنما ينبغي عليها وعلىٰ الرجل أن يتبصّرا بكل فكر كاذبٍ غزا عقولهما وكوّن تصوّراتهما عن أنفسهما وعن الآخر، ويزيحاه مع ما ورثاه من عادات لا تمت لدينهما الحنيف بصلة، ثم يحلّا شرع الله وسنة نبيه مكان ذاك كله، لأن الله الخالق هو وحده من يعلم بخلقه وبطرق سعادتهم وطمأنينتهم في الحياة، فلا سبيل لنا إلا بالاستقاء من النبع الصافي الذي وضع سبحانه بين أيدينا، حيث ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] وحيث ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم ١١] وحيث ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١]

النِسْويَّة ومعاداة الأسرة.. من المسببات إلى الواقع...

"إن أجندات النِسْويَّة لا تسعىٰ نحو المساواة بين الرجل والمرأة فحسب، وإنما هي حركة سياسية اشتراكية مضادة للعائلة وتشجع علىٰ تدميرها"![1] بهذه الكلمات انتقد الواعظ بات روبرتسون الفكر النسوي، وكذلك قام كثيرون غيره ممن وجدوا لمآلات هذا الفكر خطراً كبيراً علىٰ أصغر وأهم وحدة في المجتمع، فما حقيقة هذه الاتهامات؟ وهل النِسْويَّة -كفكرٍ وفلسفةٍ ونتائج واقعيّة- معادية فعلاً لبُنية الأسرة؟

نماذج من الموجة النِسْويَّة الثانية

كانت مطالب الموجة النِسْويَّة الأولىٰ (١٨٤٨) متركزة علىٰ تحصيل مطالب أساسية لأمورٍ كانت المرأة في أوروبا وأمريكا محرومة منها كالتملك والاستدانة والانتخاب، أما الموجة النِسْويَّة الثانية -أي ما بعد ١٩٦٠- فقد كان تركيزها علىٰ التحرر والمساواة المطلقين المتضمّنين المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة من حيث الواجبات والمستحقّات والأدوار، وتحرّر المرأة والرجل من أي قيود متعلقة بالجسد أو الممارسة الجنسية[2].

كانت سيمون دو بوفوار إحدىٰ أكثر الشخصيات النِسْويَّة تأثيراً؛ تحديداً كونها قرّرت كثيراً من شعارات الموجة النِسْويَّة الثانية وأهدافها في كتابها الفلسفي "الجنس الآخر" عام ١٩٤٩ الذي يعتبره المؤرخون ملهم الموجة الثانية ومشعل فتيلها[3]،

---

(١) Elizabeth Schuett, Pat Robertson has odd take on feminism. Seattle Pi. 2004.
Pat Robertson has odd take on feminism (seattlepi.com)

(٢) John Olson, Feminism. History. 2019.
Feminism's Long History – HISTORY

(٣) History and theory of feminism (cawater-info.net)
Linda Napikoski, Simone de Beauvoir and Second-Wave Feminism. ThoughtCo. 2019.
Alice Schwarzer. "After the Second Sex: Conversations with Simone de Beauvoir." New York: Pantheon Books, 1984.

فلم تكتف دو بوفوار بمطالبتها مساواة المرأة بالرجل، وإنما قررت ضرورة معاداته والاستغناء عنه، وكذلك هدم النظام الأبوي (الذي يعطي للرجل سلطةً في بيته) كونه" يمنعها حريتها" ويجعلها" ملكًا للذكر" عبر الدين والقانون علىٰ حدّ تعبيرها، ولكي تتخلص من كل سلطة تمتلك جسدها فإنها لم تتردد كذلك عن التخلي عن الأمومة التي" تجبرها" علىٰ الخضوع لغير رغباتها من وجهة نظرها![١]

ويمكن بالنظر إلىٰ جزءٍ مما كتبته دو بوفوار فهم فكرها النسوي، فقد قالت: "إن أي دور تقليدي للمرأة ينبغي أن يرفض، فالأمومة لا تحقق ذات المرأة ولا تفتح أي آفاق جديدة للمستقبل، إنما هي مجموعة من المهمات الروتينية التي كانت النساء تفعلها منذ القدم، فلا الإنجاب يقدم للعالم شيئًا ولا الحياة تتوقف علىٰ ترتيب السرير ولا ذاك يعبر عن النفس أو يحققها"[٢].

والغريب -حقًا- أن هذا الفكر انتشر في الغرب كالنار في الهشيم وحمله النسويّون ونادوا به طوال عقود من الزمن مع أنه يهمل أهمية التربية والإنجاب العظيمة، ويتغاضىٰ عن كون المرأة تنشئ وتبني الجيل الذي سيقوم بكل المهمات في المجتمع في المستقبل من خلالهما، فأي تحقيق للذات أكبر من هذا؟

والحقيقة أن أي عمل لا يمكن أن يخلو من روتينٍ وتكرار بالنسبة للرجال والنساء علىٰ السواء، فمعظم الوظائف لا تحقق الذات بالصورة التي يصفها النسويات -من حيث إحداث التغيير المباشر والتعبير عن النفس، إنما هي عبارة عن روتين لا يسمح للموظّف أن يبدي رأيه ولا يغير شيئًا في مهامّه المحددة له مسبقًا، بينما الحلم الذي تقدمه النسويات للمرأة هو أن أي عمل ستحصّله

---

(١) د. البشير عصام المراكشي، برنامج النِسْويَّة (الحلقة ٨)
https://www.youtube.com/watch?v=YtU1JfVIIMQ

(٢) Simon de Beauvoir. "The Second Sex." Trans. Borde, Constsance and Sheila Malovany-Chevallier. New York: Random House, 2010.

بمجرد خروجها من البيت سيكون مثل الذي تفعله الناشطات اللواتي يقضين يومهن بالكتابة وحضور الحفلات والاجتماعات والمناظرات والظهور في اللقاءات الرسمية وتقديم الندوات والمحاضرات!

وقد وافقت الكاتبة والناشطة النِسْويَّة الأمريكية بيتي فريدان على أفكار سيمون من قبلها، وقدّمتها للأمريكيين في كتابها المبسّط "الغموض الأنثوي" حيث انطلقت فريدان من فكرة محورية في كتابها وهي كون ربّات البيوت -جميعهنّ- تعيسات مكتئبات، يعانين الملل والإحباط! ولا يقضين يومهُنَّ إلا مشغولات بتوافه الأمور التي تسليهنَّ عن مأساتهن، بينما هنّ جاهلات ومحتاجات إلىٰ منقذٍ يخرجهن من هذه المعاناة إلىٰ النجاة التي تنتظرهنّ في سوق العمل كما رسمته[١]!

تحدّثت فريدان في الكتاب عن تجربتها في الزواج والإنجاب فبيّنت أنّها عاشت مراحل الأنوثة النمطية، لكنها لم تجد ذاتها في أي منها، فقرّرت تركها وتحقيق طموحاتها في تحرير أمثالها عبر النشاط السياسي والاجتماعي[٢]

إن من أهمّ معضلات النِسْويَّة -كما نرىٰ- هي قضية تحقيق الذات وحصرها في العمل المدرّ للربح المادي المباشر، كما أننا نرىٰ خلطاً وتعميماً كبيراً يمارَس علىٰ النساء جميعهنّ من قبل هذا الفكر، فهو يعمّم تجربة أو رأي البعض علىٰ غيرهن ويخلط بين تحصيل المال وبين الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرىٰ في الحياة كسؤال الغاية والهدف من الوجود، تقول فريدان: "حتىٰ حين تكون الأم آمنة دافئة في بيتها محاطة بأولادها تلبس الحرير والمخمل والجواهر، فإنها حتماً ستطلب ما هو أبعد من ذلك"[٣]، وفريدان ههنا تشير إلىٰ شعور الغائية الذي لم تتمكّن من تفسيره، والذي لا يختلف فيه رجل أو امرأة ولا يجيب عنه العمل المربح مادّياً

---

(١) Betty Friedan. The feminine mystique. WW Norton & Company. 2010.

(٢) المصدر السابق

(٣) Betty Friedan. The feminine mystique. Page 105. WW Norton & Company. 2010.

كما لا تملؤه الأمومة إن لم يكن للإنسان غاية حقيقية يعيش لأجلها -والذي نعلم كمسلمين أنه ينبغي أن يكون رضوان الله والجنة-، أما جعل تحصيل المال نفسه غاية وتحقيقاً للذات فهذا لا يملأ ذاك الفراغ الذي تصفه النسويات، إنما قد يشغل المرء عنه مؤقتاً لا أكثر.

ولنتأمّل التوازن الذي قدمته المنظومة الإسلامية لحياة الفرد والمجتمع حين لم تطالب أحداً بالعيش لغيره، فلا الزوج يعمل في سبيل أبنائه، وليس مطلوباً من الزوجة أن تحترق لأجل أسرتها، بل غاية العمل الذي نقوم به جميعاً هو رضا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولكل فرد واجباته الخاصة المرتبطة بظروفه وابتلاءاته يؤديها مستحضراً مراقبة الله سبحانه له وحده بصرف النظر عن ناتجها الدنيوي وتقييم المجتمع لها، والمرأة قد تعمل خارج البيت وقد لا تفعل لأسباب تخصّ ظروفها وأولوياتها وبيئتها، بينما هي في كل ذلك تعرف ما لها وما عليها شرعاً، وتبني خياراتها علىٰ أولوياتها كأمةٍ لربّها.

هدم الأسرة النووية:

لقد رأت رائدات الموجة النِسْويَّة الثانية متمثلة بحركة تحرير المرأة في الولايات المتحدة ضرورة تخليص المرأة مما سمّوه "سجن الزواج" الذي وصفته فريدان بأنه قفص سنجاب مجمّل تدور فيه المرأة دون توقف[1] كما انتشرت مقولة غلوريا ستاينم: "المرأة بحاجة للرجل كما السمكة بحاجة لدراجة!" والتي سخرت فيها من منظومة الزواج والعلاقة التكاملية فيه[2].

وبهذه الطريقة هاجمت النِسْويَّة الليبرالية الحياة الزوجية بطريقة منمّقة أو ساخرة، أما النِسْويَّة الراديكالية في أصوات مثل كيت ميليت، جيرماين غرير،

(١) المصدر السابق

(٢) Hollie Petit, A Woman Needs a Man Like a Fish Needs a Bicycle. MuddyUm. 2020.

وشولاميث فايرستون فقد وجّهت سهامها نحو بنية الأسرة بشكل مباشر، تقول جيرماين غرير في كتابها "The Female Eunuch": "إن الحياة الزوجية قائمة علىٰ تعنيف النساء والإساءة إليهن وإهانتهن، ولذلك يجب التخلص من مؤسسة الزواج وإيجاد البديل عنها في حياة لا تجبر المرأة علىٰ السكن مع الرجل وفق علاقة محكومة بالقوانين والعقوبات الاجتماعية"[١]! فهي تتحدّث عن إلغاء أي تنظيمٍ أسريّ مرتّب بسبب هوسها بالمساواة المطلقة، والتي بلا شكٍّ تنتج وتنادي بالفوضىٰ والخراب!مكتبة سُر مَن قرأ

كما يبدو واضحاً من خلال قراءة أدبيّات النِسْويَّة ونتاجها أن هناك انشغالاً متعباً لدىٰ هؤلاء بالمنافسة بين الجنسين في كل السياقات مما أدىٰ بهم إلىٰ إخفات مفهوم الأنوثة وما قد يحتويه عن الرقة واللين والتعويض عنه بمشابهة الذكر، ونجدهم في نفس الوقت يجرّمون إلىٰ الذكورة وما يتعلق بها من صفات الشدّة والحزم والغيرة الضرورية في الأب والزوج بشكل عام.

يقول سلطان العميري: لقد أصبحت المجتمعات الإنسانية جراء هذا التصور مكونة من معسكرين متحاربين علىٰ الدوام، معسكر الرجال ومعسكر النساء، كل منهما يظن في الآخر ظن السوء، ويرىٰ أن حياته معارضة لحياة المعسكر الآخر وحقوقه تتناقض مع حقوقه، وهذا التصور تشاؤمي ناقص، وهو ناتج عن توهّمات باطلة مخالفة لطبيعة الوجود، ونحن لا ننكر أن الصراع موجود في الحياة، ولكننا ننكر تعميمه علىٰ كل مظاهرها، والحكم به علىٰ العلاقة بين الرجل والمرأة بالخصوص، فمظاهر الوجود متنوعة كثيراً، منها ما يعيش مع غيره بعلاقة التكامل والتعاضد، ومنها ما يعيش مع غيره بعلاقة التدافع والتصارع[٢].

---

(١) Greer, Germaine, and Andrew Inglis. The female eunuch. London: Paladin, 1971. Karl Thompson, Feminist Perspectives on the Family. Revise Sociology. 2014. https://revisesociology.com/2014/02/10/feminist-perspectives-family/

(٢) سلطان بن عبد الرحمن العميري. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث. مركز تكوين. ٢٠١٨.

وتظهر نتائج هذه النظرة جلية واضحة في التفكك الأسري الذي يشهده الغرب اليوم حيث تنتهي ٥٥٪ من حالات الزواج في فرنسا بالطلاق،[١] ويعيش ربع الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية في أسر أحادية الوالد،[٢] هذه الأسر التي تتزايد باستمرار تقود الأمهات ٨٦٪ منها، ويعيش قرابة ٣ من كل ١٠ منها تحت خط الفقر[٣]، وتظهر إحصائيات كثيرةٌ أن مستوىٰ سعادة أفراد الأسر أحادية الوالد أقل بكثير منه في الأسر التقليدية، كما أن الأبناء يعانون بسبب غياب الأب وتظهر نتائج ذلك في تحصيلهم العلمي وصحتهم النفسية[٤].

فإن مهاجمة النِسْويَّة لمؤسسة الزواج وتجريمها لكل ما يمكن اعتباره دوراً تقليديًا للرجل أضر بالمرأة أولاً وبالمجتمع كله ثانيًا، فالرجال في الغرب اقتنعوا بضرورة تخلّيهم عن كل دور نمطي عرفوه بعدما صار عاراً وذنبًا لهم، وقبلوا بالتخلي عن مسؤوليتهم التي وصفتها النِسْويَّة بالتسلط والأبوية، وبالتالي انقلب الأمر بؤسًا علىٰ النساء اللواتي بتن -في كثير من الحالات- مجبراتٍ علىٰ لعب دور الأب والأم في ظل مجتمع ظالم لا يعطيهن أيًا من حقوقهن الأصلية تحت مسميات التحرر والمساواة!

ولذلك علينا كمسلمين اليوم نقرأُ تلك الأحداث ونرىٰ نتاجها أمامنا أن نعي الخطر القريب ممن يحاولون استيراد هذه الأفكار وتطبيقها علىٰ أسرنا ومجتمعاتنا،

---

(١) Abayomi Jegede, Top 10 countries with highest divorce rates in the world. Trendrr. 2020
Top 10 Countries With Highest Divorce Rate in The World 2020 | Trendrr

(٢) Stephanie Kramer, U.S. has world's highest rate of children living in single-parent households. Factank. Pew Research Center. 2019.
U.S. has world's highest rate of children living in single-parent households | Pew Research Center

(٣) Single Parent Statistics Based on Census Data. Very Well. 2020.
The Single Parent Statistics Based on Census Data (verywellfamily.com

(٤) Mona Charen, Feminism has destabilized the American family. NY Post. 2019.
https://nypost.com/2018/07/07/feminism-has-destabilized-the-american-family/

ليخدعونا بعناوينها التي لا تحكي عن حقيقتها شيئاً ثم يجرونا رويداً رويداً إلىٰ حيث وصل أرباب ذاك الفكر اليوم، ولله الحمد، فإن المسلم يرىٰ ويعمل بكل جهده ليكون منظاره هو منظار الوحي وليس اتباع الهوىٰ ولا التقليد الأعمىٰ لمن يبدو حالهم من بعيدٍ مبهراً أو متقدّماً، فيعلم أن مراد الله عنده هو الذي يسبق رغباته الفردية وإن كانت بتحقيق الذات أو الاستقلالية أو الحريات.

طموحةٌ أم ربّة بيت؟ تحبّ نفسها أم أسرتها؟

من المفاهيم التي ينبغي التوقف معها والوعي بها وضبطها هي الخيارات الثنائية التي يتم وضعها أمام المرأة لرسم رؤيتها لكثيرٍ مما هو أساسيٌّ في حياتها، وإيهامها بأن عليها أن تختار دومًا، فيقال أنها:

- إما أن تكون طموحة وإما أن تكون ربة بيت!

- إما أن تحب نفسها أو أن تحب أبناءها وزوجها!

في تقسيماتٍ ثنائيةٍ غريبة لا صحّة لها، وهي كلّها أفكار مغلوطة مبنية بالأساس علىٰ مسلّمات استوردناها من العالم المادّيّ الرأسمالي الذي يعرّف الطموح بالخروج من البيت، يحصر النجاح بتحصيل المال، يحصر العلم بنيل الشهادات، لا يعترف بنجاح الأم التي تجتهد لتربي أبناءها علىٰ علم، ولا يعتبر الأم التي تقرّ في بيتها تطلب العلم وتعطي نفسها حقها وزوجها حقه وأولادها حقهم أي شيء..

الأم التي لا تعمل خارج البيت، ولا تنال الشهادات الجامعية ولا تحصّل الراتب ولا يعرفها أحد من مدراء الشركات أو المشاهير يمكنها أن تكونَ امرأة ناجحة و"طموحة"، ونحن نحتاج لأن نزرع هذه الفكرة في بناتنا منذ الطفولة بكل وضوح..

فالأمومة تحتاج كثيراً من العلم والصبر والاستعداد، والوصول لتحقيق هذه المهمة كما يرضىٰ الله يحتاج مثابرةً و"طموحًا" كبيراً..

ولا يعني هذا أن النقيض أو غياب الطموح صحيح بالضرورة في المرأة العاملة (التي يناسب ظروفها وحاجاتها أن تكون ذات وظيفة)، إنما يعني أن مفهوم "الطموح" لا علاقة له بالعمل ولا بالشهادات الورقية، وأن النجاح كأمٍ "فقط" ليس بسيطًا ولا قليلاً، بل القليل من يحسنه فعلاً!

أما إعطاء النفس حقها وتقديرها (وهو ما نرضاه من معنىٰ "حبّ النفس")، فكيف يكون علىٰ النقيض من حب الزوج والأبناء وإعطائهم حقهم؟ بل إن كلاً منهما يغذي الآخر، فالمرأة التي تقدر نفسها ينعكس ذلك ثقة وراحة وحِلماً وطمأنينةً في تعاملها مع زوجها وأبنائها وحبها لهم، ونجاحهاً في علاقتها معهم يغذي تقديرها لذاتها، كما أنها إذا حصدت منهم نتاج هذا التعامل المطمئن مودة ورحمةً من زوجها وبراً ووفاءً من أبنائها زادها ذلك تقديراً لنفسها وحباً لذاتها ولربها سبحانه الذي هداها لهذا، ولا شكّ أنه لا توجد مقارنةٌ بين من هذه حالها وبين من لم تكترث لبيتها وأسرتها طول سنوات طفولة أبنائها وحتىٰ يبتعدوا عنها..

ذلك كلّه لأن نتاج التربية الصالحة وحسن التبعّل لا بدّ وأن يوجد في الدنيا قبل الآخرة (وإن علىٰ مستوياتٍ مختلفة وبطرقٍ لا نستطيع دائماً التنبؤ بها)، وذاك يغذّي تقدير النفس ويعود للطموح أيضاً، فلا بد أن تجد المرأة التي قامت بما عليها طوال سنواتٍ وكانت بالفعل بلغة العصر "طموحة" تجتهد لتكون الأم والزوجة التي يرضىٰ الله عنها، فإنها ولا بدّ وأن تجد نتاج ذلك في علاقتها المطمئنة السوّيّة بزوجها حتىٰ بعد بلوغ أو زواج أبنائها، وفي رضاها عن نفسها وراحتها وغياب الشعور بالذنب عنها، وكذلك في برّ أبنائها بها وعلاقتهم القويّة معها[1]..

وهناك بعد سنواتٍ طويلةً من الثبات والصبر وعند النتائج سيظهر أثر هذا "الطموح" وحقيقته التي كانت دائماً عقلانية رغم ما فيها من عواطف، وحكيمة ومنضبطةً وإن صوّرها البعض متهوّرة، وسيظهر الفرق بين هذا وبين نتاج من أهملت ما كان ينبغي أن يكون "طموحها" وجعلت غاية مرادها بلوغ أعلىٰ السلّم

(١) حتىٰ وإن اختار بعضهم طريق الشر فإن شره سيكون أقل بكثيرٍ مما لو لم تقم بتربيته وبناء العلاقة معه.

الوظيفي أو ملء سيرتها الذاتية أو نيل أكبر الجوائز الأكاديمية والمهنية، وقدّمت في سبيل ذلك أولويّاتها من معرفتها بأبنائها ووقتها مع زوجها وإعطاءه حقه ومعرفة نفسها وبناء طمأنينة بيتها!

وكما قال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾..

خطابان مفسدان ينبغي تمييزهما والحذر منهما..

الأول:

"الرجل أخطأ في كذا، ولذا فإن عليك أيتها المرأة أن ترتكبي ذات الخطأ!"

"هو تنصّل من المسؤولية الفلانية؟ تنصّلي أنت من المسؤولية التي تظنّينها مقابلةً لها!"

كأن لسان الحال يقول: أيعقل أن تدعيه يسبقك إلىٰ جهنم! أين المساواة!

وهذا الخطاب درج بطريقة أو بأخرىٰ في الموجة النِسْويَّة الثانية في الغرب، إذ رأت النِّسويات أن الرجال كانوا مهملين لبيوتهم وأسرهم، فكانت دعوتهنّ لمنافسة الرجل في ترك البيت وإهمال مسؤوليات التربية ورعاية الأطفال وتنشئتهم والاهتمام بالأسرة عمومًا، والتي كان الأساس هو مركزيتّها لكل المجتمع، والتي كان ينبغي العمل علىٰ التذكير بها وبأهميتها وتخطئة من يتجاوز عنها، ولكن حصل العكس تمامًا..

ومن ثم تسرّب الخطاب ذاته إلىٰ مجتمعاتنا المسلمة..

أما الثاني:

فهو خطاب التعميم المتسرع ومن ثم الحكم علىٰ الفرد بحسب القاعدة التي أنتجها التعميم، فمثلاً إن وُجد في مكانٍ ما رجلٌ مجرمٌ قتل امرأةً، لا يكون الحديث عن القصاص والحقّ والعدل وحاجة المجتمعات إلىٰ نظام الحكم الإسلاميّ الرشيد، بل يكون الكلام: "النساء يُقتلن!"، "المرأة لا حقوق لها!"، "الرجال مجرمون سفاحون!".. وغير ذلك من التعميمات التي تجعل حادثة أو مجموعة

حوادث قانونـًا عامـًا يفرِض أن علىٰ كل امرأة أن تتوجّس من كلّ رجل وتتبع طريق سوء الظن به والقلق من أي كلمة يقولها لـ"تحمي نفسها من شره"، لا أن تلك القضايا تعالج في سياق بيئتها وظرفها وتحلّل الأمر بحسب الأسباب ونتائجها وضرورة معاقبة الجاني وحده فيها..

ومع اجتماع الخطابين يكون خطأ أيّ رجلٍ مبرِّراً لتخطئ كل النساء، وظلم زوجٍ واحدٍ كفيلاً بأن يمهّد الطريق لإساءة ظنّ كلّ الزوجات بأزواجهنّ ومن ثم قيامهنّ بالسلوك الناتج علىٰ ذاك الظن السيء، كتفسير أقوال الزوج كلّها بأسوأ طرقٍ ممكنة، والاستعداد للطّلاق منه بسبب أي خطأ قد يكون بسيطـًا، مع تسفيه حسناته وعدم الاكتراث بخيره ولا بإصلاح الحياة الزوجية معه، مع أنّ هذه الأسر كانت هانئة ومطمئنة قبل التأثّر بتلك القصّة فقط..

فتكون إساءة الزوجة لزوجها الذي لم يخطئ معها مبرَّرة بسبب ذاك التعميم وردّ الفعل، بل تعبيراً عن الحرية والحقوق، وكذلك نرىٰ نساءً يتحدثن عن سلوك رجلٍ في بلادٍ بعيدةٍ عنهنّ كأنّه الأصل في كلّ رجال بلدهنّ، بل وكأنّه مبررٌ لينفجِرنَ هنّ في وجه أبٍ أو أخٍ أو زوجٍ أمامهنّ، وكل ذلك بسبب سلوكٍ صدر من غيره في الطرف الآخر من العالم..

بينما الحق هو أن يعالج كل إشكال بحسبه وينظر لكل قضية بحسب الظروف والبيئة والعوامل التي ساهمت في حدوثها، فجريمة حصلت لفتاة في قريةٍ في الشرق لا تعطي استنتاجاتٍ علىٰ الفتاة المقيمة في الغرب أن تعيش بها، فلا هذه الفتاة مثل تلك ولا الأنوثة التي يشتركان بها تكفي لتجعلهما في مجموعة متجانسة ينطبق علىٰ كلّها ما ينطبق علىٰ أحدها..

وهذا شرٌّ عظيم أحدثته النِسْويَّة حين أقنعت النساء أنّ هويتهنّ المقدمة علىٰ كل هوية هي كونهن نساء، بغض النظر عن دين الواحدة منهنّ، فكانت التعميمات

الخاطئة والتطبيقات غير المنطقية وحتىٰ اللغة الغريبة التي يتم وصف الأمور بها..

الضحيّة والمظلوم والمعتدىٰ عليه يوصف كما هو، وكلّنا عباد الله وأفرادٌ في أمة محمد، والأقرب إلينا والأشبه بنا ليسوا كل بني جنسنا علىٰ كوكب الأرض، والحمد لله علىٰ دينٍ لا تزر فيه وازرة وزر أخرىٰ، ولا يبرّر اعتداء أحد أن نعتدي نحن بشكل آخر، إذ كلنا آتٍ يوم القيامة فرداً، وكلٌّ مسؤول عما يعمل ويقدم..

والله الهادي إلىٰ صراط مستقيم..

عن تناقض الغربيين.. بين علمهم وواقعهم..

أثناء تحضيري دورةً قدمتها عن تغذية الحامل والمرضع استرجعت ذكرياتٍ كثيرة عن التناقض الذي كنت أشعر به في الجامعة حين أدرس عن هذه المواضيع... وسأحكي لكم لماذا..

الكتب والمراجع والدراسات مليئة بوصف التعب والإرهاق الطبيعي الذي تعاني منه الحامل والمرضع، مليئة بالحديث عن التغيرات الفزيولوجية الطبيعية التي تمر بها، مليئة بتعظيم (تقريباً تقديس) الرضاعة الطبيعية لفوائدها العجيبة تغذوياً ونفسياً وفي الوقاية من شتىٰ الأمراض والتي ما تزال الدراسات تبهرنا بها طوال حياة هذا الطفل، مليئة بالحديث عن حاجة الأم للراحة والتعافي وإعطاء جسدها حقه وتقبّل تغيراته والسير معه مع كل ما يجري فيه....

ثم ماذا؟

هل يقولون للأم أن ترتاح فعلاً؟

هل يكتبون في التوصيات أي شيء عن تطبيق العلم؟

هل يقولون أنّ تناقص الرضاعة الطبيعية الذي حصل حول العالم مع خروج النساء للعمل كان حقيقة مرتبطاً بخروجهن للعمل؟!

هل يحلون معضلة حاجتها للراحة واجبارهم إياها علىٰ العمل بحجة أنها ستكون عاطلة فاشلة غير مساهمة في المجتمع ولا محققة لذاتها إن فعلت؟

أبداً! ولا أياً من ذلك!

كنت أبحث في تأثير بقاء النساء في البيت في وقت كوفيد-١٩ علىٰ الرضاعة

ونسبتها قبل مدة يسيرة، والنتائج واضحة صارخة أن الرضاعة الطبيعية زادت جداً بسبب البقاء في البيوت، أن النساء يكرهن ماكينات تسحيب الحليب، أنهن سعيدات جداً بالوقت مع صغارهن، وأنهن ممتنّات لهذا ويتمنّين عدم انتهائه..

لكن كل ذلك لا يمكن أبداً أن يفضي بـ "المجتمع العلمي "للتوصية بالحاجة لوجود تغييرٍ يسمح للنساء بالبقاء في البيت، لا يمكّننا من أن نسمعه يتحدث عن إجبار النساء علىٰ العمل كثقافة وحالة مزمنة مشكلة، أبداً!

فالعلوم لا تستطيع حقيقةً ان تنكر الحقائق الواضحة أمامها من الفزيولوجيا والطبيعة، لكن أهلها في ذات الوقت أقل عقلاً بكثير من أن يستنتجوا من كل تلك النظريات الفائدة العملية المنطقية التي تقول لهم الحق الذي تنكره فلسفاتهم ومنظروهم الحقوقيون!

والأبحاث التي نظهر فوائد الرضاعة ولمدة عامين لا تستنتج في فقرة المناقشة أن علىٰ المجتمع أن يربي بناته علىٰ الرضا عن النفس بتربية الأبناء والفرح بهم، وتصحيح مفهوم اثبات الذات وتحقيق الإمكانات! أبداً!

لكن تقول في مناقشتها أن علىٰ الحكومة أن تفرض علىٰ الشركات تأمين غرفة لضخ الحليب للمرأة المرضعة، لتذهب للعمل وهي حديثة الولادة، تشقىٰ وتتعب وتترك وليدها في الحضانة و"تستمتع" كل ساعتين بربع ساعة في غرفة منفردة تستخرج فيها وحيدةً الحليب من ثديها لجهاز بلاستيكي ميت!

هذه هي العدالة والمساواة التي يريدون لها!

سيناقشون في تطويل إجازة الأمومة، في كونها مدفوعة، وفي كل الطرق لجعل العمل متاحاً ومستمراً للأم الجديدة، لكن لن يرجعوا خطوةً للوراء ليسألوا: كيف وصلنا إلىٰ هنا؟ هل يجب فعلاً أن تعمل الأم؟ لماذا يفكر المجتمع بهذه الطريقة؟ هل يمكن أن يكون نظامنا الاقتصادي والاجتماعي والفكري الذي يفرض هذا

خاطئًا أصلاً وهو يناقض كل ما تظهره أبحاثنا؟

بعد كل العلم وكل الأبحاث لا يقال إنك أيتها المرأة بحاجة لابنك، لا يقال إن الحمل والولادة والتربية وكل ما فيها كافية، بل وعظيمة تمامًا للكِ!

لكن أن عليكِ بطريقة سحرية أن تجدي القوىٰ الخارقة لتطبقي نتيجة الأبحاث وتعيشي في ضمن هذه الأيديولوجيات! أعطي طفلك كل الحب والرعاية والحنان والغذاء، وفي نفس الوقت أعط العالم الرأسمالي روحك وكل طاقتك في الشركات والمكاتب!

كيف؟ هذه مشكلتك! فتدبريها!

كم هي خدعة لئيمة!

تلك التي ملؤونا بها حين أقنعونا أن تمكيننا هو في الخروج من البيت رغم أنوفنا كلّ يوم، ترك أسرنا وأطفالنا والمكان الذي لا يمكن لأحدٍ أن يستبدلنا فيه، الإعراض عن الأدوار التي في فطرتنا حبّها، لارتداء لباسٍ رسمي، ثم الجلوس في مكتب أو التجول في شركة أو مصنع أو مؤسسة حيث نبيع بعض المواد أو ننظم بعض الجداول أو نرسم بعض المخطّطات أو نتعامل مع بعض الزبائن والزملاء الذين لا يعرفوننا ويمكن لأي أحد غيرنا أن يتعامل معهم بدلاً منا..

لنعود مساءً والإنهاك يقتلنا لبيتٍ باردٍ وطفلٍ نَعِسٍ بعد يومٍ طويل قضاه مع الغرباء، محتاجٍ للكلام والتفاعل والسماع من والديه والارتماء بحضنهما، لنضعَ وجبة طعامٍ جاهزةٍ لا ذكريات فيها ولا مشاعر، لم نحضّرها في الجوّ الأسريّ الحيّ بالحبّ ولا اعتنينا بنكهاتها أو قيمتها الغذائية أو الثقافة أو الهوّية التي تحتويها، ولا يمكننا بعد ذاك البعد والإرهاق وضمن ذاك الاستعجالِ الجلوسُ لتناولها في مجلسٍ من التأنّي و الرحمة والمودّة والإيثار علىٰ الطعام أو ما تبقّىٰ منه، ذاك المجلس الذي يرفع الرجل فيه اللقمة لفم زوجته ويحادث الأبوان أطفالهما ويتجاذب الجميع أطراف الحديث ويتبادلون الضحكات والمرح ويحمدون الله علىٰ نعمه قلّت أو كثرت، كل ذلك يغيب ومعه يضيع أثره القريب والبعيد في نفوس الجميع، ليحلّ محلّه بعض الطعام الجاهز من وجبة برغر سريعةٍ أو دجاجٍ مقليٍّ باهت يتناوله كلّ فردٍ علىٰ عجلٍ وحده في صمتٍ وشرود ذهنٍ وجمود..

ثم يتبعه انكبابٌ علىٰ السرير وقد نفذت آخر ذرة طاقة في كلٍّ منّا..

كم هي خدعة لئيمة تلك التي شوّهوا بها حال جداتنا اللواتي كنّ في شبابهنّ فعلاً قويّاتٍ ممكّنات يفِضْن بحكمتهن وحنانهنّ وعطفهنّ علىٰ سائر الأسرة وهنّ

جالساتٍ في بيوتهنّ، يربّين الأطفال الذين لا غنىٰ لهم عنهن، يعملن الدور الذي لا يستطيع غيرهنّ ملأه، يشعرن بأنهنّ أساسيات في حياة أشخاص حقيقيين[١] يعانقونهنّ بكلّ حبٍ وودٍ وشوق كل يوم، يصنعن الطعام المغذّي الذي يملأ بكل لقمة ميزانهن وقلوب قبل بطون أولادهنّ، يملأن بيوتهنّ ونفوس أسرهنّ دفئاً وأمناً وسكينة في قوةٍ وجَلَدٍ، لا تُقتَل أرواحهنّ ولا تستغلّ آخر ذرّة طاقة فيهنّ من أجل عملٍ أو شركةٍ أو ربح..

كم هي خدعةٌ لئيمةٌ تلك التي أوصلت الفتاة لتخيّل حلمها في حياةٍ تدوس عليها، تأخذ منها راحتها وتملي عليها متىٰ تتزوج ومتىٰ تنجب ومتىٰ تعود للعمل ومتىٰ تخرج منه، بينما القوة الحقيقية والقيمة والأثر وتحقيق الذات الذي لا يقاس هو الذي كان قبل أن يطولوه ويسلبوه..

جداتنا لم يكنّ جاهلات، لم يكن "بسيطات"، وربات البيوت اليوم لسن كذلك أيضاً، ففي البيت تبنىٰ أمة، في المطبخ وغرفة الجلوس والنوم، في ترقيع بنطال أو تحضير خبزٍ، أو حكاية قصة أو قراءة كتاب أو طلب علم أو تسميع سورة، في البيت بوابات عظيمة من العلم والتعليم والفهم والاطمئنان وصناعة النفوس وفهمها والتعامل مع مشاعرها وتفاعلاتها ومهاراتها..

لكنهم بكلّ لؤمٍ خدعونا.. ولهذا كله نحتاج العمل ابتداء من نفس كل منا[٢]..

---

(١) بدل الحرص علىٰ إعجاب أشخاص غرب عنهن في العالم الافتراضي علىٰ وسائل التواصل بينما أبناؤهن في طي الإهمال

(٢) تنبيه: أحتاج للتأكيد علىٰ أنني لا أهاجم المرأة العاملة، لا أقول أن كل العمل سواء، ولا أقول أن كل من تعمل تفعل ذلك لأجل سببٍ معين، لكن أتحدث عن المفهوم وتطور الفكرة، والهندسة الاجتماعية التي أوصلت ما كان حلاً لوضعٍ استثنائي أو مطلباً ظنّه البعض حقوقياً ليكون واجباً علىٰ جميع النساء بفعل تغيرات طالت الاقتصاد والثقافة وغيرها، حتىٰ خسرنا جزءاً كبيراً من حريتنا كبشرٍ عبادِ الله.. وابحثي/ ابحث عما ينفعكم..

عن الرجولة المشوهة التي تُصَدَّر..

قبل يومين ظهرت لي صورة "فاشنيستا"[1] علمتُ لاحقًا أنها مشهورةٌ يزيد متابعوها على ١٥ مليونًا.. واحدةٌ من هؤلاء الضائعين الذين يعرضون مفاتنهم على الملأ مقابل أن يلبسوا لتلك الشركة أو يسوّقوا هذه المجوهرات أو يجذبوا الأنظار فقط، فيملؤون فضاء الانترنت بما يستطيعون إبرازه من أجسادهن المسكينة الرخيصة مقابل شيء من المال..

لكن هذه الصورة لم تكن الفتاة فيها وحدها، إنّما مع ذكرٍ يقف بجانبها ينظر في الناحية الأخرى كأنه مستعلٍ أو غير آبه بها.. وتعليقها تحت الصورة يهنئه بيوم ميلاده ويقول ما معناه: "كل عام وأنت بخير يا أحنّ وأطيب من عرفت.."..

إنه زوجها! يقف بجانبها وهي تظهر بلباسٍ مبتذلٍ وملفتٍ! وهي تمدحه بأنه طيّب وحنون!

وهذا ما صدمني وجعلني أتوقف وأتفكّر..

أتساءل، هل تريد المرأة رجلاً -عفواً ذكراً- كهذا حقًا؟ هل هذا هو الذي تبحث عنه؟ ذكرٌ يوافق على استعراضها لنفسها وهو واقفٌ يشاهدها ويشيح بنظره عنها وينتظر ربحها للمال من ذلك؟ رجلٌ لا يغار عليها من الملايين الذين يستمتعون بمشاهدة لحمها المتاح لكل من هب ودبّ، بل ربما يهنّئها بازدياد من يراقبونها! ذكرٌ لا يأبه بحمايتها ولا بصيانتها ولا يرى لنفسه أصلاً علاقةٌ بها! هل هذا "الحنان"

---

(١) فتاةٌ تجعل مهنتها أن تظهر على وسائل التواصل لتعلّم المتابعات كيف يخترن ملابسهنّ أو ينسّقنها أو أي العلامات التجارية أفضل وكل ذلك عبر استعراضها على نفسها، وقد تدخل في مجال تعليم الفتيات وضع المكياج عبر تطبيقه أمامهنّ في مقاطع كثيرة.

و"الطيبة" هي صفات الرجل المثالي عند هذه المرأة؟ وهل هذا يسعدها ويكفيها فعلاً؟

وما الذي يتمّ فعله علىٰ الرجال الذين كان أسلافهم يغارون علىٰ المرأة حتىٰ من نسمة الهواء ليصلوا اليوم إلىٰ هذه المرحلة التي يبيعون فيها كلّ شيءٍ ليقال "كول" ولتزداد شعبيتهم أو يكسبوا بعض الإعجابات والموافقات علىٰ صورهم!

ما الذي تُوَسَّخُ به أدمغة الشباب والفتيات؟ وكيف تُنتَج هذه المسوخ في المجتمع لتقول للفتاة التي تسافر عير هاتفها وتمر علىٰ هذه الصور أن هذه هي السعادة وهذا هو الحلم وهذه هي "الرومانسية" التي تحتاج تحصيلها؟! ولتقول للشابّ الذي ينظر من بعيد أنه يكفيه أن يتأنق وينفخ عضلاته ويقف بجانب امرأته صامتاً ليكون الرجل المثالي في مجتمعه! لا حاجة لحماية نسائه ولا لانفعاله ولا لقيامه بأي دورٍ عليه! قف هناك، واصمت فقط!

والرسالة بعد كل ذلك..

اعلموا أن هذه الصور تتكاثر جداً حولكم وحول أبنائكم وبناتكم ومن تربّون، احموهم واحموا نفوسكم منها ما استطعتم، أنكروا المنكر ولو بألسنتكم وقلوبكم ، وأثنوا علىٰ الرجولة والأنوثة الحقّ الجميلة الفطرية، علىٰ معنىٰ ووجود الأنثىٰ الرقيقة التي لا تخجل من ضعفها، علىٰ معاني الأبوة والأمومة وأدوار الأنثىٰ والرجل وافتخروا بها وبكل وضوح..

كأبٍ اعلم أن ابنتك تحتاج منك الحماية كما تحتاج الحنان، تشعر بالأمان والحبّ وبقيمتها عندك حين تمنع عنها ما يضرّها[1] كما تفعل حين تجالسها

(١) المرء يشعر بالأمان حين يجد من يربيه أو من له سلطةٌ عليه يكترث به بما يكفي ليمنع عنه ما يضرّه، وإن أبدىٰ استياءً من ذلك وقاومه، لذلك تظهر الدراسات أن الأطفال الذين يكبرون في بيوتٍ متسيّبة لا قوانين لها كثيراً ما يفتقدون الشعور بالأمان، وهذا قد يكون ذا تأثير طويل الأمد عليهم.

وتكلّمها وتحاورها، أرها أنّك تحميها وتعتني بها وإن كان تطبيق ذلك ضدّ هواها، أرها صورة الرجل المتوازن في سؤالك عنها وعنايتك بها واهتمامك بها، أرها صورة الزوج المتّصف بالحزم والكرم والرحمة والذي تريده في زوجها، يحميها وتطمئنّ معه، يغار عليها وتشعر بأهميتها عنده، يقود أسرته بصبرٍ وحكمةٍ واهتمامٍ وعلمٍ، وهو مع ذلك صاحب عاطفةٍ حيّةٍ قادرةٍ علىٰ التفاعل بالفرح والحزن والإحساس بالآخرين وقرب الدمعة..

حدّثوا أبناءكم وبناتكم عن القدوات الرجال الحقيقيين، رسول الله ﷺ والأنبياء قبله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وصحابته بعده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن ثمّ أبطال تاريخنا الحافل..

عن الرجولة الكريمة حين سقىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ للفتاتين دون أن يطلبا منه ثم تولّىٰ إلىٰ الظلّ ولم يكلّمهما بما لا حاجة له ولم يطلب أيّ مقابلٍ لإحسانه..

عن الحنان الصادق حين وقف رسول الله ﷺ لعائشة حتىٰ تنظر للحبشة يلعبون، فوضعت ذقنها علىٰ عاتقه وأسندت وجهها إلىٰ خدّه الشريف، وهو يمهلها وينتظر أن تفرَغ، وهي تسأله ألا يعجل عليها[1]..

عن الرحمة والقوّة حين منع ﷺ عمّته صفيّة من رؤية أخيها حمزة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) وقد مُثِّل به بعد أحدٍ خوفًا عليها أن يؤذيها المشهد[2]..

---

(١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخلتِ الحبشةُ المسجدَ يلعبون في المسجدِ، فقال: يا حُمَيْراءُ، أتُحِبِّين أن تنظري إليهم؟ فقلتُ: نعم. فقام بالبابِ، وجئته فوضَعتُ ذَقَني علىٰ عاتِقِه، وأَسْنَدْتُ وجهي إلىٰ خَدِّه، قالت: ومِن قولِهم يومئذٍ: أبَا القاسم طَيِّبًا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: حَسْبُكِ. فقُلْتُ: لا تَعْجَل يا رسولَ اللهِ. فقامَ لي، ثم قال: حَسْبُكِ. قلتُ: لا تَعْجَلْ يا رسولَ اللهِ. قالت: وما لي حبُّ النظرِ إليهم؛ وَلكني أَحْبَبْتُ أن يَبْلَغَ النساءَ مقامُه لي ومكاني منه. (أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ)

(٢) عن الزبير بن العوّام أنَّهُ لمَّا كانَ يَومُ أُحُدٍ أقبَلَتِ امرَأةٌ تَسعىٰ، حتىٰ إذا كادَتْ أنْ تُشرِفَ علىٰ القَتلىٰ، قال: فكَرِهَ النَّبيُّ ﷺ أنْ تَراهم. فقال: المَرأةَ، المَرأةَ. قال الزُّبَيرُ: فتوَسَّمتُ أنَّها أُمِّي صَفيَّةُ، قال: فخرَجتُ أسعىٰ إليها، فأدرَكتُها قَبلَ أنْ تَنتَهيَ إلىٰ القَتلىٰ، قال: فلَدَمَتْ في صَدري، وكانتِ امرَأةً جَلدةً، قالتْ: إليكَ، لا أرضَ لكَ. قال: فقلتُ: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ عزَمَ عليكِ. قال: فوقَفَتْ، وأخرَجَتْ ثَوبَيْنِ معها، فقالتْ: هذانِ ثَوبانِ جِئتُ بهما لِأخي حَمزةَ، فقد بلَغَني مَقتَلُهُ، فكَفِّنوهُ فيهما. قال: فجِئْنا بالثَّوبَيْنِ=

عن غَيرة المسلمين علىٰ امرأةٍ منهم حين حرّك قائدهم المعتصم جيشًا كاملاً لأنّ امرأةً استغاثت به ونادت "وامعتصماه"!

هذه هي الرجولة الحقيقية، وتاريخنا وتراثنا مليءٌ بكنوزها المبهرة التي نحتاج لأن نرتوي ونروي منها أبناءنا ونملأ تصوّراتهم بها بدل التشوّهات التي تتصدّر الشاشات وصفحات الإفساد أمامهم اليوم..

نسأل الله أن يعيننا وأن يهبنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ويجعلنا للمتقين إمامًا..

=لِنُكَفِّنَ فيهما حَمزةَ، فإذا إلىٰ جَنبِهِ رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ قَتيلٌ، قد فُعِلَ به كما فُعِلَ بِحَمزةَ، قال: فوجَدْنا غَضاضةً وحَياءً أنْ نُكَفِّنَ حَمزةَ في ثَوبَيْنِ، والأنصاريُّ لا كفَنَ له. فقُلْنا: لِحَمزةَ ثَوبٌ، ولِلأنصاريِّ ثَوبٌ. فقَدَرناهما فكانَ أحَدُهما أكبَرَ مِنَ الآخَرِ، فأقرَعْنا بَينَهما، فكَفَّنَّا كُلَّ واحِدٍ منهما في الثَّوبِ الذي طارَ له. (أخرجه أحمد)

ما الذي تمضي إليه المجتمعات؟

قبل أيام أعلن الممثل الأمريكي نيك كانون أنه ينتظر ابنه التاسع من المرأة الخامسة هذا العام..

الأمهات الخمس ومنهنّ هذه الأم الجديدة هنّ صديقات الممثل (كان زوج إحداهنّ لبعض الوقت)، هو لا يسكن مع أيٍّ منهنّ، لا يحضر في حياة أيٍّ من أبنائهنّ كأب، ولا يتحمّل مسؤولية الزوج في بيت أيٍّ منهن، والأمر كلّه بالنسبة للإعلام الغربي ولـ"متحررين" عاديٌّ وطبيعي، بل ويستحق المباركات وكلمات التشجيع والتصفيق و"so cute!" ، و"انظروا لصور الأطفال ما أجملها!"، ولا يتم التعامل مع هذا بأي استغراب ولا إنكار!

أما الإعلام المخادع فيقول بكلّ وقاحة: "انظروا للشرير المسلم الشرقيّ الخائن الذي تزوج علىٰ امرأته! وانظروا لهذا الفنان اللطيف الأنيق الذي يحتفل بولادة ابنه التاسع من صديقته الخامسة!"

الممثل المشهور صاحب الثروة الضخمة و"عائلته" كما يسميها الإعلام هو الانعكاس الطبيعي لكل ما دعت إليه الحداثة والأيديولوجيا النِسْويَّة علىٰ مر عقودٍ طويلةٍ من ذم كلّ ما هو "تقليديّ" والاحتفال بكل ما هو جديد ومختلف، ومن ذلك تفكيك الأسرة التقليدية وتجريم الاعتراف بالفروق بين الجنسين، ودعوىٰ المساواة المطلقة بين النساء والرجال، والتي أدت لاعتبار دور الزوج والأب المسؤول أمراً قبيحاً مكروهاً يستحق الاتهام وألقاب "الذكوريّة السامة" و"التسلّط"، التي ينفر منها البعض ويبحثون عن عكسها، وبالتالي لا يبالون حين يرون "أبًا" بهذا التسيّب وعدم الاكتراث وهو مستمرٌّ وفخورٌ بفجوره!

فهذا الممثل الذي يقول صراحةً أنه يريد المزيد من الأطفال، وأنّ واحداً من

التسعة لم يكن بالخطأ، هو الرجل المثاليّ في عين هؤلاء الحداثيين، فهو ليس زوجًا ممارسًا لـ"سلطته الأبوية" علىٰ زوجته، ولا هو يسير علىٰ أي دينٍ أو عرفٍ أو تقليدٍ في قراراته، إنما هو يتبع هواه الطفولي المجنون ويدير ظهره للخراب الذي ينشئه فقط!

والغريب أن هذه السيولة وصلت بالمجتمع إلىٰ أن يعيش الرجل الثري دوراً شبيهاً بدور السيّد الأرستقراطي في قصور العصور الوسطىٰ التي يظنون أنّهم أفضل بكثيرٍ من أهلها، فهو يقضي كل ليلةٍ مع امرأةٍ وحيدةٍ بمجرد أنّه يستطيع شراء العَشاء لها، ثم يتركها مع طفلٍ لا يستحي من الاعتراف بأنه ابنه ولا يحاسبه أحدٌ عليه، كلّ هذا في إطار أنّ هذه العشيقة التي تركها أمّاً وذهب هي مثال المرأة "القوية" التي تنشر صورها علىٰ انستغرام وتقنع العالم بأنها "مستقلّةٌ" و"سعيدة"!

والنتيجة اليوم هي كثيرٌ من الأطفال الذين يعيشون دون أب (وإن كان الذكر المتسبّب في إنجابهم يرسل لهم المال!)، والكثير من النساء اللواتي عليهنّ أن يكنّ بمفردهنّ الأم والأب لأطفالهنّ لأنّ أسلافهنّ من النِّسويات ادّعين أنهنّ لا يحتجن الرجال، وتستمرّ الحلقة في إنتاج المزيد من الأبناء الذين سيكبرون كذكورٍ غير مسؤولين يسيرون ويعيشون بهواهم، لسان حال أحدهم يقول: "إن كان حملي لمسؤولياتي = الذكوريّة السامة، فلمَ أحملها أصلاً!"، "وإن كانت الأسرة التي تفرض عليّ الالتزام مقابل تحصيل حاجاتي مؤسسةً شريرةً برأيكم، فلمَ لا أحصل علىٰ ما أريده بالمجّان!"

وإن كان الكلام بالطبع لا يرفع المسؤولية عن أي رجل يفكّر بتلك الطريقة، فإن السّبب الأساسي لذاك الانحدار هو الذي يتم دفع مجتمعاتنا إليه اليوم والذي نحتاج الوعي بتنزّلاته الصغيرة البطيئة علىٰ أرض الواقع، من تشويه منظومة الزواج وتعسيره وتأخيره، ورفع دعاوىٰ مساواة الرجل والمرأة، وتشويه معاني الرجولة ودور الرجل في أسرته ومجتمعه، وكذلك هدم معاني الأنوثة والأمومة، ودفع

الجميع إلىٰ سوق العمل الذي لا يرحم، ومن ثم استهلاك فكرهم وقلوبهم في وسائل التواصل التي تسرق منهم مجرد التفكير بحالهم في وقت فراغهم ليصير جلّ همّهم جمع اللايكات والمشاهدات والمشاركات.

ليصلوا بنا لذات الجنون الذي لا يأبه الناس به طالما أنه "كيوت" ويجمع اللايكات ويعجب الحشود التي تنتظر صور الطفل الظريف الجديد!

كيف نرد على جماعة "جسدي ملكي"
وما أشبه ذلك من جنون؟!

اسألوا أولئك الذين يرفعون ذاك الشعار ليقولوا أنّ من حقّهم عصيان ربهم في جسدهم أو تدميره أو إفساده كما يشاؤون:

أيمكنكم أن تبدلوا حمضاً نووياً واحداً في خليةٍ من الثلاثين تريليون خلية الموجودة في جسدكم؟

أيمكنكم أن تختاروا لون بقعةٍ صغيرةٍ من دماغكم؟

أيمكنكم تجميد الدم في عروقكم للحظة دون أن تموتوا؟

أيمكن لأحدكم اقتلاع قلبه من صدره ثم الاستمرار بالحياة دونه؟

أيمكنكم أمر شعرة واحدة في جسدكم ألا تقف حين تتحسّس البرد؟

دعوهم يتأملون في هذه التساؤلات وتفاصيل هذا الجسد الذي يدّعون امتلاكه ويظنّون أنّ من حقهم اختيار ما يفعلونه به أو كيف يتبعونه أهواءهم أو يختارون ما يكشفونه أو يخفونه منه.. ثم أخبروهم:

إن كانت إجابتكم لكل ما سبق "لا" فاعلموا أن هذا بسبب ضعفكم وافتقاركم، اعلموا أنه بسبب حقيقتكم وحقيقتنا، أننا مخلوقون أصلاً لم نوجد نفوسنا ولسنا من يبقيها حيّة ولا من اختار لها النظام العجيب المبهر الذي فيها، هذا القلب الذي ينبض في كلّ ثانيةٍ لا ينبض بفضل الإنسان الذي رزقه الله له، هاتان الرئتان اللتان تعملان دون كللٍ أو ملل هناك من يأمرهما لتعملا بهذا النسق، الأعضاء كلها، الهرمونات التي تتدفق خلال الدم بدقّةٍ تصل لكلّ ذرّةٍ من كمّيّاتها، تكامل كلّ نسيجٍ

داخل الجسم مع غيره ومثاليّته لوظيفته.. كلهّا لم نخترها ولم تكن لنا أي يدٍ فيها..

فاخضعوا لمن بيده ملكوت كل شيءٍ وبيده أنفسكم، لمن هو وحده الخالق والبارئ والمصوّر، اعلموا أنكم عبادٌ له مذلولون مقهورون لحكمه أقررتم بذلك أم أنكرتموه، رضيتم بذلك أم رفضتموه، وجسدكم هذا الذي تظنّون أنكم تمتلكونه هو في يده سبحانه وحده، يملك أن يميته الآن بسكتة قلبية أو بغيرها، يملك وحده أن يوقف هذا القلب أو يجمّد ذاك الدم، يملك أن يغيّر شيئاً دقيقاً في ذاك الدماغ بـ"كن فيكون" فتتبدّل ذاكرتكم أو يتغيّر ذكاءكم أو قدراتكم.. ولا تملكون أمام ذلك شيئاً!

تذكّروا أنكم لم تختاروا لونكم ولا عرقكم ولا سنة ميلادكم ولا موقعه، تذكّروا أنكم لم تختاروا أن توجَدوا ولا أسرتكم ولا جنسكم، تذكروا أنكم لم تكونوا شيئاً قبل بضعة عقود، وستصيرون تراباً بعد بضعة عقود فقط!

تذكروا أنكم أتيتم لهذه الدنيا عاجزين صغاراً لا تملكون إلا البكاء والصراخ ليأتيكم من سخّر الله لكم بالغذاء والماء والخدمة حتىٰ كبرتم واشتد عودكم.

تذكروا نقصكم وجهلكم وحدودكم.

تأملوا في أصغر خلية في جسدكم، واعلموا أنكم لم ولن تستطيعوا صناعة ما يشبهها فضلاً عن أن تملكوها نفسها، فلا أنتم مدبرون لأمر نفسكم ولا أنتم ملمّون بمكنونات هذا الجسد الذي تدّعون امتلاكه، فأما آن لكم أن تفتحوا عيونكم؟

لكن سبحانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القائل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾[العلق:٦-٨]

وسبحانه إذ يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[يس:٧٧]

اعلموا بعد كلّ ذلك أن الأوان لم يفت لتتوبوا إلىٰ الله عن تلك الأفكار وترجعوا إليه، بإمكانكم تغيير أفكاركم ومراجعة نفوسكم ابتداءً من هذه اللحظة، استغفروا ربّكم واحمدوه لأنّه أمهلكم حتىٰ تتوبوا إليه وتستعيذوا من الكبر عن طاعته وعبادته، واذكروا قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، سبحانه ما أكرمه وما أحلمه..

(الصورة: نموذج لخليةٍ حيوانية، عن قناة Nucleus Medical Media علىٰ يوتيوب)[1]

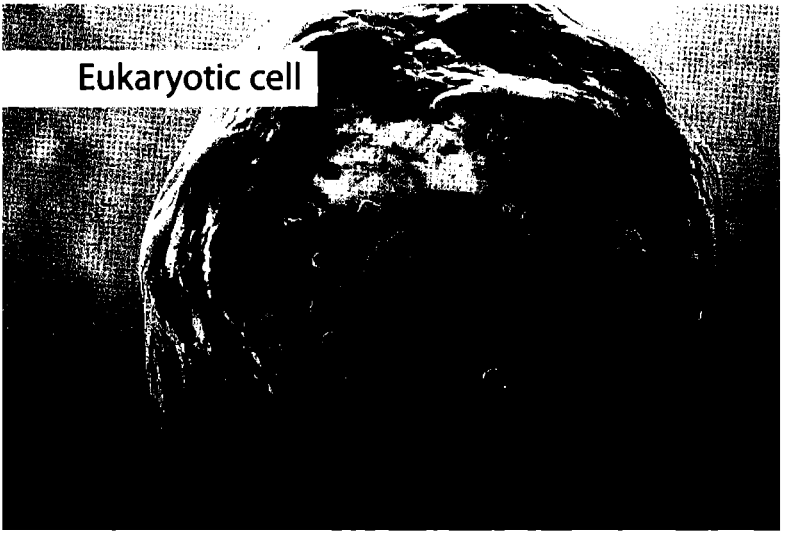

(١) المقطع الذي منه الصورة https://youtu.be/URUJD5NEXC8

عن مفهوم الـ"Bad Girl":
عندما يغدو السيء جميلاً..

في عام ٢٠٢١ أطلقت ديزني فلمها Cruella الذي يحكي قصة الشريرة من فلمٍ قديمٍ يعود للستينات عن ١٠١ من الكلابِ المرقّطة التي تحاول سيّدةٍ غريبة الشكل (ذات شعر منفوشٍ نصفه أبيض ونصفه أسود، وسلوكيّاتٍ منفّرةٍ كأسلوب الكلام المستعل والاستهزاء ممن حولها) اختطافها لتحول جلدها إلىٰ معاطف فروٍ ترتديها وتبيعها.

وطبعاً لأن المجتمع الأمريكي يحبّ الكلاب بشكلٍ غير عقلانيّ ويغدق عليها مشاعر الأمومة والأبوّة والرحمة فإن قصة الفلم الأصليّ (الذي صدر في الستينات) كانت شديدة التأثير والشّعبيّة، والشرّيرة فيه -شخصيّة Cruella- كانت من أكثر الأشرار الخياليين المكروهين شعبياً في إنتاجات ديزني عبر العقود.

لكن الفلم الجديد الذي ظهر عام ٢٠٢١ قدّم القصّة من زاوية مختلفةٍ تماماً، حيث أتىٰ بتلك الشريرة علىٰ أنها هي البطلة، وجعل أفعالها هي المشوّقة التي نريد كمشاهدين لها أن تستمر وتحقق ثمارها المنشودة!

وقد كنت أنوي الكتابة عن فلم Cruella أول ظهوره، ثم امتنعت عن ذلك لمّا ظننت أفكاره واضحة السوء لدرجة تجعل من المستحيل وصولها لمجتمعاتنا، وذلك إلىٰ أن رأيت الـ "ترينـد "الجديد الذي تظهر فيه الفتيات الغربيّات يحكين قصصهنّ عبر مقاطع تيكتوك قصيرة سريعة تجمع صوراً من حياتهن القديمة حين كنّ فتياتٍ "جيداتٍ "بنظر المجتمع، "نمطيّات "، متزوجات أو مخطوبات، ويتبعنها بصورٍ من حياتهنّ الآن حين "تحررن "وظهرت حقيقتهنّ الآن والتي هي أنهنّ "باد جيرل "، غالباً قد تركن الأسرة وأعراف المجتمع "المقيِّدة "، يلبسن الثياب الفاضحة

ولا يكترثن (كما يدّعين) بأحد، مرفقةً بأغنيةٍ تقول كلماتها: "كنتُ في التاسعة عشرة بفستانٍ أبيض، صامتة لا أناقش، لعبتُ دوري في وهمكَ الذي أخبرتني فيه أني أميرتك.." ثم تتسارع الموسيقىٰ لتقول: "لكنّي نسيت أني باد غرل.. سندريلا ماتت الآن.."! ليتم التفاعل مع الأمر كشيءٍ جميلٍ تجب تحيته وتشجيعه والتصفيق له!

والعجيب دخول كثيرٍ من الفتيات المسلمات هذه الـ"ترينڈ"، مع ذات أسلوب الصور السريعة وذات الموسيقىٰ الشيطانية وكلماتها، يفتخرن بترك ماضيهنّ وأسرهنّ، مقاطعتهنّ لأهلهنّ أو سفرهن نحو الغرب وحدهنّ، أو خلع الحجاب أو ترك الحشمة، قصّ شعورهن علىٰ نحو صبياني، أو تحولهن إلىٰ سحاقيات، أو كفرهنّ بالله، أو حصولهنّ علىٰ وشومٍ او حلقات أنف أو شفة أو غير ذلك مما يجسد مفهوم الـ"باد غرل" الذي يتم غسيل العقول ليتزيّن فيها ويصير جذّاباً ومطلوباً!

وفي وسط المقاطع السريعة المتتابعة والموسيقىٰ المؤثرة وتفاعلات الناس معها ونشر المشاهير لها يغدو الفطريّ الواضح الذي يرفض أصلاً ما يسمىٰ "باد" (= سيء)، يغدو ذاك أمراً متخلّفاً قديماً لا حاجة به أبدا!

وما الصلة بين فلم كرويلا الذي بدأت به وبين هذا الترينڈ؟

فلم كرويلا يحكي قصة الشريرة في فلم أطفال قديم، هو لا يقول أن الشريرة مسكينة ولا يطلب منك أن تتعاطف معها لأجل أنها ظُلمت في السابق أو لديها مشكلاتٌ نفسية أو تبحث عن الحل، لكنه يقول أنها شريرةٌ لأنها كذلك، هي هنا وفي هذا الإطار قويةٌ و جريئة، شخصيتها بارزة، ذوقها "مختلف"، تقف باستهتار وتتكلّم باستعلاء، تلوّن شعرها بالأسود والأبيض لأن هذا ما تريده بغض النظر عن رأي الناس، تحب أموراً مختلفة، وعليك أنت كمشاهدٍ أن تقف أمامها معجباً تشعر بالرغبة في معرفة المزيد عنها والتقرّب إليها والتعامل مع شرها الذي لا يمكن توقّعه كشيءٍ حماسيٍ ومبدعٍ في البيئة التي ملّت "التقليدي" اللطيف الطيّب.

وهذا جزءٌ من حراكٍ إعلاميٍّ نحو سيولة كل شيء وخصوصاً في معايير الخير والشر اللذين يتحولان الآن لوجهة نظر، وهو ما ظهر (وإن كان بشكلٍ أقلّ وضوحاً) في عدد من الأفلام الموجّهة للأطفال واليافعين في آخر عقد، كان آخرها فلم Animation عنوانه "the Bad Guys"!

كانت البدايات في فلم Malificent الذي تحدّث عن الشريرة ذات القرون وأظهر الجانب الطيب من شخصيتها لنتعاطف معها ونحبها، لكن ما يجري الآن انتقالٌ لمستوىً آخر تماماً، حيث الشرّ ذاته والسوء ذاته أمورٌ إيجابية في حقيقتها، لكنّ "المجتمع المنغلق" هو الذي يرفضها ولا يفهم أصحابها، ليتمّ قلب المفاهيم التي عرف الناس علىٰ مرّ تاريخهم، وانعكاس ذلك هو الذي يجري الآن في هذه "الموضة" الجديدة وفي الفتيات المخدوعات اللواتي يعتقدن أنّهنّ يحققن ذواتهنّ بالخروج عن المألوف وحصد مئات الآلاف من الإعجابات لذلك!

فالحرية بالنسبة لهنّ باتت تحقيق أكثر أحلامهنّ جنوناً، القيام بأكثر شيء غريب وغير تقليدي ومرفوض اجتماعياً، ليصفق لهنّ مجانين السوشال ميديا الذين يبلغون الملايين، وليضيعوا حياتهن بأكثر القرارات غباءً وتهوراً (هربٌ من العائلة نحو بلد غربيّ تعمل نادلة فيه لتعيش في غرفة ضيقة، طلاقٌ لا سبب له، تلوينٌ غريب للشعر، وشومٌ علىٰ كل الجسد..)، حتىٰ إذا انطفأت الشهرة الزائفة وخمدت التصفيقات الكاذبة وجدن نفوسهنّ وقد هدمن أحلامهنّ الحقيقية وخسرن الذي بنينه علىٰ مر سنواتٍ طويلة، وصرن يطلبن العودة من هذه "الباد غرل" التي توهّمن الرغبة به، وهنّ يستطعن العودة فعلاً والله غفورٌ رحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، لكن الذي ضاع والذي مرّ والذي ظهر للناس وفي ردّات فعلهم غالباً ما يكون مستحيل الإصلاح.

والمهمّ الذي يعنينا هنا هو تلك السيولة وذاك التزيين للغريب و"السيء"، حيث لم يعد مفهوم الـ"bad" شيئاً سلبياً، لم يعد متوقّعاً وطبيعياً أن ترفض الخروج عن

المعتاد، بل ذاك الخروج هو شيءٌ مشوّق جذاب، فيه كسر التقليد وفيه الاختلاف واكتشاف الذات، والمشكلة حين يغدو الصواب والخطأ والخير والشر يغدوان سائلين كذلك، لا يمكن معرفتهما ولا حاجة للقيام بهما، لا فرق بين أن تكون المرأة مع عائلتها ابنة بارّة أو أمًا حنونًا وبين أن تكون ضائعةً تبحث عن لذاتها في إحدىٰ الحواري، لا فرق بين أن يكون الرجل أبًا مسؤولاً أو أخًا محبًا وبين أن يكون مغنيًا يشتري لذّته بالمال ويخرّب العقول والقلوب، إن كان الـ" bad" بحد ذاته صار جميلاً، فما الذي بقي؟!

وهذا الفكر الخطير هو الذي ينعكس علىٰ أرض الواقع في كثير من ممارسات الفتيات والفتيان الباحثين عن التميّز وعمّا يقدّسه عالم اليوم من التعبير عن الذات وعن أن تكون" أنت" !

والرسالة هنا لكلّ أمّ وكلّ أبٍ وكل مربٍّ..

لا تظنوا تأثير المحتوىٰ التافه والسوشال ميديا والأفلام والمسلسلات علىٰ أبنائكم محصوراً في الوقت الذي يقضون فيها فقط، لا تعتقدوا أنها بضع ساعاتٍ يستريحون فيها من دراستهم ثم يخرجون منها بشكلٍ عاديّ لحياتهم، تكلّموا مع أبنائكم عما يسمعون وما يرون، راقبوا مدخلاتهم وامنعوا عنهم هذه الزبالات الفكرية وأشباهها ما استطعتم، علّموهم فقه التفكير والعقل واملؤوا جدولهم بما ينفعهم، لا تتوقّعوا أن الابن الذي يعيش مع أولئك المجانين بروحه وهو معكم جسداً لن يتأثر ولن يتغير، فقد رأيت فعلاً فتياتٍ منقّبات يمزحن بأنهنّ "Bad girl"، وهنّ يعتقدن في ذاك مجرّد بعض الشقاوة اللطيفة!

والله نسأل أن يحفظ أبناءنا وبناتنا ويعيننا وإياهم علىٰ ما ابتلانا..

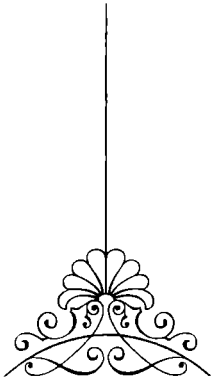

أنوثتكِ غالية

ستة عشرة مقالاً لكلِّ أنثى،

عن نفسها وقلبها وفكرها وكثيرٍ مما قد يمرّ بها،

جلساتٌ خاصة ومريحة أدعوكِ إليها..

لأنكِ أنثى..

تأمّلي في دقائق يومكِ العاديّ الروتيني، استمتعي بتحضير وجبة طعامٍ لعائلتك، استشعري أثرك علىٰ أطفالك وأنتِ تطوين ثيابهم وتعرفين أذواقهم وأحوالهم وأصحابهم وحاجاتهم، أحسّي بقوتكِ وأنتِ السكن لبيتك حين يطمئنّ فيه من يلقاكِ ويكلمك ويجد حنانكِ..

افرحي بخصوصيتك حين تضفين علىٰ الغرفة لمستك المميزة في الصباح ولو بمجرد رشّ العطر وترتيب الوسائد والكتب أو إعداد القهوة أو ترتيب فناجينها..

استشعري رقّتك حين تلبسين ثوبًا أو تتأنقنين للقاء صديقةٍ أو تعانقين أبًا أو ابنًا أو أمًا..

لكلّ فتاة، ابنة أو أخت أو زوجة أو أم أو جدة.. أنوثتك كنزٌ يكاد يضيع بين التشوه والتبديل، فاستشعريه في أصغر التفاصيل، كوني فيها أنثىٰ، مؤنسةً غالية ليّنةً حانيةً رقيقةً وحكيمة وواعية، تعرف أنها في نعمٍ عظيمةٍ لمجرّد أنوثتها وما تأتي به لها من خصوصيةٍ وتميّز وقوةٍ خفية وأدوارٍ أساسيةٍ لا يملأها غيرها مهما فعل..

كونكِ أنثىٰ يعني أنكِ مخالفةٌ للذكر، أن لديك ما لا يَملك وتستطيعين ما لا يقدر، فافرحي بهذا التميّز الذي تحتاجه الحياة لتعتدل، ابحثي عن مواضع الجمال والإعجاز فيه، واستمتعي بعطايا الله خلال الفطرة الأنثوية المبثوثة فيكِ وكوني قويةً بها، ففي حنوّك علىٰ أخيكِ قوة، وفي تزيّنكِ لزوجك قوة، وفي دلالك علىٰ أبيكِ وعنايتكِ بنفسكِ وتزيينك لبيتك وغنائك لصغيركِ وحتىٰ تعبيرك عمّن أنتِ وما حاجاتك كلها ملامح من قوّة تلك الأنوثة التي جُبلتِ عليها، والتي تسلب لبّ الحازم بطبيعتها النفيسة التي نحتاج حمايتها وحفظها واستخدامها بما يرضي الله والعودة لفطرتها..

فالأنوثة ليست بالتمايل علىٰ الشاشات ولا بتبديل خلق الله ولا بكميات هائلة من المكياج ولا بالتعرّي ولا بإرضاء جميع الأذواق ولا بالاستكانة ولا بالجهل ولا بقضاء الساعات الطوال أمام المرايا وفي الأسواق..

إنما هي في تفاصيل صغيرة بسيطة تستمتعين وتستشعرينها خلال يومك وتعبرين بها عن نفسك، تتميزين بها بذاتك وتشبعين بها تلك الفطرة النقيّة فيكِ، فعن ذاك فابحثي في ذاتك وسيرة قدواتك من أمهات المؤمنين والتابعيات والصالحات، وكم في ذاك كله من تنوع وسعة وجمال..

كيف تكونين أنثى قوية؟
وما القوة التي تحتاجها المسلمة؟

بينما ما يزال غزو الأيديولوجيا النِسْويَّة مستمراً وواضح الأثر في مجتمعاتنا، نجد اليوم علىٰ النقيض من الذين تبنّوا النِسْويَّة وسعوا للانطواء تحت جناحها الخبيث.. نجد فريقًا آخر من الفتيات بتن يخشين التشبه بأيّ صفة تضمنتها دعاوىٰ النِسْويَّة خوفًا من مجرّد الاقتراب منها أو تقليدها، والإشكال في ذلك يكمن في أنّ النِسْويَّة نادت بشعارات مبهمةٍ وعامة كثيرة لا يتوجّب علينا كمسلماتٍ أن نتجنّب جلّها ونرهبها لمجرد أنّ النِسْويَّة رفعتها خداعًا للنساء واستدراجًا لهنّ إلىٰ صفوفها، بينما نحن حين نأخذ بهذه الصفات فليس لأنها مما رفعته النِسْويَّة، لكن لأنها جزء من ديننا ابتداء.

وفي هذا المقال أتحدث عن صفة القوة التي ينبغي أن تمتلكها المسلمة، إذ رغم رفضنا للنِسْويَّة، إلا أن رفعها لفكرة القوة وتصويرها للمرأة المثالية علىٰ أنها "strong independent woman" لا ينبغي أن يرهبنا كمسلمين من القوة كمفهوم نحتاجه في نساء ورجال أمتنا، إنّما ينبغي أن ننادي بامتلاك القوة المنضبطة التي يحبّها الله سبحانه حيث "المؤمن القويّ خيرٌ وأحبّ إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير" (رواه مسلم). ولتكون القوة التي نتحدث عنها هي تلك التي يرضىٰ الله فإنها ينبغي أن تنضبط وفق مراده سبحانه، فلا نقبل منها ولا نرفض إلا في ضوء وحيه، ولا نسعىٰ للاتصاف بها إلا تقربًا إليه وسعيًا لنيل محبته.

من أنتِ في ميزان الوحي؟

قبل الحديث عن القوّة المطلوبة في الأنثىٰ وسُبُل تحصيلها، لنعد خطوة إلىٰ الوراء إلىٰ هويّة الفتاة المسلمة في ضوء الوحي المنزّه الشريف. فنحن إماءٌ لله أولاً،

خلقنا تبارك وتعالىٰ والذكورَ من نفس واحدة لتكون خليفةً في أرضه، وهي تلك النفس المخلوقةَ من طينٍ لازبٍ، نُفِخت الروح فيها بغير اختيار منها، ثم إن الله استرعاها في الكون وابتلاها وكلّفها، ووعدها بعد كلِّ ذلك رجوعاً إليه ومحاسبةً علىٰ ما كان وجزاء بحسب ما عملت في هذه المدة التي حدد لها علىٰ وجه الأرض. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١].

ولتلك النفس البشرية صفات عامةٌ يشترك فيها الذكور والإناث كما ورد في كتاب الله وعلىٰ لسان نبيه، وكما يقتضيه كونها مخلوقةً مملوكةً لمولاها، لا تملك ذاتها ولا نشأتها ولا مماتها، ومن تلك الصفات النقص والحاجة والضعف والفقر، وكذلك النسيان والعجلة والهلع وحب الشهوات وكثرة الجدل، ومع وجود هذه الصفات الأصيلة في النفس فإن تزكيتها بتطهيرها من الكفر والمعاصي وإصلاحها بما يرضي الله، وتنقيتها من الذنوب ورفعها بالعلم النافع والعمل الصالح هي طرق النجاة ومفاتحه،[1] كما بيّن سبحانه إذ قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩].

أما فيما تختص به المرأة المسلمة عن الرجل بعد كونها شقيقةً له[2] مكلّفةً ومسؤولةً مثله، فإنَّ ذلك يتضمّن بعض الصفات المتعلقة بالأنوثة، والاختلافات التي لديها نفسياً وفزيولوجياً عن الرجل لتكون مكملةً له ومتممة، لا مقابلة أو منافرة، ولتكون الحاجة الفطرية الطبيعية ممكنة بينهما، كما خلق الله الخلق جميعاً وفق هذه الثنائية ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩][3]، ولله في ذلك حِكَم كثيرةٌ يظهر بعضها في حدوث السكن والمودة والرحمة بين الزوجين

---

(١) معنىٰ التزكية مأخوذ عن تفسير السعدي وتفسير الطبري.

(٢) لقوله ﷺ: (النساء شقائق الرجال)

(٣) ما تختصّ به المرأة عن الرجل مأخوذ عن: أ. د. محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، التمايز العادل بين الرجل والمرأة في الإسلام، دار ابن الجوزي. ص٢٩، ويُنصَح بمراجعة الكتاب للتفصيل في هذا الموضوع.

وكذلك الرغبة في دوام الالتقاء وضمان استمرار الحياة.

ويفصّل الشيخ فريد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضوع في كتابه سيماء المرأة في الإسلام، إذ يقول إنه ومع وجود الاختلافات بين الجنسين، إلا أن الخطاب القرآني للمرأة انطلق من مبدأ الخطاب الكلي للإنسان منذ بداية خلق الله له وتكليفه وتحميله للأمانة بعد أن أشفقت منها السماوات والأرض والجبال، فتصدّر الإنسان، وخوطب باعتباره عاملاً سواء كان رجلاً أو أنثىٰ لا فرق بينهما في المسؤولية الوجودية من حمل الأمانة الكبرىٰ ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].[1] ومن هنا كانت القوة التي يحبّ الله المؤمن المتصف بها مطلوبة في الذكر وفي الأنثىٰ طالما أنها منضبطة بميزان الشريعة وتسعىٰ لرضوان المولىٰ وحده.

لا يليق بالمسلمة الانهزام!

إن الحديث عن القوة النفسية للمرأة ينطلق من كونها فرداً في المجتمع المسلم لا ينفكّ ولا ينعزل عنه، تحمل في ذاتها صفات المؤمن الراسخ، لا تهزّه نسمة ريح ولا تؤثر فيه كلمة أو شبهة عارضة، فلا يليق بالمؤمنة مثلاً أن تجهل الأحكام المتعلقة بالنساء والتي تحتاجها في حياتها اليومية، ولا يناسبها أن تحمل شبهات لا تعرف ردها ولا تعي خطرها، كما لا يستوي أن تعرف أخبار الموضة وفنون الطبخ وترتيب البيت والعناية بالجسد وتجميله، وتجهل إجابات الأسئلة التي تتردد في ذهنها كل حينٍ عن مكانتها في شرع الله وخطابه سبحانه لها ومعنىٰ الآيات والأحاديث المركزية في هذا السياق.

واليوم مع انفتاح مصادر كثيرةٍ للشكوك والشبهات علىٰ النفوس، فإن الحاجة لتلك القوة باتت أكبر وأكثر إلحاحاً، خصوصاً والأنثىٰ غالباً ما تكون عرضةً

(١) د. فريد الأنصاري، سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة. ص٣٥-٣٦ (مختصراً).

لكثير من التيارات الفكرية والشبهات العقدية التي تستغل نفسيتها وعواطفها، فهذا يشعرها بالفشل لأنها اختارت عدم العمل خارج بيتها، وذاك ينتقص منها باستخدام حديثٍ لا يفهمه، وذاك يتهمها بالنِسْويَّة لأنها بفطرتها الطبيعية لا تحب أن يكون لزوجها زوجةً غيرها، وتلك تريد إقناعها بأنّ الدين يحقق لها شهواتها في الحياة الدنيا، والقائمة تطول مما قد يرد علىٰ المرأة خلال دقائق معدودةٍ فقط من الإمساك بهاتفها المحمول.

ولما كان الجهل يولّد الخوف، والخوف بدوره ينتج شخصيةً ضعيفةً مهزوزة ومنهزمة،[1] كان طلب العلم أول وأهم طرق الوصول إلىٰ القوة المطلوبة، فالمسلمة التي أكرم الله وتفضل عليها بالإيمان ينبغي أن تعبده سبحانه علىٰ علمٍ وفهمٍ وثبات كشجرة عميقة الجذور في تربة الإيمان، ثمرها طيبٌ في كل كلمة تصدر منها وكل فعل، تعرف قدرها في دين الله ولا تثنيها تقلبات الزمان وتغيرات الأحوال عن غايتها والدرب الذي تسلك، فلا تأخذ دور الضحية أمام أمواج الشبهات الهائجة، ولا تقف تنتظر رأي الآخرين بها وتقييمهم لها، إنما هدفها مسدد وعينها عليه علىٰ الدوام، كما وصفها د. فريد الأنصاري: "إنما الفتاة المؤمنة هي التي ترفع راية الإسلام بلباسها الشرعي وخلقها الاجتماعي، فلا تفتنها الأضواء الفاضحة، ولا الدعايات الكاشفة، بل تجاهد في الله من أجل بناء قيم الإسلام في المجتمع من جديد وتسعىٰ لطلب العلم بدينها وتعلّم شرائع ربها، للعمل بها في نفسها أولاً ثم تعليمها لغيرها؛.. فكانت مثال الصلاح والتقوىٰ والعفاف، ومنار الهداية لجيلها وللجيل الذي يتربىٰ علىٰ يدها".[2]

وقد كان الحرص علىٰ العلم ونشره حاضراً جليّاً في سيرة أمهات المؤمنين والصحابيات رضوان الله عليهن ومن تبعهن بإحسانٍ كذلك، تقول

---

(١) د. عبد الرحمن ذاكر الهاشمي، دورة فقه النفس، اقرأ

(٢) د. فريد الأنصاري، سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة. ص ١٥

أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كُنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشُطني فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أيُّها الناس. فقلت للجارية: استأخري عني. قالت: إنَّما دعا الرجال ولم يدعُ النساء. فقلت: إنِّي من الناس. (رواه مسلم)

كيف نصل للقوة المطلوبة؟

إضافةً لطلب العلم، فإن من المهم معرفة النفس وإعطائها حقها، وفهم مواطن القوة والضعف فيها، انطلاقًا من الوحي أولاً، ثم من التبصّر بها ومراقبتها ودراسة أحوالها وتقلباتها، وكذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحاسبون نفوسهم ويزنون أعمالهم، حتىٰ إن أحدهم يلحظ من ذاته ادنىٰ بعدٍ أو تغيّرٍ أو حاجةٍ للتزكية، وما أجمل ما قام به عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه لما لحظ من نفسه ما يريبه، فدعا الناس أن الصلاة جامعة، ثم قال بعد حمد الله والصلاة علىٰ نبيه: يا أيها الناس، لقد رأيتني أرعىٰ علىٰ خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي قبضة من التمر، أو الزبيب، فأظل يومي، وأي يوم؟ ثم نزل عن المنبر، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت علىٰ أن قمّأت نفسك [أي: عِبتها]، فقال: ويحك يا ابن عوف! إني خلوت فحدثتني نفسي، قالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها.[1]

ومن نتائج معرفة النفس تجنب مقارنتها بالآخرين وتقييمها بحسب مكانها بينهم، خصوصًا إن كانت المقارنة دنيوية أو في أمور لا يعلم بواطنها إلا الله، ومع مشاركة الناس كثيراً من خصوصياتهم علىٰ مواقع التواصل اليوم، وقدرة أي منّا علىٰ الاطلاع علىٰ أخبار وقصص الملايين ببضع نقرات، فإن ذلك صار أكثر إتعابًا للنفس وأدعىٰ لأن تغلق تلك البوابات عن ذاتها، فرغم أن المرء قد ينشط بالاطلاع

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ١٢/ ٦٥٥

علىٰ اجتهاد أقرانه، إلا أن جلد الذات بسبب قصورها عن بلوغ ما يفعل غيرها ليس بسبيلٍ صحيح، فالسائرون إلىٰ الله مختلفون فيما يوفّقون له من أعمال، وطاقات كلّ منهم والمسافة التي قطعها في طريقه متفاوتة كذلك، فينبغي توجيه النظرة نحو الاستزادة مما يحب الله من الأعمال، مع اعتبار محدودية النفس وخصوصياتها ليتحول الجلد جرداً.

وإن كان ذاك مما يضبط مقارنة العبادات بين الناس، فما بالك بمن يتعب نفسه بالنظر لما لدىٰ غيره من متع الدنيا وقد نهىٰ الله صراحةً عن مد العين إلىٰ ما تمتع به غيرنا في هذه الدنيا الفانية؟

ومع التبصر والامتناع عن المقارنات تتمرن النفس تدريجياً علىٰ التركيز علىٰ رضا الله وعدم التعلّق أو الانشغال بالخلق، فيكون توجهها مطلقاً لله، وتصير منافستها مع ذاتها أولاً لتتجاوز عيوبها وشهواتها وأهوائها، فتنضبط معاييرها بما يرضي الله، ولا تتأثر بقول الناس عنها أو رأيهم بسعيها بعد ذلك، لأنها لم تسعَ لنيل رضاهم أساساً، فتتمكن بالتالي من السؤال والتعبير والإبانة عن حاجاتها والقيام بما أمر مولاها بغض النظر عن محيطها.

وختاماً أقول لكلّ فتاةٍ تقرأ هذه الكلمات، لا نريدكِ نِسْويَّة مبغضةً لنفسها وفطرتها، ولا متمردة علىٰ خالقها تعيسةً في دنياها ولا تهتمّ بآخرتها، ولا ساعيةً لكسر كل ما هو نمطيٌّ بغض النظر عن ماهيته وواضعه، لكن نريدك مؤمنة قويّة صلبة حازمة ثابتة غير جاهلة ولا مهزوزة، تعلمين ما لكِ وما عليكِ، وتنضبطين بشرع الله القويم وتنعتقين من الجاهليات قديمها وحديثها في سبيل التقرب إلىٰ الله ونيل محبته ورضاه.[1]

(١) استفدت في بعض معاني العامة المقالة من سلسلة محاضرات للشيخ أحمد السيد بعنوان "سوية المؤمن" https://www.youtube.com/playlist?list=PLZmiPrHYOIsS5j5KXnB8xMbSjy_7KYbCq
ومن محاضرة للدكتور عبد الرحمن ذاكر الهاشمي بعنوان "القوة النفسية: ما هي؟ وكيف أصل إليها؟" https://www.youtube.com/watch?v=DFLgHrdwYdM&t=101s

بين تهمة النِسْويَّة ومخاوف الالتزام..
أين تذهب الفتاة المسلمة؟

بعد عددٍ لا بأس به من الشبهات التي وردتني، والقصص التي اطّلعت عليها من صديقاتي ومَن حولي، وجدت إشكالاً متكرراً لدىٰ الفتيات اليوم، فشريحةٌ كبيرةٌ منهنّ واقعةٌ بين تصوّر مغلوطٍ عن الالتزام تخشىٰ الاقتراب منه، وبين تهمة النِسْويَّة التي تتجنب أن توصف بها، فتكون الفتاة في مكانٍ ترىٰ فيه المتديّنات متشدّدات يعِشْن في عالم آخر، والنسويّات تائهاتٌ أو متّبعات هوىً يبحثن عنه في دين الله، بينما هي ذاتها تحمل أسئلة وشبهاتٍ تخشىٰ الإفصاح عنها أمام أحدٍ لئلا يسحبها هذا الفريق إليه أو يستهجن الفريق الآخر مجرد طرحها هذه التساؤلات ويأخذ عنها صورة سيئة.

ولذا رأيت أن أوجّه لهؤلاء الفتيات اللواتي يرفضن الفكر النِّسوي، ويردن الله ورسوله والدار الآخرة ولا يعرفن كيف السبيل إلىٰ مبتغاهن، أن أوجههن بهذه المقالة، وعسىٰ الله ينير دربنا جميعاً ويتقبل منا.

اعلمي أولاً يا عزيزتي أن مطلبك ليس بالبسيط ولا بالقليل، أنتِ تريدين رضا مولاكِ العليِّ القدير، وجنته التي عرضها السماوات والأرض التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، تريدين في هذه الدنيا حياةً مطمئنة وفي الموت تثبيتاً وفي البعث أمناً وفي النهاية شربة من حوض المصطفىٰ وجواراً لربّ العزّة في دار النعيم حيث لأهلها ما يشاؤون والمزيد، فمطلبكِ إذاً يستحق الجهد والعمل، وتهون لأجله المشقة والألم، فضعي هذا نصب عينيك، ثم امضِ رعاك الله، ولنتحدث عن الخيارين الذين تتجنبين الوقوع فيهما.

تصوراتٌ مغلوطة عن الالتزام..

حين يتخيل كثيرٌ من الناس صورة الشابّ المتدين فإنهم لا يرون إلا رجلاً متجهّماً في ثوبٍ ذي طراز معيّن مع غطاء رأس، لا يبدأ كلامه إلا بـ "يا أخي" أو "يا أختي"، ولا يتحدث إلا بالفصحىٰ المتقعّرة، ولا يقضي يومه إلا في المساجد والحلقات، لا يجيد تكوين العلاقات الاجتماعية، ولا هو طيب المعشر ولا يبتسم لغيره ولا يعرف كيف يعيش الحياة الواقعية كإنسانٍ متوازن وسوي، وكثيرٌ من تلك التصورات تنطبق بشكل تلقائي علىٰ ما هو شائع في الأذهان عن الفتاة الملتزمة التي يفترض البعض أنها اعتزلت الناس واختلفت عنهم بكل شيءٍ ثم لم تعد قادرة علىٰ التعامل معهم حتىٰ!

وإن كان التدين والالتزام يدعونا لنبذ العادات والتقاليد الجاهلية، وإعادة التفكير بكثيرٍ من الموروثات الاجتماعية، فإن من المهم معرفة مصادر ما نحمله من تصورات عن الإنسان الملتزم، فعلىٰ مر عقودٍ من التعرض لمنتجات الإعلام العربي العلماني المؤدلج؛ تمّ ربط التدين والالتزام بصور نمطية سلبية كثيرة تغلغلت في أذهان الناس وصار صعباً عليهم الانفكاك عنها أو تخيل الواقع بخلافها، رغم أنها بعيدةٌ عن الحال الحقيقية التي نعيشها ونراها، فكم من طالب علمٍ ملتحٍ بشوشٍ يوزع الحلويات علىٰ أطفال حيه كل حين، وكم من فتاة ملتزمة بحجابها الشرعي وحضور حلقات العلم تمكنت من التأثير بأسرتها ومحيطها وتحبيبهم بكتاب الله وسنة رسوله، وكم من "ملتزم" ذكي متميز في مجاله العلميّ، وكم من طالب علمٍ يجتهد ليوازن بين مسعاه وبين الارتباط بالواقع ورحمة غيره والاقتداء بخلق نبيه الذي قال: "المؤمن يأْلَف ويُؤْلَف، ولا خير فيمن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف" (رواه أحمد وصححه الألباني)، وقال: "المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر علىٰ أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر علىٰ أذاهم" (رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه).

وإن كان في المجتمع قلةٌ ممن يشبهون صور الالتزام النمطية ببعض الجوانب، فما ذاك إلا لنقصٍ عندهم، وضعفٍ لديهم يحتاجون للاجتهاد علىٰ تجاوزه وسدّه، ولعوامل التجهيل الممنهج والظروف الصعبة التي يعانون منها، لأنهم بشرٌ ككل الناس، يخطئون ويصيبون، لم يبلغوا بوصف الالتزام مرتبة الأنبياء ولا تحولوا بها إلىٰ ممثّلين عن الدين الحنيف في كل حركاتهم وسكناتهم، لكن اجتهادهم ذاك يظل محموداً لأنه في سبيل الله وسعيًا للتقرب إليه، ودربُ إصلاح النفس والمجتمع سواء سمّيناه التزامًا أو طلب علمٍ أو بحثًا عن السنة أو اقتداءً بالصالحين هو الذي نحتاج جميعًا لسلوكه لنكون مؤمنين بالله علىٰ علمٍ وداعين إلىٰ دينه في كل مجالات حياتنا كما يحب سبحانه ويرضىٰ.

التجنب المبالغ به لتهمة النِسْويَّة..

رغم وجود الإشكالات الكبيرة التي سبّبها الفكر النسوي، وتسرب آثار وانعكاسات هذه الحركات إلىٰ عقول ومشاعر فتياتنا، فإن كثيراً منهنّ لم تعِ من هذا الفكر إلا الخوف من تهمته في أي فعلٍ أو فكرةٍ تحملها، فصارت تخشىٰ الإفصاح عن سؤالٍ لديها أو التعبير عن تناقضٍ داخلها لئلا يتم وصمها بالنِسْويَّة أو حشرها في زمرة لا تحبّها ولا ترضاها.

وإن كنتُ في عدّة مقالاتٍ مضت عرّفت النِّسوية وفكرها باختصار[1]، فإنني هنا أريد التذكير والتفصيل في بعض أساساتها وتحرّكاتها مع المجتمعات لأوضح لأي فتاة ذات أسئلة، وفي حاجة للتعبير والإبانة عنها أن ذاك أمرٌ ضروري ولازم ولا علاقة له بالنِسْويَّة من قريبٍ ولا من بعيد.

أما النِسْويَّة فقد بدأت في أواخر القرن التاسع عشر بمطالب محدودةً للنساء في

---

(١) يُنظر مقالا: "هل النِسْويَّة = حماية المرأة / الدفاع عن حقوقها؟" و"النسوية ومعاداة الأسرة.. من المسببات إلىٰ الواقع"

المجتمع الغربي، ثمّ تحولت مع الرفض الذي واجهته والاستغلال الذي تعرّضت له إلىٰ تيارٍ متعصبٍ ضد الرجل بجنسه، وتحولت إلىٰ المطالبة بالمساواة والمناداة بالتمرد علىٰ الطبيعة الذكوريّة وخصائصها وأدوارها.[١]

ولم يتوقف تعصب النِسْويَّة علىٰ الرجال، بل امتد ليشمل النساء أنفسهن، والدعوة لتحوير طباعهن الأنثوية وما يوافقها من مهامٍ ليتشبهن بالرجال الذين صاروا بنظر النِسْويَّة مثلاً أعلىٰ وقدوة، فصارت الذكوريّة ذاتها معياراً للقوة والأهلية، وكلما شابهتها المرأة واتصفت بها كانت نِسْويَّة بحق! وانتشرت ظواهر استرجال انساء إمعانًا في المغالبة الجنسية وإثباتًا للكفاءة! وازدادت شراسة مطالب المساواة حتىٰ صار سعي النسوية وراء التكافؤ مع جنس الرجال رغمًا عن النساء والوقوف بنديةٍ أمامهم بأي ثمن![٢]

أما اليوم فقد تفاقمت عصبيات النِسْويَّة حتىٰ صارت في الغرب ولدىٰ تابعاتها في الشرق تطالب بتقديس حرية المرأة المجرّدة، وترىٰ في زواجها وأمومتها وتربيتها لأولادها قيوداً ينبغي تجاوزها عبر إتاحة الزنا المفتوح دون أي التزامات، وتطالب وتصل فعلياً لأن تشرّع قوانين تسمح بالإجهاض، بل وتغطّيه بالتأمينات الصحية، وتتيح استخدام حبوب منع الحمل للفتيات منذ سن الثانية عشرة بغض النظر عن آثار ذلك المدمرة علىٰ المجتمعات بأسرها![٣]

ومن تلك المسيرة وترافقًا معها انطلقت الأدبيات النِسْويَّة ومازال ذاك الحراك الخبيث مستمراً بآثاره المدمرة اليوم، ولذلك وبعد ذاك الشرح عن النِسْويَّة ينبغي أن يكون واضحًا لكل فتاة مسلمةٍ تسعىٰ لرضا مولاها أن امتلاكها لبعض الشبهات

---

(١) د. هدىٰ النمر. قضية المرأة بين الشريعة الإسلامية وسجالات النِسْويَّة. ص٤٣

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، وللاطلاع علىٰ قصة النِسْويَّة بأسلوب سهل ومبسط أنصح ببرنامج النِسْويَّة للدكتور البشير عصام المراكشي علىٰ يوتيوب

وطرحها لبعض التساؤات أو وجود بعض سوء الفهم عندها.. كل ذلك لا علاقة له بالنِسْويَّة، فدين الله لا يأمرها بالالتزام بمعايير ثقافية ظالمةً تأمرها بالصمت والقعود عن طلب العلم، ولا يمنعها عن دورها كمربيةٍ ومعلمةٍ وداعية إلىٰ الله بحسب مجالها وقدرتها واستطاعتها، وإن كان الصحابة أنفسهم والصحابيات رضوان الله عليهم طرحوا كثيراً من التساؤلات علىٰ رسول الله ﷺ واستفهموا عما أشكل عليهم ليزدادوا إيمانًا وعلمًا، فقد يحدث أن تمرّ أسئلة علىٰ قلب وذهن أيٍّ منّا كذلك، المهمّ أن نتوجّ بالسؤال للشخص الثقة صاحب العلم، ولا نعطي سمعنا لكلّ من يتكلم فيما لا يعلم..

هذه الأفعال لن تجعلك نِسْويَّة:

ولذلك أختم هذا المقال برسالةٍ لكل فتاة مسلمةٍ تسعىٰ لأن تلقىٰ الله بقلبٍ سليم.

السؤال والتعبير والإبانة وطلب العلم الشرعي والبحث والاستشارة عما لكِ وما عليكِ، وعما لا يسعك جهله من واجباتك وحقوقك.. هذه كلّها مهمّةٌ لكِ ولا يمنع منها حياؤك ولا التزامك، وكونك مؤمنةٌ تقيّة لا يعني أن تنكري الشبهات التي تدور في خلدك لأنك تريدين أن تطابقي الوصف المشهور للمسلمة التي وُلِدت مطمئنة بالدين الحق، لم تدخل عليها شبهةٌ ولم تسمع بفتنة ولم يساورها شكٌّ أبداً.

قالت أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "نعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ" (رواه مسلم)، وسألت امرأة رسول الله: يا رسولَ اللهِ! إنَّ اللهِ لا يستَحي مِنَ الحقِّ، هل علىٰ المرأةِ غُسلٌ إذا هيَ احتَلَمت؟ قالَ: نعَم إذا رأَتِ الماءَ فضحِكَت أمُّ سلمةَ، فقالت: أتَحتَلِمُ المرأةُ؟ فقالَ رسولُ اللهِ: ففيمَ يشبِهُها الولَدُ (صحيح النسائي)، وفي مسند الإمام أحمد عن يزيد بن بابنوس أنه قال: ذَهَبتُ أنا وصاحِبٌ لي إلىٰ عائِشةَ فاستَأْذَنَّا عليها، فألقَتْ لنا وِسادةً، وجَذَبَتْ إليها الحِجابَ،

فقال صاحِبي: يا أُمَّ المُؤمِنينَ، ما تقولينَ في العَراكِ؟ قالَتْ: وما العَراكُ؟ وضرَبْتُ مَنْكِبَ صاحِبي، فقالَتْ: مَهْ، آذَيتَ أخاكَ! ثم قالَتْ: ما العَراكُ؟! المَحيضُ، قولوا ما قال اللهُ: المَحيضُ، ثم قالَتْ: كان رسولُ اللهِ ﷺ يتوَشَّحُني، ويَنالُ مِن رَأْسي، وبَيْني وبَيْنَه ثَوبٌ، وأنا حائِضٌ.

وكذلك كانت نساء خير القرون يطلبن العلم ويعلّمنه في حدود تقوىٰ الله ووجود الضوابط الشرعية (كالحجاب الذي ضربته أمّنا عائشة أمام السائلان، وأدب الكلام وغير ذلك)، أما وجود تهمٍ يتناقلها الناس اليوم فهو لا يبدّل من ذلك شيئًا، خصوصًا والفتاة باتت في حاجة كبيرة لطلب العلم والبحث في الأحكام الشرعية التي تلزمها ولا يسعها جهلها، وكذلك لسؤال أهل العلم للوصول إلىٰ الحق ورضا الله تعالىٰ، والمتعلّمات كذلك في حاجة أكبر لنشر ما رزقن من علمٍ والدعوة إليه.

صديقتي التي تمسك هاتفها وتتجول بإصبعها عبر الانستغرام..
تعالي نتكلم لدقائق..

أعلم أن الفتن تحيط بك، أراكِ وقلبك يتلفّت هنا وهناك، تنظرين في نفسك وأنتِ في بيتك الهادئ، كم يبدو مملاً ولا أحد الآن يقدّر فيه حسنكِ ولا أحد يتحدث عن روعة ابتسامتك..

أنتِ هنا.. وصديقتك تلك لا تأبه إلا بحضور حفلٍ آخر مع الفتيات ونشر صورها وهي تستعرض ملابس هذه الماركة وتلك..

أنتِ هنا وحيدةً بثياب البيت محاطةً بأطفالٍ لا يكفّون عن الطلبات أو في بيت أبيك وأمك وعليكِ مهماتٌ كثيرة وطلبات.. وعينك هناك.. علىٰ كل ما يشعل فيكِ الرغبة بإظهار جمالك، بالمنافسة علىٰ المتابعات، بإثبات أنكِ لستِ أقلّ منهنّ، بإظهار نفسكِ بينهم، بعرض الثياب علىٰ جسدك، بإخبارهم أنك (أيضاً) تحسنين وضع الكحل بكل إتقان علىٰ عينك، وبمجرد التأمل بإعجاب الجميع بكِ وبسعادتك وبما عندك وما فعلته وأين ذهبت وماذا أكلتِ وعن ماذا تحدثتِ..

أنتِ هنا.. في غرفتك" العاديّة" تشعرين أن الحياة مرت وتجاوزتكِ، ترين تلك بكامل زينتها وشيءٍ من بقايا حجابها، وتلك التي خلعته كله وتلك التي تلقي الحِكَمَ مع صورتها بالثوب الفاقع والأخرىٰ التي تعانق زوجها وغيرها التي تقرّب الكاميرا من عينها المظللة وتلك التي كانت معكِ في الإعدادية وقد باتت فيما يبدو تسكن في أجمل مكانٍ علىٰ الكوكب برفقة صديقاتها وهنّ يرسمن أوسع ضحكة علىٰ وجوههنّ..

أنتِ هنا..

وهي فعلاً فتنة صعبة تهزّ القلب.. لكن..

إنما هي دنيا..

هو اختبار لا يمكننا أن نطلب أن ينتهي، لا يمكننا أن نقفز عنه إلىٰ ما بعده، لا يمكننا أن نطلب أن يكون سهلاً، لا يمكننا أن نتوقع منه ألا يكون اختباراً..

طبيعيّ أن يكون كلّ منا في مكانٍ في العالم وطبيعي أن نختلف بأرزاقنا وما نفعله وما نحسنه..

لكن مهلاً..

من قال أنه مفروض عليكِ أنتِ أن تصعّبي امتحان نفسك؟ لماذا تنظرين فيما فعله العشرات (أو المئات) من أهل الأرض؟ لماذا تضاعفين أثقالك التي تحملينها وأنت تنظرين في هذه وتلك؟ لماذا تجمعين علىٰ نفسك صاحباتِ مجهولات من حول العالم وتجلسين معهنّ وتلقين إليهنّ سمعك وتعطينهنّ قلبك؟ وكيف تتوقعين بعد ذلك كله ألا تتأثري ولا تضيق نفسك بك ولا تفقدي طمأنينتك؟

صديقتي..

دعكِ منهم.. دعكِ من صورةٍ يستغرق تحضيرها ساعاتٍ لتصلك في ثانية، دعكِ من وهمٍ يجعلك تكرهين نفسك وواقعك، دعك من خيال يتنافس أهله عليه فيما بينهم.. دعكِ منهم..

وارجعي معي لبيتك العادي البسيط الذي مللتِ منه، لصحبتك العادية، لأسرتك أو زوجك أو أطفالك، تعالي ننظر لما يمكننا تعلّمه هنا، لما يمكننا إنتاجه وتغييره للعالم من هذه النقطة..

رأيتِ ذاك العالَم الكبير الفاتن المبهر الذي يبدو أنه يدعوكِ إليه؟ يا الله.. كم هو

بحاجة من ينقذه، وكم أهله وأفراده بحاجة شيء صغيرٍ حقيقي ليوقظهم..

رأيتِ تلك الضحكات والأضواء وتناسق الألوان ومثاليتها؟ يا الله.. كم أهلها بحاجة من يأخذ بيدهم ويعطيهم شيئاً حقيقياً يعيشون له ويفهمون به حقيقتهم ويخرجهم من ذاك الزيف الذي يُغرقهم..

وأنتِ قادرة علىٰ صنع شيءٍ من ذلك.. أنتِ التي ظننتِ نفسكِ لا تزنين شيئاً لأن متابعيك بالعشرات.. أنتِ.. بتزكيتك لنفسك وتربيتك لأطفالك، بكونك زوجة صالحةً تعفّين زوجك، ببرّك بوالديكِ، بكون أسرتك بذرةً تبدأ تغييراً حقيقياً في مجتمعك، بعلمك وفعلك، علىٰ ثغرك الصغير حيث أنتِ، بفهمك لسبب وجودك، برؤيتك للعالم علىٰ حقيقته..

أنتِ لا تحتاجين ذاك العالم المسكين.. إنما هو من يحتاجك ومن يحتاج كثيرين مثلك.. ولا يعنينا أنه لا يعلم..

لكن مِن عندكِ أنتِ اعلمي ذلك، انظري إلىٰ تلك الصور بعين من يؤسفه حالهم ويحمد الله علىٰ اختلافه عنهم.. التفتي عنهم لدرسكِ أو حلقةٍ تديرينها أو تحضُرينها أو قُبلةٍ تطبعينها علىٰ جبين طفلك، لعالَمكِ الحقيقي الذي يمتلئ بمجالات الخير والإبداع والجمال ويفيض بالنعم المبهرة التي (مهما بلغت بساطتها) لا ينقضي حسنها..

واسألي الله أن يثبت قلبك علىٰ دينه وأن يعينك علىٰ أن تكوني المؤثرة والملهمة التي يحب الله منكِ...

بؤس الأنوثة المشوّهة في نظرةٍ سريعة..

مرورٌ سريع في محلّ الملابس النسائية كفيلٌ بإظهار انتكاس الفطرة العجيب الذي تمرّ به الإنسانية اليوم..

كيف صار اسم هذا القماش الصغير فستاناً؟ من قرّر أن هذه أناقة؟ من الذي أقنع النّساء والمجتمعات بأسرها أن قماشاً صفيقاً لا يغطي إلا القليل من جسد الأنثىٰ يكفي للظهور بين الناس، بل وحتىٰ بين النساء؟ وكيف صار تقبل هذا المنظر جزءاً من الحياة المتحضرة ورفضه تخلفاً ورجعية!

أتأمل في هذا وأذكر امتنان الله في كتابه علىٰ بني آدم بواحدةٍ من أعظم وأبسط النعم التي رزقهم ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾ [الأعراف:٢٦]، تلك نعمة اللباس الساتر الذي كرّم سبحانه البشر بها وتفضل عليهم باستخدامها لإخفاء عوراتهم وحفظ حيائهم وعفافهم، ثم التعامل فيما بينهم ككائناتٍ عاقلة متعالية علىٰ غرائزها وشهواتها المجرّدة..

أتأمل في هذا وأذكر قول ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنا في كتابه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾، فمن أهداف الشيطان التي حدثنا عنها ربنا سبحانه نزع اللباس الذي كرّم الله به الإنسان عنه، من أهدافه أن ينزل بني آدم لتلك الرتبة البهيمية التي لا يبقىٰ فيهم عندها اكتراثٌ حتىٰ بنفوسهم ولا يكترثون معها إن تقلصت ملا بسهم وبدت عوراتهم!

فكيف نجح الشيطان بإقناع البشر بالتخلي عن تلك النعمة طوعاً والتفاخر بالتجرد عنها وعدم الاكتراث بها والهبوط دونها لحياةٍ كاملةٍ لا تعرف قيمةً ولا فضيلة ولا تحتكم لفطرة ولا ثوابت ولا تكترث إلا باتباع الأهواء وملء الجيوب وتحريك اقتصاد الأسواق؟كيف خدع الفتيات تحديداً بارتباط هذا الذلّ والانحدار

بالتحرّر والقوّة والتمكين؟ حتىٰ باتت الغربيّات يتوقّعن الاضطهاد في العفيفات المحجّبات ويفخرن بعريّهنّ وإتاحة أجسادهنّ لأنظار كلّ البشر!

وإنما هي صورةٌ واحدةٌ عن البؤس الذي قد تصل إليه الأنوثة وكلّ الحياة حين يشوّهها الضلال وتبتعد عن نور الوحي والتمسّك بهداياته، وههنا أذكر الفطرة النّقيّة التي صوّرها القرآن لنا في قصة نبي الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجه إذ أوّل ما بدت لهما سوآتهما بمعصيتهما أسرعا مباشرةً بحياءٍ عظيمٍ يحاولان التستر بأول ما وجداه هناك وهو أوراق شجر الجنّة ليخفيا ما ظهر منهما..

وسبحان الله إلىٰ أين وصل بنو وبنات آدم الذين تبعوا الشياطين اليوم..

غض البصر وتذكرة لنفوسنا..

تذكري أختي.. أن غض البصر الذي أمِرنا به كنساء يشمل الشّيخ والمعلّم وابن خالتك وابن عمتك والزميل في الجامعة والبائع في الدكّان.. ومن باب أولىٰ يشمل مذيع الأخبار والممثّل والمغنّي والصحفي وغيرهم..

لا خلاف بين العلماء علىٰ أن النظر للأجنبي (ولو لِما ليس بعورةٍ) إن كان بشهوة لا يجوز، إنما خلافهم علىٰ النظر الذي بغير شهوة هل يجوز أم لا..

يعني استمرارك في النظر لوجه الرجل الأجنبي (أيًا كان) بعد أن وجدته حسن الشكل لا يجوز، إتْباعُك النظرةَ الأخرىٰ له وأنت تنظرين إلىٰ ما تجدينه حَسَنًا منه لا يجوز، تحديقُك بممثّلٍ لاستحسانكِ شكلَه لا بجوز، توقُّفُك لثوانٍ مع صوره علىٰ السوشال ميديا، تدقيقك في وجهه في المقطع كذلك، وبالطبع فإن نشر تلك صور والتعليق عليها والتفاعل معها ينطبق عليها ذات الأمر..

كثيرٌ من ذلك يتطلب مراقبتك أنتِ فقط لنفسك، ملاحظتك لسلوكياتك وثواني يومك، وقرارك الخاص بإلغاء متابعة هذه الصفحة أو الخروج من تلك المجموعة أو حذف ذاك الإعلان أو إلغاء متابعة تلك الشخصية أو حتىٰ تلك الصديقة..

وهذه النقرات علىٰ بساطتها هي جهادٌ لنفسك يراه الله ويثيبك بإذنه عليه، فتذكّري أجر مجاهدتك لنفسك وحفظك لقلبك..

وتذكري.. أن الله الذي أمر الرجال بغضّ البصر أمرنا نحن النساء بذلك أيضًا فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾..

وسبحان الله وله الحمد علىٰ تشريعاته الحكيمة الرحيمة، سبحان ربّنا الخبير بنا، فغضّ البصر الذي أُمرنا به هو واحدٌ من الأحكام العظيمة التي تحفظ قلوبنا

ويرحم الله بها ضعفنا، فيمنعننا عن التعلّق المؤذي بالبشر الذي يُذهِب طاقتنا ويهدر عواطفنا فيما لا طائل منه، له الحمد سبحانه لأنه يحفظنا كفتياتٍ مسلماتٍ عن أهوائنا ويعتني بنا ويوجّهنا لخير دنيانا وآخرتنا وطمأنينة نفوسنا، والمنظومة الإسلامية التي تأمر بغضّ البصر هي ذاتها التي توفّر للفتاة الإشباع العاطفي بشكل فطريٍّ نقيٍّ وسليم يناسب حاجتها له بتيسير الزواج النقيّ الطاهر والتركيز علىٰ أهميّته والتشجيع عليه أوّل ما تكون الفتاة مستعدّةً له.

وإن كان الذي نراه اليوم من معاناة كثيرٍ من الفتيات من شحنةٍ عاطفيةٍ غير مشبعةٍ سببه الأساسي هو الثقافة المجتمعية الفاسدة والإفقار الممنهج الذي يؤخر الزواج ويعسّره، إلىٰ جانب نشر الصور السيئة والمشاهد المفسدة في الأفلام والمسلسلات وغيرها.. فإننا اليوم نصبر لحكم ربنا ونتّقيه، ونتعامل مع الواقع كابتلاءٍ علينا فيه تنفيذ أمر ربنا ونحن مقرّون بأن أسبابه البعيدة المتراكمة هي البعد عن منهجه الذي نريد لمجتمعنا كلّه الخلاص بالعودة إليه.

أعاننا الله جميعاً علىٰ طاعته..[1]

مكتبة
t.me/soramnqraa

(١) الكلام في هذا المقال ينطبق وبشكلٍ أوسع علىٰ الرجال لكنني أرىٰ هذه النقطة أقل ذكراً للنساء

كلمةٌ لأخواتي طالبات العلم..

احذري مفسدات قلبك من حيث لم تحتسبي..

هذه كلماتٌ أحسبها مهمةً أكتبها بعد عددٍ من الرسائل والأسئلة التي وصلتني في موضوعها..

احذري أختي طالبة العلم أو طالبة البرامج العلمية أو التي تتابعين العلماء والشيوخ والأساتذة الأفاضل فتنة نفسك التي تدخل من من باب: "كم أتمنىٰ لو كان زوجي مثل هذا الشيخ!"

احذري فتنة: "نعم أنا أحب أبي، لكن ليته كان يتصرف مثلما يقول الأستاذ أنه يتصرف مع أولاده!"

إذا وجدتِ من نفسكِ هذه الأفكار فتوقفي وراجعي وتأملي..

فهذه بوابات فتنة وتحتاج دقة ووعيًا وفهمًا لنوقف تلبيس الشيطان علينا منها..

فالمداخل التي يعبر الشيطان منها علىٰ قلوب المتدينين ليست ذاتها التي يمر بها منها قلوب غيرهم، وما أسعده اللعين بك وقد حفظت بعض المعلومات وتعلّقتِ بالمعلّم دون ربك تعالىٰ!

ما أسعده بك وقد أنهيت عدة متونٍ بنيّة إرضاء المعلّم وكسب ثنائه دون رضا مولاكِ جَلَّوَعَلَا!

ما أسعده إن تقدمتِ بطلب العلم وقد فرطتِ بأسمىٰ أدوارك أو بات بينك وبين أقرب الناس لك شقاق لأنه ليس شيخًا ولا طالب علم أو لا يعرف الذي تعلمتِه أنت قبل وقتٍ يسير!

احذري، ثم احذري ثم احذري..

نعم، لقد تجاوزتِ مرحلة أن تُفتَني بالمغني وبالممثل، لقد بتِّ تستسخفين الفتيات اللواتي يعلّقن صور المغنّين في غرفهنّ، لكنكِ مازلتِ أنثىٰ، مازالت فيكِ غرائز وشهوات، ومازلتِ مأمورة بغض البصر ومراقبة النفس وإمساكها عما يضرّ بها..

احذري المقارنة، احذري احتقار النعمة التي رزقك الله، احذري السخط علىٰ ابتلاءاته، واحذري النظر لما في أيدي الناس، واحذري وهم الكمال الذي تتصورين الشيخ عليه، ليس الشيخ مع كلّ فضله وتقدّمه رجلاً كاملاً لا يخطئ ولا هو يعيش في بيته وبين أهله وأولاده بثباتٍ بذاتِ الشخصية الذي رأيت في الدرس منه..

إنه بشرٌ ككل البشر، يجتهد ويحاول، وفيه بالتأكيد نقاط ضعف وعيوب لا تعلمينها ولا يظهرها (ولا ينبغي أن يفعل)، نعم، أنت مبهورة الآن بعلمه وقدراته وأمثلته العمليّة وصدقه وأسلوبه وفصاحته ووقاره وذكائه وتوازنه بين العلم والعمل والحياة الأسرية..

لكن اهدئي، ارجعي للواقع، فكري في انتفاعكِ أنتِ مما تتعلمين وتسمعين، وكيف يمكنكِ أنتِ أن تعملي بالعلم وتتلقي بخلقه، تذكّري أن هذا الانبهار فيه كثيرٌ من المبالغات والتعميمات التي لا يمكن أن تصحّ، وتذكري مَن أنت ومن هو ولماذا تسمعين منه، ادعي الله لنفسك بالثبات وتجنيب الفتن، ومن ثم انظري واصدقي..

هل متابعتك لهذا المعلم تفسد قلبك؟ (أنت الحكم في ذلك)

هل عندك استعداد لمتابعة غيره إن قدّم ذات العلم؟

هل تجدين قلبك منشغلاً بشخصه دونًا عن علمه؟

هل تجدين عندكِ تعلّقًا بشخص هذا المعلم؟

إن كان الجواب نعم، فلا بأس، ارحمي نفسك، تذكري أنك أيضًا بشر وإن كنت طالبة علم، وهذا امتحان من الله لكِ وهناك الكثير لتفعليه لتنجحي فيه..

ابدئي بمتابعة المحاضرات صوتيًا فقط، وانظري لحال قلبك وفكرك.. (الأصل غض البصر حتىٰ عن مقاطع العلماء، لكن المحاضرات الصوتية معينٌ علىٰ ذلك وقهر للشيطان فيه)..

إن وجدتِ الإشكال ما زال حاضراً فابحثي عن معلمٍ غيره يقدم ذات المواد واسمعيها منه، واستمرّي بجهاد نفسك، واعزمي علىٰ الصبر والتزام الدعاء ومنع الفكر والقلب من أي استرسال في الخواطر والأوهام، وكلّما صعب الأمر عليكِ استحضري أجر الصبر العظيم، وتذكري أنه ابتلاء اختارك ربك العظيم له، وهو بفضله سيعافيكِ منه حين يشاء..

إن كنت عازبةً فاسألي الله الزوج الصالح، وإن كنت متزوجة فاجتهدي لتكوني الزوجة الصالحة لزوجك، واطلبي العلم الذي يعظّم هذا الدور في نفسك ويعينك عليه، وادعي الله أن يصلح زوجك لك..

وختامًا اعلمي أنه ليس من واجب زوجك ولا والدك أن يكونوا طلّاب علم، ليس عليهم أن يكونوا طلّابًا للشيخ الذي تسمعين له، ليس عليهم التشبّه بسجية الشيخ أو طبعه طالما أنهم قائمون بما عليهم ومؤدون لحق الله ويعلمون ما لا يسعهم جهله، فانظري للخير فيهم، انظري لنعمة الله عليكِ بما رزقك في ظروفك ومجتمعك وشخصيتك وقدراتك، واعلمي أن دروس العلم ومجالسه ذاتها قد تحتوي الفتنة وتؤدي إليها..

والشيطان لم ييأس منكِ..

فهم الضعف الأنثوي.. الفطر في رمضان مثالاً..

يشق علىٰ الكثير من الفتيات المرور بفترة العذر الشرعي وما يرافقها من حكم الامتناع عن الصلاة والصيام في شهر رمضان، فهنّ كأي مسلمٍ يُرِدْنَ الصيام واغتنام الوقت المبارك بالصلوات والعبادات، وقد يُلجِئُ ذلك إحداهن لدواءٍ كثير الأعراض الجانبية يؤخر فترة الحيض، وإن لم تفعل فإنها تحزن في ذاك الوقت وتخجل من فِطرِها وذاتِها فيه.

إلىٰ جانب ذلك تمرّ كثيرٌ من الأمهات الحوامل أو المرضعات اللواتي يخفن علىٰ أنفسهن أو أطفالهن بفترات صعبة من التناقض الفكري في رمضان؛ إذ لا يتقبّلن فكرة الفِطْر في الشهر، ولا تحتمل أجسادهنّ الموهنة الصيام في الوقت ذاته.

وبينما أسباب ما تقدّم غالباً ما تعود لفهم مغلوط عن دين الله أو عادات مجتمعيّة تفرَض علىٰ الفتاة ما لم يأمر به الله، وتدعوها لبغض ذاتها أو التظاهر بما ليست عليه، فإن نتائج هذه النماذج تشمل كثيراً من الإناث وتفضي بهنّ لمشاعر صعبة ومشكلة لا يفصحن عنها وتعكّر عليهنّ صفو الأيام المباركة وتمنعهنّ اغتنام الوقت بالعبادات الكثيرة المتاحة لهنّ، فأردت أن أُفرد هذا المقال لتفنيد تلك الإشكالات، وتوجيه بعض الوصايا المتعلقة بها.

أحبّي ضعفكِ!

من المهمّ أن نبدأ نقاشنا لهذه الأفكار بتقديمٍ عن قبول النفس التي وضعها الله سبحانه بين جنبينا، وحمد الله علىٰ نعمه علينا فيها، فنحن هنا منعّمون بقدر لا نحصيه من النعم في نفسنا وحدها، فهذه النفس هي الوحيدة التي سنسأل عن عملها ونجاتها وسنفلح إن زكيناها، وهي وحدها التي سنأتي الله بها حين نكون

أفراداً متخلّين عن الأصحاب والقرابات.

ولذا أوجّه الخطاب هنا للفتيات وأقول لكلِّ قارئةٍ منهن: أحبي أنوثتك واحمدي الله علىٰ نعمة أن وهبك إياها، احمديه علىٰ هذه النفس التي تحتاج عناية خاصة في أوقات تعب شهري طبيعيّ وجبلّي، لا تلومي نفسك لأنك لست المرأة الخيالية الخارقة التي تستطيع القيام بكل شيء في كلّ حين، فالإنسان خلق ضعيفاً وهذا يشمل الرجال والنساء، وإن كان ضعفك أكبر وأوضح فاعلمي أن هذا ابتلاؤك الخاص، واحمدي المولىٰ علىٰ شريعةٍ تراعي ذلك وتأمر بمراعاتك فيه، ثم تأجُرك علىٰ إذعانك وصبرك ورضاك به.

ولننظر لحال عائشة رضي الله تعالىٰ عنها حين مرّت بذات الحزن التي تشعر به الفتاة حين تجبر علىٰ ترك عبادة محببة لقلبها، فهي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت خارجة للحج مع حبيبها ﷺ، محتملة لمشقة السفر، ومشتاقة لتأدية المناسك ومشاركة المسلمين بها حين منعها الحيض من ذلك كله، فجعلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها تبكي علىٰ أثره.

هناك دخل عليها رسول الله وخفف عنها الحزن بقوله ﷺ: (فلا يضيرك، إنما أنتِ امرأةٌ من بنات آدم، كتب الله عليكِ ما كتب عليهنّ، فكوني في حجّتك، فعسىٰ الله أن يرزقكيها) [أخرجه البخاري]. بهذه البساطة والتسليم لأمر الله تعامل رسول الله ﷺ مع كل القضية، فخفف عن زوجه حزنها وعلمها كيفية التعامل مع حالتها الطبيعية التي لا شأن لها بها، ولا ينبغي أن تلوم نفسها عليها.

وهذا يشبه من كانت حاملاً أو مرضعاً لا تستطيع الصوم في رمضان لخوفٍ علىٰ نفسها أو طفلها، فلتذكر قول رسول الله ﷺ: (إن الدين يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة وشيءٍ من الدلجة) [أخرجه البخاري]. كتب الدكتور مصطفىٰ البغا في شرح الحديث: لن يكلّف أحد نفسه من العبادة في الدين فوق طاقته إلا رده الدين إلىٰ اليسر والاعتدال، فالزموا التوسّط في

الأعمال واقتربوا من فعل الأكمل إن لم تستطيعوه.[١]

فسبحان الله الرحيم بعباده الذي يتيح لنا عبادته والتقرب منه كما نحن بضعفنا وفقرنا وقلّة ما لدينا، وله الحمد لأنه الأعلم بنا من نفوسنا فلا يكلّفنا إلا وسعنا، وما جعل علينا في الدين من حرج، فلتطمئن نفسكِ أختي، ولتعلمي أنكِ أَمَةٌ لرب كريم يقبل منك أقل العمل المخلص لوجهه، وهوّني عليكِ حين لا تستطيعين الصوم وتُجبَرين علىٰ الفطر ومخالفة ما اعتدته من العمل المحبب لنفسك، بل استمتعي بمنّة الله عليكِ في أمومتك وصبرك علىٰ مشاقّها، واحتسبي رضاك وامتثالك في الصيام أو الفطر لوجه مولاكِ جَلَّوَعَلَا، واستشيري أهل العلم في الفقه والطب، وانظري في حال جسدك وقدراته، ثم ارضي بحكم الله عليكِ وابتلائه لكِ بغض النظر عما يقوله عوامّ مَن حولك أو يدعونك إليه..

واذكري أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا) [أخرجه البخاري]، أي أنك بنيتك تستطيعين بلوغ أجر الصائم وأنتِ مفطرة! سبحان الله الكريم!

رضيتُ وأذعنت، ثمّ ماذا؟

والسؤال الذي يتبع إذاً هو: كيف أغتنم هذه الأيام المعدودات؟ وهل هناك طريقة تمكنني من عدم تضييعها في اتباع النفس الأمارة بالسوء أو مجالس اللغو القاتلة للوقت والعمر؟

فما سبق ليس دعوة للركون أو تسهيلاً لتضييع الأوقات أو الكسل عن الاجتهاد في الشهر الفضيل (أو غيره من مواسم الخير التي قد يصدفنا العذر الشهري فيها)، فأبواب الخير والطرق إلىٰ الله واسعة كثيرة، لا تقف عند الصيام والقيام والتراويح،

---

(١) د. مصطفىٰ ديب البغا. مختصر صحيح البخاري المسمىٰ التجريد الصريح. مركز اليمامة للنشر والتوزيع. ص١٨.

إنما تتعداها أولاً لأعمال القلوب من الإخلاص والتوكل والتفكر والخوف والرجاء والشكر والتقوىٰ والإنابة وغيرها مما لا يشترط حالاً أو مكاناً، والتي كانت عناية السلف بها كبيرة تظهر في كثرة مؤلفاتهم فيها وتوجههم إليها لأن صلاحها لا يتعلق بصلاح الظاهر، وما هو متعلق بما بين العبد وربه لا يعلمه أحد من الخلق ولا يطلع عليه، وهو الذي يعتمد عليه حال أعمال الجوارح ومرتبتها عند الله جَلَّوَعَلَا. قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فمواتٌ، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح"[١].

كما أن من أبواب الخير المفتوحة قراءة تفسير القرآن وعلومه، وكذلك تلاوته دون مس المصحف -إن كانت الفتاة تأخذ بجواز التلاوة-، إضافة إلىٰ حضور دروس التفسير والتدبر اقتداءً بعناية رسول الله والسلف الصالح بالقرآن في رمضان واشتغالهم به، حتىٰ إن رسول الله ﷺ كان يتدارس القرآن مع جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في رمضان مرتين[٢].

---

(١) ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. بديع الفوائد. ٣/ ٢٢٤. وللمزيد في موضوع أعمال القلوب انظر سلسلة محاضرات للشيخ محمد صالح المنجد بعنوان "أعمال القلوب" علىٰ موقع طريق الإسلام.
https://ar.islamway.net/collection/2049/%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%84%D9%88%D8%A8

(٢) من السلاسل النافعة في هذا الباب بإذن الله: "سلسلة اللطائف القرآنية" للشيخ بسام جرار علىٰ يوتيوب. https://www.youtube.com/watch?v=GD4iGRjjTQY&list=PLswqnlv8rl0sH-9pv8AlpVN2PxQcSejS2_

و"دورة مفاتح التدبر" للمهندس فاضل سليمان علىٰ يوتيوب.
https://www.youtube.com/playlist?list=PLukAHj56HNKbD2R2ZroUhu7g-mK1S6CrW

ومن الكتب النافعة في هذا الباب: كتاب أول مرة أتدبر القرآن للشيخ فهد سالم الكندري.
https://ar.islamway.net/book/29544/%D8%A3%D9%88%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A9-%D8%A3%D8%AA%D8%AF%D8%A8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86

وكتاب رقائق القرآن للشيخ إبراهيم السكران. https://waqfeya.net/book.php?bid=9885

إضافة لذلك فإن من الضروري توسيع مفهوم العبادة إلىٰ ما وراء النُسُك والوقوف علىٰ سجادة الصلاة فقط، فرسول الله ﷺ علّمنا أن التبسم في وجه أخينا المسلم صدقة، وأن الأعمال بالنيات التي بها يصير العمل العادي عبادة، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أشار في كتابه الكريم مراراً إلىٰ فضيلة الإحسان إلىٰ الخلق وأجر المحسنين في عملهم مع الله ومع الناس، ومن ذلك المساهمة في تفطير صائم، وإغاثة ملهوف، ونصح لمسلمٍ، ونشر علمٍ نافعٍ وطلبه وإعانة الغير عليه، إضافة إلىٰ الرفق بالصغار وملاعبتهم، وإعانة الكبار ومؤانستهم، وعيادة المريض وصلة الرحم والإحسان للجار وحتىٰ نثر البذور أو الخبز الجاف للطيور التي فيها للمسلم أجر كبير بإذن الله تعالىٰ.

وبذلك يظهر أن فترة العذر الشرعي في رمضان أو غيره من مواسم الخيرات لا ينبغي أن يحول بينها وبين الاجتهاد في العبادات وتزكية النفس والاستكثار من الخيرات خلال الأيام المباركات التي إن بلغتها هذا العام فقد لا تبلغها في غيره، وأن تعاملنا مع هذا الجزء من حياتنا لا ينبغي أن يكون أبداً بالقعود عن الأعمال الصالحة وتضييع الأعمار، إنما بالرضا عن ربنا واختياره لنا، ثم بمحاولة التقرّب إليه ما أمكننا وفق وسعنا وطاقتنا، وسبحان الله الكريم الرحيم الذي خلق في نفوسنا ضعفاً لتلجأ إليه وتذكر حاجتها له، ثم رزقنا شريعةً تقدّر هذا الضعف وتوافقه، وله الحمد أن وسّع لنا أبواب الخير في رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي كل الشهور[1].

(١) استفدت في بعض معاني المقال من محاضرة بعنوان "ورمضان إلىٰ رمضان" لنورة سوبرة وأسماء الجغبير عبر مركز مكاني. ومن محاضرتين للدكتور محمد حسونة بعنوان "رمضان ١٤٤٢" عبر مركز مكاني.

تأخّر الزواج وبضع نصائح وهمسات..

أختي التي تأخر عنها رزق الزواج وهي تنتظر.. أعلم أن الأمر خاصٌ، لكن إئذني لأختك بكلمات معكِ فيه..

عزيزتي، أفهم تماماً التناقضات التي تشعرين بها، أفهم تماماً كيف تتجاذبك أطراف كثيرة، بين من يقول لكِ أنّك لا تحتاجين الزّواج وأن حياتك هكذا أفضل وأنّ الزواج تعاسة وهمٌّ ونكد، وبين من ينظر إليك بدونيّة لأنك لم تتزوجي بعد..

ولذلك أقول لك..

الرغبة بالزواج طبيعية فطريّاً ونفسيّاً وجسديّاً، والله الذي خلقنا من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها لم يخلقنا كذلك عبثاً، الله الذي خلقنا من زوجين يتكاملان بدقةٍ وإتقانٍ جعلنا نسكن لبعضنا ونتوق لصحبة بعضنا ووضع فينا حاجات لبعضنا، والزواج المطمئن هو من نعم الله العظيمة علينا والتي لا عجب أن نريدها ونتظرها، فطبيعيٌّ أن تتوق نفسُك للزواج، طبيعي جداً أن يؤلمك الأمر وتشعري بحاجتك له، طبيعي أن تشعري بغصاتٍ متكرّرة مما يذكّرك به أو يقترب منه..

وهو سبحانه أيضاً يبتلينا ويختَبِرنا ليستخرج منا عبوديّاتٍ له وينظر كيف نعمل، ومع عظم البلاء تكون الفرصة أكبر لنُحسِن وترتفع درجتنا عند ربنا أكثر.. وخِيارُ الخلق -الذين هم الأنبياء- كانوا أشد الناس بلاءً، وبعدهم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..

يا أختي التي تتعامل مع بلاءٍ خفيٍّ لا يدري به إلا ربها.. يا مَن شعرتِ أنّكِ وحدكِ وآلمتكِ غربتكِ وضايقتكِ وساوس الشيطان أو نفسكِ الأمّارة بالسوء..

اعلمي أن الله يراكِ ويعلم ما في قلبكِ، اعلمي أنّه ما من لحظةٍ مؤلمةٍ تمرّ عليكِ

وأنت راضيةٌ صابرةٌ إلا والله يأجرك عليها أو يكفّر ذنبكِ بها، ما من مرّةٍ ضاق صدرك فيها ثم ذكرتِ الله إلا ولك أجور يضاعفها الله بإذنه عليها..

ألمك هذا ليس عبثًا وثباتك هذا ليس هينًا..

ثباتك علىٰ الامتناع عما تتوق نفسك إليه من نظرةٍ لا ترضي الله، أو سماعٍ للموسيقىٰ أو متابعة مسلسلٍ أو إبداء للزينة أمام الرجال أو كلام غير منضبط معهم أو أي حركة لجذب انتباههم، فالنفس التي تريد إشباع هذا الجانب منها ستسعىٰ لذلك وستريده، والذي تفعلينه من صدّها عنه وتزكيتها وتصبيرها وإرغامها علىٰ تقوىٰ الله لهو خيرٌ عظيم وجهاد نفسٍ كبيرٌ بإذن الله..

أعلم أن المحن كثيرة مع سهولة الحرام وانتشار الاختلاط والدواعي الشيطانية الكثيرة المحيطة، أعلم أن النفس تحب أن تشبع حاجتها ولو دون وعي.. لكن صدقيني هناك أنسٌ بالله ولذّة بقربه تعوّض كل ذلك..

استحضري كلما كادت عينك تتوقف مع صورة ممثلٍ أو كدتِ تدقّقين النظر في وجه رجل استحسانًا أو أردت التخفّف من اللباس الشّرعي قليلاً.. استحضري حديث رسول الله: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه..

اتركي ذاك الذي تدعوكِ نفسكِ إليه واستحضري قول القريب سبحانه، الرحيم السميع العليم في الحديث القدسي: "ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإذا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي، أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ"، الله سبحانه يعدُكِ بأنّه سيثيب تقرّبكِ إليه بهذا الجزاء العظيم الكريم إن صدقتِ فعلاً وتركتِ ما تدعوكِ نفسكِ إليه لوجهه وفي سبيله وانتظاراً لما عنده. الله يعدكِ، وستجدين وعده مع استمرار ثباتك وصدقكِ ونبذك للهوىٰ إلىٰ غير رجعةٍ، سيثيبك في دنياكِ قبل آخرتك ولو بعد حين، ستجدين العوض في قلبك وطمأنينتكِ وراحتك، ويُسراً في حياتك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾، فأنتِ تتعاملين مع

الشكور سبحانه..

نعم.. الذي تمرين به ليس ذنبك، ليس ذنبك أن مجتمعنا ضيّق الحلال وأخر الزواج ومنع تعدد الزوجات وقدّس الأكاديميا والمهنة وصعّب الزواج ورفع كثيراً من الكماليات لمستوىٰ الأساسيات حتىٰ بات الزواج حكراً علىٰ جزء من المجتمع دون غيره، ليس ذنبكِ أنّ كثيراً من الناس ابتعدت عن دينها فصار عدد الرجال الذين ترضين ويرضىٰ أهلك دينه وخلقهم أقل، ليس هذا ذنيك ولا هو مقصد شريعة الله في أرضه..

ولكنه بلاء علينا أن نفهمه ونرضىٰ عن ربنا فيه ونتعامل معه، وعلينا أن نجعله محرّكًا لنا لمكافحة هذا البعد عن شريعة الله ونكون سببًا في كشف هذا البلاء ومنع استمراره ولو بعد أجيالٍ،[1] ونعيد الناس نحو كتاب ربّهم ونهجه.

استعيني بالصحبة الصالحة، اجتمعن مرةً كل حينٍ متأنّقاتٍ متزيّناتٍ وقمن بنشاطٍ ترويحيّ، ساعدي بالاعتناء بأطفال إخوتك وعائلتك، أقبلي علىٰ تحفيظ القرآن أو تعليم الأطفال في حلقةٍ ما تتقنينه، دعي عنك هدر الأعمار في السوشال ميديا وغيره، تنبّهي مما يؤجّج عاطفتك ويفتح مداخل الشيطان عليكِ من الصور والأفلام والمسلسلات، تنبّهي من غزو الفكر العبثيّ الذي سيشعرِكِ بأن تأخّر زواجك يعني أنك لا تحملين أي مسؤوليةٍ..

اعلمي أن تفريغ عاطفتكِ وإشباع جزءٍ كبيرٍ من مشاعر أمومتكِ ممكن ولو لم تتزوجي، ابدئي مجلسًا دوريًّا للأطفال في السيرة أو قصص الأنبياء، أعطِ الحب والحنان لوالدك وإخوتك، واحملي همّ هذه الأمّة وانظري أين يمكنك الان خدمتها

---

(١) كثيرٌ من الفتيات قبل زواجها وبعده يساهمن في ظاهرة تأخّر الزواج أو "العنوسة"، كأن تقوم قبل زواجها أو بعده بزيادة هذه المنظومة المجتمعية سوءا بشيطنتها لتعدد الزوجات أو مساهمتها في غلاء المهور الفاحش أو نشرها للوثات النِسْويَّة أو الاستهلاكية المادية، فتكون دون إدراكٍ جزء من المنظومة المسببة لما تعانيه أو يعانيه الأخريات (إذا تزوجت في نهاية المطاف).

إلىٰ أن تتزوجي وتتغيّر ظروفك[١]..

استثمري وقتلك وطاقتك في بناء نفسك كأمٍ وزوجة يرضىٰ الله عنها مستقبلاً، واعلمي أن هذا العلم وهذه المهارات وإن لم تتزوجي سيُمكِنُكِ بثّها واستخدامها في نفسِكِ ومحيطِكِ مستقبلاً والقيام بالأدوار التربويّة التي تحتاجها الأمة وأبناؤها منكِ، وإلىٰ جانب ذلك فخذي بالأسباب الممكنة المعينة علىٰ طلب الزواج[٢]..

وتيقني أن الله سيعوّضك بثباتك وإخلاصك وصبرك، تيقّني تماماً أن الله لن يضيع أجرك، تذكري أنها دنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، تذكري أنها كلها ابتلاءات سواء كانت بالعطاء أو بالمنع لا نملك اختيارها، لكننا نملك حسن التعامل معها بما يعين علىٰ رفعها أو أن تكون -إذا بقيت- سببا في دخولنا الجنة التي ينسىٰ أهلها أشد الآلام والصعوبات بغمسةٍ فيها، وكما أنّك الآن مبتلاة بتأخر الزواج فغيرك مبتلاة به، ومن منا يدري من منكما ستنجح ومن منكما ستفشل..

(١) مهمٌّ أن توازن الفتاح فلا يكون انشغالها ولو بما ينفعها قبل الزواج عائقاً عنه أو مما يصعّب عليها التفرّغ لزوجها وأبنائها فيما بعد، إنما تنشغل الآن بما ينفعها وهي متهيّئةٌ لأن الأمر قد يتبدّل بتبدّل أولوياتها بعد الزواج الذي مازالت تريده.

(٢) تفصيله في المقال التالي

هل هناك ما يمكن للفتاة التي تأخر زواجها القيام به أخذاً بأسباب الزواج في عالمنا؟

مررتُ علىٰ هذه النقطة سريعاً في المقال السابق، وههنا بعض التفصيل فيها..

الأصل أن هذه ليست مهمّة الفتاة المباشرة، الأصل أن المجتمعات المسلمة مترابطة جداً يعتني بعضها ببعض وتعرف الأسر المسلمة بعضها بحيث لا يُجهل وجود فتاةٍ غير متزوجةٍ في البيت الفلاني..

الأصل كذلك أن الزواج لا يتأخّر إلىٰ ما بعد "الفرض" الوهميّ الذي جعله المجتمع إلزاميّاً علىٰ كلّ الفتيات وهو خوض سنين الجامعة ومن ثمّ بدء ممارسة المهنة بحيث تقلّ رغبة الفتاة بالزواج أو فرصتها فيه، والأصل ألا ينحصر زواج الرجل بامرأةٍ واحدة ولا يجرّم المجتمع الطّلاق ولا التعدد بحيث يبحث الرجل القادر علىٰ الزواج عن أكثر امرأة "كاملة" الأوصاف توافق عليه لأنه يعلم أنه قد لا يستطيع الزواج بغيرها أبداً، بل ينبغي أن يكون عادياً أن يتزوج الرجل القادر علىٰ التعدد من عدة نساء، وينبغي كذلك أن يكون عادياً أن تتزوج المطلقة والأرملة أو تلك التي تأخر زواجها وتكون مطلوبةً تقبل وترفض من الرجال سواءً كزوجة أولىٰ أو ثانيةٍ أو ثالثة..

بعد ذكر كلّ ذلك، ما الذي يمكن أن نخاطب به الفتاة التي تأخر زواجها اليوم؟ ما الذي يمكنها فعله للأخذ بأسباب الخروج من هذا الوضع الذي -مهما تجاهلناه- لا يمكن وصفه إلا بأنه بلاءٌ يؤلمنا أن نقول أنه يؤثر علىٰ عشرات الآلاف، بل الملايين، ولربما عشرات الملايين من النساء في بلاد المسلمين؟

- في حال غلب علىٰ الظنّ أن المجتمع المحيط لا يعرف عن هذه الفتاة ولا عن كونها عازبة، ينبغي أن تجتهد لتُعلم امرأةً (أو عدة نساء) ذات حكمة ودين تثق

بها (أم، أخت، خالة، معلمة..) بأنها تريد الزواج وتحتاج المساعدة في إيجاد زوج صالح، ينبغي هنا التأكيد علىٰ حسن اختيار من نخبره بذلك، بحيث تكون امرأة أكبر منا عمراً، ذات معارف كثرٍ وشخصية اجتماعية قوية وذكاء وفطنة، ثم إعلامها بالأمر إما مباشرةً أو عبر شخصٍ آخر (وهو المفضّل)، بحيث تتولىٰ تلك المرأة إعلام من يعرف رجالاً يبحثون عن زوجات بأن هناك فتاة عازبة من العائلة الفلانية وبأن عمرها كذا ومواصفاتها كذا..

- كذلك تجتهد الفتاة لتحضر بعض مجالس النساء التي لا توجد فيها مفاسد صعبة الاجتناب، وتعمل للتعريف بنفسها وبكونها غير متزوجة، وتتزيّن للمناسبات النسائية المنضبطة وتبدي جمالها أمام النساء، مع الانضباط بحدود العورة وعدم الخروج بالزينة أمام الرجال وعدم تضييع الساعات في وضع المكياج (ومع الأسف فتأخر زواج كثير من الفتيات المتدينات يبدو لي مرتبطاً بتقصير في هذه النقطة)..

- كثير من الفتيات يرسلن لمن حولهن دون قصدٍ رسالة: "أنا غير متزوجة ولا أهتم بالزواج ولا أريده، ومهما أتاني رجلٌ فلن أقبل إلا أن يكون بالمواصفات الخيالية التي في بالي"، وغالب الخُطّاب يخافون الرفض فينفرون من هذه الرسالة، والتي قد تصل عبر حديث الفتاة عن ساعات عملها الطويلة أو عن رفضها لخاطب سابق تقدّم لها (وهذا لا ينبغي أصلاً)، أو عن قلة صبرها مع الأطفال وغير ذلك.. ولهذا أنصح الفتاة أن تنتبه لحديثها عن نفسها، فمثلاً إن عرّفتِ عن نفسك بأنك طبيبة بدوام كامل فاذكري أنك إن تزوجت تعلمين أن الدوام الكامل لن يناسبك ولا بأس عندك بذلك لأن الحياة ليست مهنةً فقط (مثلاً)، يمكن ذكر حبّكِ للأطفال وشوقك لحمل أطفالك (مثلاً)، يمكن ذكر أنك وإن كنت غير متزوجةٍ بعد فإنك تقرئين أو تحضرين بعض الدروس عن الزواج وتحصيل طمأنينته (مثلاً)، يمكن التعبير عن إعجابك بعلاقة جدك وجدتك وبأنك ترين هذا نجاحاً تطمحين له في حياتك (مثلاً)، ومحتوىٰ ذلك يختلف بحسب السياق والسامعات وتفطّنك فيهنّ

وفيمن يمكنها منهنّ مساعدتك وإخبار الخاطبين عنك منهنّ..

- يمكن للفتاة أن تكلّم والدتها وتطلب منها أن تنبّه والدها لأن ابنتهم تأخر زواجها ويستطيع هو أن يسعىٰ لإيجاد زوج صالح لها، وقصة تزويج عمر رضي الله عنه لابنته أم المؤمنين حفصة من رسول الله ﷺ هي من خير الأمثلة التي يمكن أن تساق هنا كمثال علىٰ سعي أبٍ -هو من خيرة رجال العالمين- لتزويج ابنته بنفسه ولمن يحسن الظنّ بهم دون أن يَرىٰ ذلك أو يُرىٰ من قبل خير المجتمعات البشريّة معيباً أبداً..

- يفيد الفتاة أيضاً (في هذا وغيره) أن تحرص علىٰ إحاطة نفسها بالصحبة الصالحة والتواجد في البيئات الملتزمة والمترابطة، فأهل الخير يعتنون ببعضهم والصحبة الصالحة ستساعدها بحسب البيئة والممكن فيها..

وقبل هذا وبعده وأثناءه ينبغي الحرص علىٰ الدعاء والاستعانة بالله والتوكل عليه وتسليم الأمر له، ومعرفة أنه العليم اللطيف الخبير، الذي ما أجّل ما أجّله إلا لخير، وما منع عنّا ما نريده إلا لخير، فأمر المؤمن كله له خير، إن كان صابراً علىٰ البلاء شاكراً علىٰ النعمة باحثاً عما يرضي ربه في كلّ حال، ونحن نعمل الذي نستطيعه ونجتهد في دائرة قدرتنا ونحن مستسلمون لأمر ربنا نستمر في طاعته والقيام بما علينا في امتحاناتنا ومسؤولياتنا الحالية..

ونعلم أنّ الله معنا ويرانا ويسمع دعاءنا، سبحانه هو أنسنا فيما يسرّنا وما يضرّنا وله الحمد علىٰ كلّ حال..

نقطة توازنٍ مهمّة عند الحديث عن تأخر الزواج..

مهمّ جداً ألا نضخم موضوع الزواج ولا العلاقة الزوجية ولا إيجاد الزوج الصالح، فلا نجعل هذه القضية مركز الحياة ولا معكّراً للنفس ولا الشغل الشاغل والذي لا يهدأ لنا بالٌ حتىٰ يتم، فهي وإن كانت موجودةً فينا كميلٍ فطري وطبيعة بشرية، بل وإن كنا لا ننكر صعوبة وجود أعداد كبيرة من النساء غير المتزوجات.. إلا أننا في النهاية نعي ونقول لأخواتنا وبناتنا اللواتي يعشن الظرف أنه واحد من ابتلاءات الله، يبتلي من يشاء بالزواج ويبتلي من يشاء بعدمه، ويمكن للمرء أن يعيش مطمئنًا مستأنسًا بالله راضيًا دونه..

وكما أن الزوج ليس مركز حياة المرأة المتزوجة (من ناحية أنها لا تتعلق به مَرضيًا ولا تقصر بعباداتها التي لا تتعلق به لأجله ولا ينبغي أن تبالغ بتكليف نفسها فوق طاقتها لإرضائه فيما ليس واجبا عليها شرعًا)، فكذلك الزوج الذي لم يأتِ بعد ليس مركز حياة المرأة غير المتزوجة، والبحث عنه ليس كذلك أيضًا..

فلا يصح أن يصير شغل الفتاة الشاغل التفكير بالأمر ولا أن تقضي كل أيامها بالتزين للمجالس النسائية وحضورها، ولا تبالغ في حديثها عن الأمر أو تخطيطها لحفل زفافها أو بيتها المستقبلي..

إنما تعلم أن هناك أسبابًا تأخذ بها، ثم تنشغل بمسؤولياتها وإجابة أسئلة ابتلاءاتها الأخرىٰ..

وإنما أقول ذلك لأبين بعد الطرح في المقالين السابقين أنه لا ينبغي الظن بأن الفتاة أو المرأة غير المتزوجة طبيعي منها أن تتّسم بالحزن الدائم أو لا تجد الطمأنينة أو تشعر بالنقص المستمر، ولا أن الزواج هو مصدر السكينة والأنس الوحيد في الحياة، ولا ينبغي أن تجعل الفتاة الأمر يشغلها ويمنعها من غيره من

مجالات واجباتها وخدمتها لدينها، بل قد تكون غير المتزوجة من أكثر الناس طمأنينة ومن أرفعهم منزلةً عند الله ومن أكثرهم تأثيراً كمربيةٍ وصديقة وأخت وابنة (وأعرف أمثلة عديدة علىٰ ذلك)..

ولْنتذكر أنها دنيا، لم يأتها أحدٌ ليستمتع بها ويأخذ منها فقط، ولا الهدف منها هو ذاتها أبداً، إنما كلها مجالات ابتلاءٍ متنوعةٌ الله أعلم ما يختار لنا منها..

فاحذري أن تتسخطي علىٰ أقدار الله، واحذري حيل الشيطان الذي يريد أن يخبرك أن الذي تمرين به "ظلم الأقدار" أو "ألمٌ لا يمكن العيش معه" أو "مصيبة لا يمكن تحمّلها"، احذري من أن يجرك لليأس أو لـ "الهروب من الواقع" إلىٰ الروايات أو الأفلام أو المسلسلات أو صحبة السوء..

استعيني بالله وانظري في نعمه التي لا تحصىٰ عليكِ، استأنسي به وبصحبتك الصالحة وبطلب العلم والعمل به ونشره..

ولله الحمد وبه نستعين..

كلماتٌ إلى أخواتي المخطوبات والمتزوجات حديثاً..

نعم.. مشاعركِ لهذا الرجل الجديد في حياتكِ حلوةٌ غضّةٌ وجميلة..

نعم.. أنتِ تجدين في حنانه وكلماته ونظراته كثيراً من حاجاتك وتقدير أنوثتك..

ونعم.. تلك كلها خلطةٌ جذّابةٌ تبهرك اليوم وأنتِ تكتشفينها لأول مرةٍ فيكِ، وتجدينها -سبحان الله- تغيّر أولوياتك وتشدّك بما جعل الله فيها لتكوين أسرة جديدةٍ مع هذا الغريب الذي لم يعد غريباً..

لكن.. قبل أن تدخلي في عمق العواطف التي قد تطفئ العقل، والفرح الذي قد يدخل الشيطان خلاله.. تنبّهي..

راقبي نفسكِ وكلماتكِ وقلبك.. راقبي يومك..

أنتِ تحبّين هذا الرجل، لكنّه ليس كل الحياة..

هو ليس "عمرك اللي ابتدا بنورك صباحه" (أو غير ذلك مما تقوله كلمات الأغنيات المفسدة التي تملأ الأسواق والمطاعم والتي تعبّد البشر لبعضهم)

علاقتكِ به ليست تملّكاً من كلٍّ واحدٍ للآخر..

ليست عشقاً يملأ قلبكما ويمنعه عن القيام بأي شيءٍ آخر..

ليست لدى أيٍّ منكما استعدادٌ للتضحية بالآخرة ولا بالحقوق الأخرى التي عليه في سبيل الآخر..

هو بكلّ بساطةٍ زوجكِ ومحبوبك من البشر الذي امتنّ الله عليكِ به وامتنّ به عليكِ لتسكنا لبعضكما وتكمّلا بعضكما بأسلوبٍ معجزٍ من عند ربّكما، هو سيّد بيتكِ وصاحب أكبر الحقوق البشريّة عليك والذي تأملين أن يكون لكِ في هذه

الدنيا زوجاً ورفيق دربٍ ومعيناً علىٰ رضا الله، وفي الآخرة زوجاً يظلكما الله في ظله ثم تدخلان قصركما الذي بنيتما في الجنّة معاً عبر عبادة الله الذي يملأ حبّه والأنس به أولاً قلبكما..

لأنّ كلاكما تضعان رضا الله كأولىٰ أولوياتكما واتباع سنّة نبيّه منهجاً لحياتكما، فلا يتوقف عالم أحدكما علىٰ الآخر ولا تقضيان اليوم تدوران في فلك بعضكما بشكلٍ معطّلٍ مغرقٍ في المشاعر لكليكما، لا تغارين عليه بشكلٍ ممرض ولا تشغلكِ فكرةُ التعدد حتىٰ ترعبك، لا تمنعينه عن سدّ الثغور في أمّته ولا يوقفكِ زواجكِ منه عن عباداتك غير المرتبطة به ولا عن دروس علمِكِ الذي تحتاجينه وحفظ كتاب ربّكِ وأداء حقّ نفسِكِ[1]..

إنما تجتهدين في تأدية حقه والإحسان إليه في سبيل رضا الله الذي يضبط عملك، وهو كذلك..

هذا الرجل عبدٌ لله مثلك.. لا يتحكم بقلبك، لا يملك مفتاح سعادتك ولا شقائك ولا يرسم حياتك بحسب أهوائه، هو لله وأنتِ لله، لا تملكان أصغر ذرةٍ من نفسيكما ولا بعضكما، فإن أبقاكما الله بقيتما بأمره، وإن غيّر ما في قلب أحدكما بقي الحق الذي أمَر به الله وكانت المودة والرحمة التي هي أساس البيت المسلم، وإن دعا أحدكما الآخر لمعصية الله كان واضحاً أنه لا يُطاع فيها أبداً[2]، وحتىٰ إن ابتلىٰ الله أحدكما بفقد الآخر -حفظكما الله- استمرّ من بقي علىٰ دربه عبداً للواحد

---

(١) لا شكّ أن أولويّاتكِ وترتيب يومِكِ تتغيّر بعد الزواج، لكن توجد لدىٰ المرأة المتزوجة مهامٌّ وأمورٌ تقوم بها غير مرتبطةٍ بزوجها كطلب العلم والرياضة وورد القرآن وبر الوالدين وصلة الرحم وممارسة هوايةٍ، وكل ذلك ضمن طاقتها ووسعها ومع مراعاة طاعة زوجها واستئذانه للخروج بحسب اتفاقهما.

(٢) وهذه النقطة هي المحوريّة في ضبط علاقة الزوجين، وهي ألا يقبل أيٌّ منهما القيام بما لا يرضي الله إرضاءً للآخر، وبعض من الأزواج اليوم يدفعون زوجاتهنّ للتخفف من الحجاب الشرعيّ أو التنازل عن بعض ضوابط الاختلاط أو مشاهدة الأفلام أو الاستماع للموسيقىٰ أو غير ذلك مما لا يرضي الله، وقد تستجيب الزوجة لذلك لترضي زوجها الذي تحبّه، وهذا لا يجوز وينبغي الحذر منه..

الأحد الحيّ الذي لا يموت..

قد تبدو تلك الكلمات ثقيلة.. لكنها ضرورية لئلا تتعلقي بالعبد وتنسي نفسكِ ووجهتك، ولتتذكّري أن حبكِ له ووجوده في حياتكِ ككل ما يمرّ بك في هذه الدنيا وكلّ ما فيها، يتقلّب ويتغيّر وهو ابتلاءٌ وامتحان، هل ينسيكِ الغاية والوجهة؟ أم يعينكِ عليها ويثبتك؟

راقبي قلبكِ.. أنتِ وهذا الرجل عبادٌ لله وحده.. كلّكم لله..

وقتكِ كنزك!

وقتكِ وعمركِ هو رأس مالك.. هو كل ما تملكين، هو أكثر ما يستحق الندامة إن ضاع، وهو أكثر ما ينبغي أن تحرصي علىٰ أن يبقىٰ..

هو أثمن من أن تؤجلي فيه طمأنينتك وسكينتك وحاجاتك سنينًا طويلةً لأجل أن تملئي قائمة مهام (من شهادةٍ وشهادةٍ أعلىٰ وراتبٍ) صنعها العالم الحديث لكِ قبل أن يسمح لك أن تفكري ببدء حياتك..

أثمن من أن تقضي ساعاتٍ مستمرةً منه كل يومٍ في وظيفة لا تحتاجينها ولا تفيدين بها ولا تستفيدين منها لأن هناك من أقنعك بأنها "قوتك"، وحرمكِ بذلك من حقك الطبيعي بالتفرغ لما هو أولىٰ منها والحصول علىٰ دخلك الذي تحتاجينه كاملاً من الولي عليكِ..

أثمن من أن يضيع بعشرات الساعات علىٰ وسائل التواصل التي تسرق طاقتك وقدراتك وتركيزك وتملؤك بالشبهات والشهوات والمقارنات واليأس وبغض الذات..

أثمن من أن تضيع سنينه في سبيل سطور الخبرة علىٰ CV تعطينها لمن لا يتقون الله بك ولا يريدونك إلا صورةً أو آلة منتجة عندهم..

أثمن من أن يضيع لهثًا وراء سرابات الأفلام، أو المسلسلات أو الأغاني أو الروايات أو الأوهام..

هذا عمرك الذي يمضي.. هذا هو أنتِ.. كتابك الذي تملئينه.. هذا كل شيء عندكِ..

إنه يمر شئتِ أم أبيتِ.. وفي كل ثانيةٍ تقتربين من نهايته التي سهلٌ جداً أن

تتجاهليها وتنسيها..

ففكري قبل أن يضيع، توقفي وانظري فيما تفعلينه ولماذا ولأجل من وإلىٰ أين..

ومن ثم اختاري..

تقول: من أنا لأنصح غيري!

تقول: أنت لا تعلمين ذنوبي، انظري لحجابي الذي مازال بعيداً عن لباس الصحابيات، انظري لسنني التي لم ألتزم بها قط.. أنا فعلاً أستحي أن أنصح أو أن أتكلم مع أي أحدٍ في الدين!

وأقول: عزيزتي.. كلّنا خطاؤون، وكلنا سنبقىٰ كذلك، نسير في طريقنا لتزكية نفوسنا، نعمل ونجتهد ونتقدم علىٰ طريقنا، نتراجع أحياناً ونستغفر الله ونسرع بالتوبة، لكننا لن نكون ملائكة بين البشر يوماً، وستظل فينا عيوبٌ كثيرةٌ تتكشّف لنا علىٰ الدوام..

لكن لو تركنا جميعاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب سيئاتنا، لو تركنا النصح لأننا نخجل من نفوسنا، لو تركناه لأنهم قالوا لنا كلّما نصحنا "ركّز علىٰ نفسك!"، و"خليك في حالك!" فمن الذي يبقىٰ ليأمر وينهىٰ؟ من الذي سيظهر صوته في الساحة؟ من الذي يتكلم؟ وإن لم نكن ندعو للخير فإلىٰ ماذا ندعو؟ ولمن نترك صحبتنا وأبناءنا وبناتنا وإخواننا وأخواتنا؟

نعم، نتحرىٰ ألا نتكلّم إلا بعلم، نجتهد ليكون أسلوبنا حسناً وحكيماً وملائماً للموقف وللمقابل وللمقام..

لكن نجتهد أيضاً لئلا نترك الدعوة إلىٰ الله ربنا أبداً، لا نترك أمر الله ليُنسىٰ وإن كنا أضعف من أن نطبّق ما نأمر به أو نطبّق غيره، وإن كنا مازلنا نجاهد لنثبت عليه، وإن كان صعباً علىٰ نفوسنا نحن، نقول علىٰ الأقل أن هذا أمر الله، وأننا نحن المخطئون بتركه أو ترك غيره، وما زلنا نعمل ونجتهد ونحاول كل يوم، نقول أننا نريد رؤية شرع الله مطبّقاً وسيظل أمر الله هو الأحب إلينا..

علىٰ الأقل نظهر الحق، لا ندع كلمة العدل تنقرض لأننا نخجل بنفوسنا، وانظري لأهل الباطل، ما أصخب دعوتهم للعلمانية والنِسْويَّة، كيف يروجون للشهوات والمتعة والعبثيّة، كيف يزينون العلمانية وعبادة العلم التجريبي واللهو ومهرجانات الغناء ونتاج "الفنانين" وفكر المنحرفين بكل طاقتهم وقوتهم وعلىٰ كل منبر وفي كلّ مكان..

أليس الأولىٰ بنا نحن أن نستحيي ألا نجهر بالحقّ أمامهم؟ أليس الأولىٰ بنا أن نعلي كلمة الحقّ وبكل طاقتنا مقابلهم؟

هم يمكرون سراً وجهراً، يجتهدون بكل طاقتهم ليكون الكفر والانحراف هو الأشهر والأوضح والسمة الأعم لمجتمعاتنا والكلمة العليا.. أفلا نظهر الحق نحن علىٰ الأقل؟

وقد روي عن سعيد بن جبير قوله: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهىٰ عن المنكر حتىٰ لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهىٰ عن منكر. وقال مالك: وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء؟

عن القنوات والمواد "العامة"
المخصصة للشؤون الأنثوية الخاصة..

من الظواهر التي باتت منتشرة وكثيراً ما تُلبس الصبغة الدينية هي قيام فتياتٍ بإعداد وتقديم مواد عامة مكتوبةٍ أو مصوّرةٍ لتعليم النساء كيفية العناية بالجسد من البشرة والشعر أو تطبيق المكياج أو التزين للزوج أو الاستعداد للعلاقة الخاصة أو تهيئة أمورٍ متعلّقةٍ بالحياة الزوجية أو الحديث عن تفاصيلها، ومن ثم نشرها علىٰ وسائل التواصل لتصل للجمهور المستهدف من النساء المتزوجات أو المقبلات علىٰ الزواج..

وإن كنت أتفهم أن ذلك قد يصدر عن بعضهنّ لغايات حسنة، وكذلك أتفهّم الحاجة له والنفع الذي قد يحصل لبعض المتزوّجات به، وأعلم أننا أصلاً في مجتمعٍ يمنع السؤال والحديث في تلك الأمور حتىٰ في المجالس المغلقة أو الخاصّة، ويسميه عيباً وإن كان طلباً لرضا الله سبحانه وحسن التبعّل..

فإن ذلك كله لا يبرر الجنوح للجانب الآخر من خروج المرأة بنفسها علىٰ مواقع التواصل لتلقي الحديث المفتوح والعام عن ذلك وبكل تفاصيله ودقائقه وخصوصياته مما تتحرج الفتيات عادةً من الاعتراف بوجوده، فنجد الأنثىٰ التي الأصل في أمرها الحياء والستر تتحدث علىٰ يوتيوب أو انستغرام أو تكتب علىٰ فيسبوك عن أمورها الخاصة وسلوكياتها وعاداتها المتعلقة بها وبزوجها وتعلّم الفتيات عنها، بل وترفق ذلك بالصور والشرح، وهذا في محتوىً يمكن لكل من علىٰ وجه الأرض متابعته..

فهذه المواد وإن قالت صاحبتها في بدايتها أنها موجّهة للنساء ولا تريد اطلاع الرجال عليها فإن الذي يحصل هو اطلاع الرجال والكبار والصغار عليها فعلاً،

فالعنوان الذي يقول (للنساء فقط) أو (للكبار فقط) هو بوابة لوساوس الشيطان ليدفع المرء لنقر هذا الزر ليرىٰ ما الذي أثار فضوله، فالشيطان لم ييأس، والضعف البشري (حتىٰ بين "المتدينين") هو الأصل، والنفس الأمارة بالسوء حاضرة، وهذه المواد العامة لا تشبه إلا مجالسَ عامة مفتوحة الباب قد يحضرها أي شخصٍ يسمع بها، وتماماً كما لا يمكن أن تقول الفتاة فيها أنها تلقي محتوىً للنساء فتخلع حجابها، فإنه لا يمكنها قول أنها تلقي محتوىٰ للنساء فتتحدث عن خصوصياتها، ولذا لا يصحّ أن تقوم النساء بالحديث بتلك الأمور بهذا النمط المفتوح مطلقاً..

ومع ذلك ولأهميّة الكلام في هذه المواضيع والتعلم عنها وتوعية المتزوجات حديثاً بها فأقترحُ العناية بها بالشكل المنضبط الذي يحفظ من يقدّمنها ويتلقّينها معاً، كعمل دورات أو جلساتٍ خاصة للنساء فيها علىٰ أرض الواقع، لتشارك السيدة فيها خبرتها مع التبسط الذي يريحها والشرح الذي ينفع بما تقدّم لجمهورٍ خاصٍّ سجّل مسبقاً للحضور بشكلٍ منظّم..

أو إقامة مجالس خاصّة عبر الانترنت تتطلّب الإذن بدخولها بحيث تتحدّث الفتاة (صوتياً) فيها عن بعض ما يتعلّق بتلك الأمور دون الدخول بخصوصياتها ولا الحديث عن أيٍّ مما يخصّها وزوجها، ويمكن الإعلان عن هذه الجلسات علىٰ العام واشتراط التسجيل فيها والتأكد من هوية المرأة قبل إعطائها رابط الحضور، مع اتقاء منع الحضور إلا للنساء المتزوّجات فقط..

هناك كذلك مجموعات الواتساب أو قنوات التلغرام الخاصة التي تتيح نشر المقالات المكتوبة التي تشارك فيها الفتاة بعض المعلومات التي ترىٰ حاجة النساء المتزوّجات إليها أو أنهنّ سيستفدن منها بشكلٍ منضبط، وكذلك فكرة الاستشارات الخاصة التي تسأل فيها الفتاة من تثق بخبرتها عن أمور محددةٍ تحتاج مساعدةً فيها، بحيث يمكن للفتاة التي لديها علمٌ ببعض تلك الجوانب أن تقول أنّها مستعدّةٌ لتقديم الاستشارات الخاصة للنساء بموعدٍ مسبق..

وإلىٰ غير ذلك من أفكار تحتاج بعض التخطيط والبحث للبدء بها وليكون فيها الخير وتبادل الخبرات ونيل الغاية المرجوّة وإن علىٰ مستوىً أضيق وبدون كثيرٍ من المحاذير بعون الله..

مع ضرورة الإشارة إلىٰ أن هذه الوسائل البديلة أيضاً تحتاج أخذ الحيطة بألا يكون فيها تسجيلاتٌ متوفرةٌ تظهر الفتاة فيها بنفسها وهي تتحدّث عن تلك الشؤون، ولا تحتوي كلاماً فيه تفاصيلٌ خاصةٌ بحياة الفتاة أو وصفٌ لما بينها وبين زوجها، إذ في هذا كلّه حتىٰ بين الفتيات هدرٌ للحياء وتأثيرٌ علىٰ القلب قد يصل لإفساد توقّعات السامعات من الزواج وعدم رضاهنّ عن أزواجهنّ، ومع ضرورة التنبّه لمنع الحضور في هذه المجالس أو المشاركة بتلك المجموعات إلا للنساء المتزوّجات، إذ فتح تلك الأبواب علىٰ غير المتزوّجات قد يؤجج المشاعر ويحرّك الغرائز التي قد لا تُشبَع بالإطار الحلال في المدىٰ القريب..

نسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد..

عن المطبخ وجمال وقته..

هناك جمالٌ خاص في الوقت الذي أقضيه في المطبخ..

في تحضير الطعام لأسرتي، باستشعار نعمة معرفتي بهم، بإنتاج شيء مميّزٍ مما هو عاديّ بيديّ، وبشعوري أن لديّ في هذا المكان ما لا يتقنه سواي وما يحتاجه فعلاً أحبّائي..

لا أدري كيف حوّلت منتجات الأدب الغربيّ والأفلام والمسلسلات التواجد في مطبخ البيت إلىٰ إهانة أو منقصةٍ مرتبطة في أذهان كثيرٍ من النساء (والرجال) بساعاتٍ من الروتين الجاف أو التعب والإرهاق، أو التوجه لرضا الآخرين، أو السعي المفرط لتحقيق الكمال الذي يرجونه في الطعام! مع أن حقيقة الدخول إلىٰ هذا المكان والقدرة الإبداعيّة الممكنة فيه وأثرها علىٰ الحياة اليوميّة لأهل البيت هي مما لا يمكن إنكاره ولا التخلي عنه ولا تعويضه بأي حال..

لا مجال للمقارنة بين بيتٍ يعيش أهله علىٰ الوجبات السريعة الجاهزة علىٰ الدوام، وبين آخر تفوح فيه رائحة القهوة في الصباح والبهارات عند المساء والكعك في العيد وغيرها مما يختلف بحسب كلّ أسرةٍ ويكوّن جزءاً أساسيًا من هويتها وثقافتها وذكريات أطفالها ووجدانهم وأذواقهم وشعورهم بالسكينة والدفء والاطمئنان وحنينهم للعودة لحضن أمّهم ودخول بيتهم الدافئ المميّز بعد غياب..

مفهوم الطعام الذي يريح النفسَ لهوَ أمرٌ عجيب، فاجأني أنه موجودٌ حتىٰ عند الغربيين الذين يسمونه "comfort food" للدلالة علىٰ قوّته وأثره النفسيّ قبل الجسدي، والذي باتوا اليوم يحتفلون به في الأعياد وبعض نهايات الأسبوع لغياب الأم والأب معًا كل الأيام الأخرىٰ واكتفائهم بالوجبات السريعة أو مسبقة التحضير فيها!

فوجبة الطعام التي تخرج من مطبخ البيت ليست لمجرد ملء البطون ولا إشباع حاجة الجوع... إنما هي عناقٌ حانٍ في كلِّ لقمة، وشعورٌ بالأمن والحب والحنان مع كل تفصيلة لا يشعر به إلا من حرمه زمانًا واشتاق جزءاً بسيطًا من أثره العجيب في نفسه..

وجبة الطعام تصنع الذكريات برائحتها وهويّتها التي ترتبط في ذهن الأطفال بأمان البيت وراحته منذ أيامهم الأولىٰ، وتناولها الدافئ الذي يبدأ بذكر الله ويتخلله الحب والعطف والإيثار، هو مشهدٌ يوميٌّ يعلّم الأطفال خُلُق الإسلام ومعاني الكرم والإيثار والتواضع والصبر وتقدير النعم واستشعار فضل الله وكرمه ورحمته.. يعلمهم ذلك ودروسًا أخرىٰ كثيرةً دون وعظٍ ولا فلسفاتٍ..

لا أقول أن علىٰ كل فتاة أن تحب تحضير الطعام أو تستمتع به بذاته، ولا أقول أن التواجد في المطبخ شأنٌ أنثوي لا يمكن للذكور المشاركة فيه وإتقانه، لكنني أردّ أولاً علىٰ من يعتبره منقصة، ومن ثم أوضح عظم دوره وأثره فينا كإناث وفي من حولنا كذلك..

فالأنثىٰ تحب أن تكون راعيةً لبيتها وأسرتها، تحب أن تستشعر دورها الفطريّ في نفسها وفي نفوسهم، تحبّ أن تصنع الجمال وتقدّم الودّ والسكينة لمن تحب..

فلماذا يشوّه البعض كل تلك المعاني ويحرمون فتياتنا وأسرهم منها في سبيل نشر العداوة والبغضاء بين أهل البيت الواحد، حتىٰ يقتنعوا أن أحد أدواره الأساسية مهينٌ بينما غيره برستيجي ومهم؟!

ومن المستفيد من أثر ذاك التخريب كله علىٰ البيوت والأفراد والمجتمعات؟

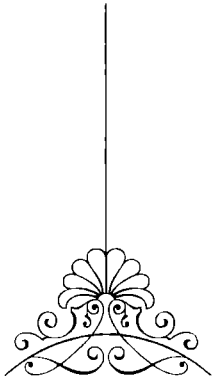

أمومةٌ وأمّهات

ثمانية عشر مقالاً من أمٍّ إلى أمٍّ، عن الأمومة ولها، عن حقيقة هذه النعمة العظيمة ومتعتها، عن رحلتها الحلوة الطويلة بين ألمها ولذاتها، عن معنى أنّنا أمهات، عن شكوانا وضعفنا وقوتنا، وعن إيجاد إجاباتنا..

"يعني أنتِ طبيبة لا أكثر؟"

- هل تقولين فعلاً أنك لا تفعلين شيئاً في الحياة إلا أن تكوني باحثة في هارفارد؟

- كيف يمكنكِ أن تَقنعي بحياتك وأنتِ مجرد بروفسورة في كامبريدج؟

- طيب، عدا عن كونكِ واحدة من أفضل الفيزيائيين في العالم، ماذا تنوين أن تفعلي بحياتك؟

هل تعجبتَ من تلك العبارات؟ هل تشعر أنّ المتحدث قادمٌ من كوكبٍ آخر؟

استبدل كل المهن "المرموقة" في تلك العبارات بكلمة "أمّ" ثم تأمل.. وتذكّر كم مرةً سمعتها في الحياة اليومية..

الأم في الإسلام هي مَن عند قدميها الجنة، وهي أحق الناس بحسن الصحابة، وهي مَن لا يؤدّي الابن حقها مهما اجتهد، وهي التي برها مفضّلٌ علىٰ الجهاد في سبيل الله.. وهذه كلها لا تكون لرائد الفضاء ولا للمخترع ولا للعالم ولا للحائز علىٰ نوبل ولا لغيرهم..

الأم هي الوحيدة التي لا يمكن لأي أحدٍ آخر أن يشغل دورها العظيم الذي تقوم عليه، فهي وحدها من رزقها الله الكفاءة الجسديّة والنفسيّة والفطريّة لتربّي أبناءها وتعتني بهم وتؤمّن لهم البيئة الآمنة المستقرة ليكونوا أفراداً أسوياء في مجتمعهم، يحقّقون التأثيرِ والتغييرِ في أمتهم..

فإلىٰ أي حدٍّ بَعُدنا عن ديننا واستبدلنا مفاهيمه بغيره حتىٰ بتنا نبخس حق الأمومة وتربية الأبناء ورعايتهم إلىٰ درجة أن يقال "أمّ لا أكثر!" بشكلٍ طبيعي وعفوي ومكرر حدّ الغثيان ولا يعترض عليه أحد؟!

إلىٰ أي حدٍّ باتت المنظومة المادية مسيطرة علىٰ حياتنا حتىٰ صارت الأم التي اختارت البقاء في بيتها مع أولادها تشعر بالحرج إن سُئلت عن "ماذا تفعل في الحياة"؟!

إلىٰ أي حدٍّ تبدلت نظرتنا للحياة حتىٰ أقنعنا كثيراً من الفتيات والفتيان منذ نعومة أظفارهم أن تحقيق الذات ولا شكّ مرتبط بالعمل خارج المنزل ورضا المجتمع عنهم فقط؟!

إلىٰ أي حدٍّ عظمت الدنيا في عيوننا ونسينا وجود الآخرة وراءها حتىٰ صار مقياسنا لما هو مرموق أو "برستيجي" مبنيـًا علىٰ الراتب الذي يحصّله آخر الشهر بغضِّ النظر عما يقوله الوحي في فضله وأولويته؟!

لا تستهيني بنفسك..

أختي المسلمة، أختي الزوجة والأم والمربّية..

سيحاولون إقناعك بأنك "عاطلة"، "غير منتجة"، "عالة"، وسيضعون كلمة "فقط" بعد كل ما يصفونك به لمجرّد أنك لا تكسبين المال ولا تساهمين بتحريك عجلة الاقتصاد ولا بزيادة الأرقام التي يقيسون حياتهم ويريدون أن يرسموا حياتكِ بها..

لكن هذه رسالةٌ لكِ.. لا تستهيني بأصغر ما تقومين به..

كونُك السكن لرجلٍ يرتاح من قسوة الحياة بلقائك عملٌ عظيم لا يقدر عليه إلا قليل..

قيامُكِ بدوركِ كزوجةٍ له تعفّينه بنفسِكِ، تصنعين هذا العالم الآمن داخل جدران بيتك، تحْنين علىٰ زوجك وتعينينه، تتفهّمينه له وتتقبّلين ضعفه.. كلّ تلك أمورٌ كانت ومازالت ذات أثرٍ لا مثيل له..

حبّكِ أولادك واستقبالك لهم بالحضن الدافئ والأذن المنصتة واليد الحانية..

شعوركِ بأهل بيتك وعلمكِ بحاجاتهم وأصحابهم ونقاط تميّزهم وضعفهم وقدرتك علىٰ تقديم النصح والعون لهم..

ملاعبتك لصغارك، تقديم الحب لهم، متابعتهم ومعرفة حاجاتهم التربويّة وما يناسبهم، علمُكِ بقدرِك كأمٍّ ومربّيةٍ لهم، رضاكِ بالدور الذي منحكِ الله وإبداعك في أمومتك وتنظيم يومك واستثمار وقتك..

كل تلكَ أعمالٌ دقيقة ومعقّدة، ذات آثارٍ عظيمةٍ لا يمكن التبخيس منها، لا

يعوّض مكانك فيها أحد..

أذكر مشاعري الغامرة عند لقاء أمّي كلما دخلت البيت عائدة من المدرسة في طفولتي، وجودها هناك، ابتسامتها لرؤيتي، سؤالها عني، معرفتها بأسماء أصدقائي ومعلّماتي وجدول يومي، وطمأنينتي وأمني بلقائها وعناقها وإخبارها عما جرىٰ معي كان مما لا تتسع الكلمات لوصف جماله وأثره في نفسي..

فلا تستهيني بما تبنينه في نفوس أسرتك كل يوم.. لا تستهيني بأثرك العظيم عليهم لمجرّد أنك ثابتةٌ علىٰ ثغرك، هانئة، مطمئنة وقائمةٌ بما عليكِ..

ليس مطلوباً منكِ أن تكوني المرأة الخارقة، ولا يجب أن تكلّفي نفسك ما لا تطيق لتحقيق معايير مجتمعية مستحيلةٍ أو صور هوليوودية أو أوهام انستغرام في المظهر والوظيفة والترتيب والتربية والطهو وغيرها..

يكفي أن تكوني أنتِ بكامل أنوثتك ورضاكِ وبساطتك.. بنتاً وأختاً وزوجة وأماً تتقين الله وتجتهدين لترضيه في نفسك وزوجك وأبنائك..

يكفي أن تكوني السكن لتلك الأسرة.. وذاك والله عملٌ عظيمٌ تغيّرين واقع الأمة منه..

لا نريدك شمعة تحترق لتضيء للآخرين!

كثيراً ما تأتينا ردود صادمة عند الحديث عن تقدير الأمّ والأمومة والثناء على التفرغ لتربية الأبناء، فبين من ترفض ذلك لئلا تذوب شخصيتها في البيت، وأخرى تقول إنّها لا تريد أن تحصر معارفها في تربية الصغار، وغير ذلك من ردود تظهِر بمجملها أن هناك خللاً واضحاً في التصور الذي يحمله كثيرون عن الأمومة وأدوار الأم في تربية أبنائها وأداء حقّ زوجها وكونها ربة بيتها بشكلٍ عام.

فهل المقصود من مدح الأمومة هو الدعوة إلى أن تكون المرأة شمعة تحترق لتضيء للآخرين فعلاً؟

تصوّراتٌ مغلوطة..

مع الأسف، فإنّ كثيراً من القرّاء حين يرون كلاماً عن الأمومة يتبادر إلى ذهنهم مباشرةً كمٌّ كبير من الصور الإعلامية التي أُلِفوها عن الأم "التقليدية" التي غالباً ما تكون في ثوب مهترئ، شعثاء الشعر، تركض وراء طفلٍ وتصرخ على آخر ليهدأ، متعبة طوال الوقت، لا تنام إلا بضع ساعات، وجلّ اهتمامها هو فيما يلبسه أبناؤها وما يملؤون به بطونهم!

هي صورةٌ كئيبة لربة البيت التي لا تعرف من التربية إلا تأمين حاجات البقاء عند أبنائها من غذاء ودواء ونوم ونظافة ولا تعرف من الحياة إلا واجبها تجاه أسرتها، ولا تعرف هذا الواجب أيضاً إلا بصفته قائمةً طويلة من المهام المادّيّة المملّة، ولا تقضي الوقت الزائد عن ذلك إلا بتزيين البيت والتجوّل في المحالّ التجارية ولغو الحديث مع الجارات والصاحبات الذي غالباً ما يكون غيبةً للزوج أو نميمة لغيرها من النساء!

إضافة إلىٰ ذلك فقد زرعت الثقافة الشعبية في النساء فكرة تمجيد "التضحية البطولية" التي صارت منوطة بدور الأم "المتفانية"، تلك التي تعتني بترتيب البيت أكثر من عنايتها بإتمام خشوع الصلاة، وتلك التي تتقن كل فنون الطبخ وتحضير الولائم، ولا تكترث بطلب العلم المفروض عليها، أو إجابة ما يدور في خلدها من شبهات وتساؤلات حول وجودها وهويتها، إنها "أم مثالية" بنظر مجتمعها لأنها ذات أبناء مهذبين مرتبين علىٰ الدوام، بينما هي نفسها جاهلةٌ بالسبب الذي يجعلها تنهك نفسها في سبيل الصورة النموذجية التط في بالها..

ولنتوقّف أولاً لنقول إنه ينبغي أن نجمع هذه الصور البعيدة كل البعد عما يريده منا خالقنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكل ما فيها من خداع ومزج بين الحق والباطل في حزمة واحدة وننظّف فكرنا وتصوراتنا عن الأمومة منها، ثم نبني فهمنا لمهام التربية ودور الأم التي جعلها الله أحق الناس بحسن الصحبة كما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأننا إن كنا لم نأت لها العالم بإرادتنا، ولم نخلق أنفسنا ولا اخترنا الزمان ولا المكان الذي ولدنا فيه، فإن العقل يفرض علينا أن نتلقىٰ وظائف وجودنا من خالق الأكوان تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لتكون لدينا الإجابات الصحيحة حين نُرَد إليه ونسأل عن عمرنا وجسدنا الذي ائتمُنّا عليه..

خطوتان إلىٰ الوراء..

ينبغي أن نتذكر في حديثنا عن دور الأم أنها أمةٌ لله قبل أن تكون أمّاً أو زوجة، هي نفسٌ إنسانية وضعها الله في هذا الكون من أجل الاختبار كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، فهي تشترك مع كلِّ البشر بأنها ممتحنة في أن تؤمن الله وتتوجه إليه وتستكثر من الصالحات ما عاشت، وتشترك معهم كذلك في أصول هذا الابتلاء، من كونه متعلقاً بتزكية النفس لتقوم بما أمرها به خالقها خشيةَ سخطه ورجاء رضاه وحبّاً له جَلَّ وَعَلَا، والأبناء والزوج في ذلك فروعٌ

عن الأصول، فهم طريق لطاعة الله والتقرب منه بكلّ كلمة ونظرةٍ ولحظة تقدّمها من نفسها لهم، كأي مسلمٍ يجتهد في عبادة الله، كرجلٍ يخدم أمّه المريضة (مثلاً) كجزء من هذه العبادة متقرباً بها إلىٰ مولاه سبحانه.

والمشكلة في موضوع الأمومة -كما أرىٰ- بدأت حين توقفنا عن استحضار الغيب في الأعمال الروتينية وغاب عنّا ذكر الموت والآخرة في الحياة اليوميّة، وصار همّ الناس محصوراً في النفع الماديّ الحاضر العاجل من وراء أيّ سلوك، بينما تربية الأبناء والأمومة ذاتها تحتويان كثيراً من الأمور التي تتسم بالثمرات المعنوية والنفسيّة والأجر عند الله، ومع وجود الثمرة الدنيويّة لكنّها قد تتأخر، وقد لا تحقق للأمّ كما تتوقّع بالضبط[1]..

وهذا حال كثيرٍ من الأعمال التي يفعلها المسلم في سبيل لله أولاً ومستحضراً ما عنده، ثم يجبر نفسه تعوّدها، ولذلك كان حضور الغيب اليوميّ في حياة المسلم أساسيًا في استقامته واستمراره علىٰ رضوان ربه، وسبحان الله الذي افتتح صفات المفلحين المهتدين في سورة البقرة بإيمانهم بالغيب وختمها باليقين بالآخرة اللَّذَين ينبني عليهما تحديد أولويات المرء ومن ثمّ الأعمال التي تشغل جدوله اليومي، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾[البقرة:٢-٥]

إضافةً إلىٰ ذلك فإن انتشار فكر الخلط بين العدل والمساواة واعتبارهما شيئًا واحداً جعل البعض يرون الأمّ التي تجلس في البيت مع أطفالها تعتني بهم وتربّيهم بحقٍّ بينما زوجها يعمل لأجل النفقة عليهم وتأمين مسلتزمات حياتهم الماديّة، كلّ هذا الفكر جعل البعض يرون الأم في هذه الحالة مظلومةً مقهورة لا تحقّق ذاتها ولا

---

(١) التربية الصالحة غالبًا ما تعطي ثمرةً في سلوك الأبناء، حتىٰ حين يختارون طريق الشر (وهو ممكنٌ ولو مع أفضل تربية) فإنها تقلل شرّهم أو تؤخره.

تملك حريّتها، بينما الرجل في هذه المعادلة هو "القوي"، "الممكّن" لأنه يحصل علىٰ الوارد الماليّ مباشرةً، ويقوم بالمهمّة التي صارت الأكثر "برستيجية" بسبب رفع الدنيا وغياب استحضار الآخرة!

والحقّ أنّ كون الأم أكثر من يباشر التربية ورعاية الأطفال لا يعني أبداً أنّ هذا ظلمٌ لها أو انتقاصٌ منها أو تركٌ لها لتقوم بالمهمّة الأقلّ، إنما هو توزيع أدوارٍ بحسب خلقة الله لنا واختلافنا فطرةً ونفساً وجسداً وعاطفةً..

ولو أنّ الدنيا سارت كما يريد دعاة المساواة حيث تقوم المرأة والرجل بذات المهمّات بشكل تامٍّ لفسدت الأُسَر وضاعت تربية الأبناء ولم يجدوا لهم أيّ حضنٍ يتلقّاهم حين يتعبون ولا من يكلّمهم حين يسألون، ولأُنهكت الأمّهات (كما يجري لنساء الغرب اللواتي تفرض المهن عليهنّ العمل بغض النظر عن الحمل والرضاعة وغيرها من تقلّبات!)، وسبحان الله الذي جعل مما نتج عن توزيع الأدوار بين الوالدين أن يكون نصيب الأم من البرّ ثلاثة أضعاف نصيب الأب، وذلك لعظم ما تقدّمه الأمّ المؤمنة مع أبنائها وتجتهد لترضي الله فيهم..

كما أننا ينبغي أن نوضّح ههنا أن الأمومة لا تنحصر في مهام مادية بسيطة، ولا يمكن أبداً وصفها بقلّة الأهميّة أو التأثير، بل هي مهمّة معقّدةٌ تتطلّب التوازن والدقّة والتنظيم، وتضم أداء حق النفس من حيث تزكيتها وتعليمها وفهم هويتها وغايتها والترويح عنها لتتمكن من طاعة ربها وتمثيل القدوة السعيدة المطمئنة لأبنائها، وإعطائهم من عاطفتها وفائض نفسها، ولئلّا تتعلّق بهم بشكلٍ مرضيٍّ يغلب عليها ويتعبها، وقد شرح د. إياد قنيبي مكونات التربية في الفيديو المعنون "بس تربية؟"[1] وذكر فيها ثلاثين ركنًا تربويا أقرَّ بأهميتها أكثر من عشرون ألف متابع في استبيان نشره لهم، حيث وضح أنها تعني بناء الإنسان الذي يعمل لتحقيق العبودية بمفهومها

(١) د. إياد قنيبي: "بَس تربية؟" https://www.youtube.com/watch?v=bxrHXsPw9O4

الشامل لصلاح الدنيا والآخرة.

ودور الأم يتضمن كذلك القيام بحق الزوج الذي جعل الله السكينة والمودة والرحمة التي تجمعه بزوجه من آياته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدنيا، فهذه هي الوجوه الثلاث التي ينبغي أن نرىٰ الأمومة من خلالها، وهي ثلاثتها تنضوي في مفهوم عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والنجاح بالامتحان الذي وُضِعْنا فيه، وذلك تطبيقاً لكلمة سلمان الفارسي رضي الله عنه التي أقرها النبي ﷺ: "إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعطِ كل ذي حق حقه "(أخرجه البخاري)

ثم ماذا؟

بعد أن قررنا أن هناك نظرة مجتمعية خاطئة تجاه الأمومة وظالمة في التعاطي مع مستحقاتها ومفهومها، وأن هناك ترسبات وعوالق كثيرة في النفوس حول هذا الموضوع، نجد أنفسنا -نحن الأمهات- أمام خيارين: أولهما أن نعيش دور الضحية، فنختلق الأعذار، ونضيع العمر في ذم الزمان السيء الذي ولدنا فيه، ثم نأتي يوم القيامة وقد فرّطنا بفرصتنا الوحيدة في النجاة الأبديّة -معاذ الله!- أو أن نلجأ للخيار الثاني حيث بإمكاننا التوقف والتفكر في أن الموت قد يأتي في أي لحظة، وفي أننا سنأتي يوم القيامة أفراداً لا يمكننا لوم أحدٍ علىٰ أعمالنا، ولا تعليق أخطائنا بغيرنا، فنفهم أننا أفراد من هذا المجتمع نملك القدرة علىٰ تزكية أنفسنا وتربية جيلٍ متحرر من جاهلية المجتمع وإعلامه الذي تعرضنا نحن لها.

ولا ننسىٰ نهايةً أن ننبّه إلىٰ أن دور الأمومة جزء من مسؤولية رعاية البيت ووضع وتطبيق خطّة سيره، والتي تتشاركها الأم مع الأب بلا شكّ، فمن الضروري أن يعلم الرجل عِظَم المسؤولية التي أوكل الله إليه، فيطلب ما لا يسعه جهله من العلم المتعلّق بتربية الأبناء في واقعه، ويستشعر حاجة زوجته لدعمه وتقديره أمام سيل المادية والنِسْويَّة والشبهات الذي يهدد ثباتها علىٰ ثغرها، فالرجل راعٍ في البيت قبل

المرأة، وهنا تبرز حاجتها لقوامته وولايته وحمايته لِتَوَجُّه الأسرة وتركيزها علىٰ هدفها الثابت وهو تحصيل رضا الله وجنته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

كان يوماً عادياً..

بدأته قبل الفجر بقليل ولم ينتهِ إلا وقد انتهت معه طاقتي ووصلت لسريري مستعدةً للنوم..

سينظر العالَم العَلماني المخدوع ليومي وكل أيامي ليقول أنني غير منتجة، عاطلة، لا أحقق ذاتي، و"يا مسكينة" لا أعمل بشهادتي ولا أملأ سيرتي الذاتية بالإنجازات ولا أقوم بشيء يرونه أو يزيد نتاج شركاتهم أو مؤسساتهم..

ستقوم الأمم المتحدة بإحصاء العاطلين عن العمل وسأكون من بينهم، سيتحدّثون عن حقوق المرأة وسأكون من ضمن من ينادون بـ"استقلالهم" أو "تمكينهم"، سيذكرون الأدوار الجندرية النمطية وسأكون نِعمَ المثال علىٰ "ضحاياها"، سيؤكدون في كل محفلٍ ومقامٍ أنني وأمثالي من النساء ننتظر تحريرهم والوصول إلىٰ حيث وصلت نساؤهم، يصورونا "مقهورات" لا نجد ما نملأ اليوم به إلا ما يقولون أنه "الحسرة" علىٰ النفس والسفر في الأوهام التي مازالوا يحاولون رسمها لنا!

لكن لو يعلمون كم أشعر أنّني ههنا مُمَكَّنة برزق ربّي، قويةٌ فعلاً ومنتجة جدّاً، وفي الحقيقة قد حققت نجاحات كثيرة وفي هذا اليوم فقط..

اليوم استقبلت صغاري بابتسامة وذِكرٍ لله حين استيقظوا..

اليوم أقنعت ابنتي ذات العامين بتذوق البيض لأول مرة[1]..

اليوم تمكنت من إعطاء نفسي استراحتها ولو بشيءٍ يسير من الجلوس وحدي..

---

(١) وأهتم بذلك لأني كخبيرة تغذية لا يعنيني أن أتقاضىٰ مالا علىٰ إقناع الآخرين بالغذاء الصحي بينما أنا أهمل صحة ابنتي وغذاءها.

اليوم ضبطت نفسي ومنعتها عن الغضب عدة مرات..

البوم سمعت محاضرةً في علم ينفعني وأنفَع به..

اليوم حضّرتُ لزوجي كوب الشاي كما يحبّه أثناء قيامه ببعض مهامّ عمله..

اليوم لعبت مع صغاري حتىٰ علت أصوات ضحكاتهم..

اليوم صلّيتُ الظهر والعصر علىٰ وقتهم..

اليوم حضّرت طعامًا صحيًا لنفسي ولأسرتي..

اليوم تابعتُ الثبات علىٰ ورديَ اليوميّ من حديث رسول الله ﷺ..

اليوم حرصت علىٰ حفظ أذهان أطفالي من المدخلات السامّة من الشاشات التي تحيط بكثيرٍ من الأطفال..

واليوم حصل الكثير مما لا يسعني إلا حمد الله علىٰ فضله وكرمه عليّ في تيسيره لي وإكرامي بالقدرة عليه وإن لم يسمَع به أحدٌ ولم يكترث به مخلوق خارج حدود بيتي..

ولذلك أقولها لكل أم وكل مربّية، لكلّ مجاهدةٍ هناك علىٰ ثغرها ثابتةٍ وسط كل الفتن المحيطة بها..

إن مرّ اليوم وقد قمت بما عليكِ فاحمدي الله واستشعري عظم نعمه عليكِ وفيكِ، دعكِ مما ستقوله عنكِ صديقتك التي كانت معك في الجامعة، دعك من أين وصلت فلانة "الفاشنستا" وما تفعله الأخرىٰ التي حصلت علىٰ تلك الشهادة أو توظّفت في تلك الهيئة أو نشرت صورها في ذاك المحفل..

احذري مشاعر الخجل أن تتسرب إليكِ حين تُسألين عن عملك، رُدِّيها مباشرةً بأنك لا تحتاجين لقبًا وظيفيًا ولا Career تبنينها ولا راتبًا آخر الشهر ولا بذلةً

رسميةً ولا مهامّ تُملىٰ عليكِ من قبل مدير لتكوني منجزةً ومنتجةً ومحققةً لنفسك، رديها بأنك تبنين الإنسان، تهيئين أطفالك ليكونوا مؤمنين سعداء في طوفان المادية والإفساد الجارف، ردّيها مباشرةً بأن مقامكِ حيث أقامكِ الذي اصطفاكِ لدورك..

أنتِ أمٌّ وزوجة وابنة، وأنتِ قبل ذلك أمةٌ لله، كلّ ما تعبدين الله به إنجازٌ، كلّ ما تقومين به علىٰ ثغرك إنجازٌ، وكل غرسةٍ تنشئينها في نفوس أطفالك هؤلاء إنجازٌ عظيم كذلك..

أعلم أنّه الأمر ليس يسيراً دومـًا، أعلم أنّ هناك أيامـًا تحتاجين فيها من يسندك ومن يذكّركِ بقيمة عملك، بأنّك لست قليلة وإن لم يركِ أحد، وإن لم تتمكّني من الافتخار بأيٍّ من نجاحاتك أمامهم، لكنّك هنا تغيّرين العالم، دقيقةً بدقيقةً وثانيةً بثانية، وكلمةً بكلمةٍ ولمسةً بلمسة، فاثبتي واستعيني بالله، لا تستهيني بنفسك وقدراتك، ولا تكترثي بمشتتات الطريق..

بين عربتين..

أدفع عربة صغيري الرضيع أمامي، تمرّ من مقابلي امرأةٌ تدفع كرسيّ أمها المسنّة..

تتلامس العجلات..

بين ضعف الطفولة هنا وضعف الهرم هناك.. صغيرٌ ترعاه أمه وأمٌ ترعاها ابنتها..

هذه هي الحياة الدنيا.. هذا عمرنا مهما عشنا وأيًا كنّا ومهما طالت آمالنا وكبرت أحلامنا..

محطّةٌ قصيرة يضيعها أكثر الناس لهواً ولعبًا وعبثًا كأنهم فيها خالدون، مسافةٌ يسيرةٌ يقتربون من نهايتها كلّ يومٍ وهم يظنّون الخير في عدم اغتنامها ولا التزوّد منها لحياة الأبد القادمة..

فاغتنم وتزوّد للقادم، وانظر لحجم هذا أمام ذاك.. فأنت عبدٌ لله لم تخلق عبثًا..

الأمومة وأزمة الشعور بالإنجاز..

كثيراً ما تعاني الأمهات من مشكلة الشعور بعدم الرضا عن الذات؛ وذلك بسبب ما يسمينه "قلة الإنجاز" في الحياة اليومية، فرغم أن إحداهنّ تمتلئ حبًا لأولادها وتحمد الله علىٰ أن وهبها إياهم وتستمتع بعنايتها بهم، إلا أنها تصل في نهاية يومها لسؤال: ماذا عني أنا؟ فتشعر أنها صارت بكلّيتها لبيتها وأبنائها وزوجها، تدور في فلكهم، وتعمل لأجلهم، ولا تحقق لذاتها شيئًا، فلا هي راضية عن نفسها ولا هي مستريحة في خضم الأعباء اليومية الكثيرة التي تحملها.

تقول: "ها أنا ذا بعد سنين من كوني أمًا، لا حصّلت شهادة ولا امتلكت مهنةً ولا غيّرتُ في عالمي شيئًا، كأن العالم كله يسير ويتقدّم، وأنا ههنا متوقفة في مكاني، فما الحل؟"

ولأهمية هذا السؤال وتكراره وجدت أن أفرد هذا المقال لإجابته من تجربة شخصية ونظر في تجارب غيري، وقراءات في الواقع العملي للأمهات..

لكنني أود بدايةً أن أذكر نفسي وغيري من الأمهات بضرورة شكر الله علىٰ أن رزقنا هؤلاء الأبناء وقذف في قلوبنا محبتهم والشفقة عليهم والحرص علىٰ مصالحهم، وتلك مِنَنٌ عظيمةٌ حُرِمها كثيرون، وحُرِم استشعارها أكثر، خصوصًا أننا نعيش في عالم مادّيٍّ، لا يقيس معطياته إلا بالمال والفائدة المباشرة والرفاهيات الدنيوية المتتابعة، ونكاد نفقد فيه معاني العطاء المخلَص لله، والاستمتاع به وبملاءمته لطبائع نفوسنا وحاجاتها، وأذكر هنا قول امرأة فرعون لما رأت الصغير ورقّت فطرتها السليمة له: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص:٩]، وقول رسول الله ﷺ حين وصف فيض مشاعره لسبطيه رضي الله عنهما: (إنّ الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا) (أخرجه البخاري)، ولله

وحده الحمد والمنة والفضل.

ما هو الإنجاز؟

ينبغي في بداية النقاش أن نوضح مفهوم الإنجاز الذي يبحث عنه كل مسلم أيًا كان دوره وموضع استخلافه في الدنيا، فالمؤمن لا يهدف لمجرد الإنجاز بمفهومه المجرّد، إنما يبحث عن إنجازٍ يقرّبه كل يوم من مولاه ويزيده إيمانًا ويرفعه منزلةً عنده، فيحمد الله ويشعر بالنجاح إن قدّم أيًّا من ذلك، ويسارع بتدارك نقصه إن لم يفعل، ويراقب نفسه باستمرار، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: مِن فِقه العبد أن يعلم: أَمُزدادٌ هو أو منتقص[1]، وذلك في ضوء العلم بالمسؤوليات والقدرات الفردية وما يوافقها من أولويّات وواجبات، وانطلاقًا من العبودية لله والتسليم والانقياد له، والتوجّه نحو رضاه وجنته كغايات عظمىٰ ينبغي أن يقرّب كلّ ما دونها منها،

فالمؤمن الذي يقيس نجاحاته وإنجازاته بمعايير الوحي المنصفة سيجد حاجة الإنجاز لديه محققة إن قدّم أقلّ القليل من أداء الفرائض والامتناع عن المحرمات واغتنام الوقت في يومه وليلته، سيرىٰ الأب نفسه منجزاً إن حكىٰ قصةً هادفة لابنه -مثلاً-، وسيحسّ الموظف بالنجاح إن قاوم شيطان الرشوة طيلة يومه، وستشعر اليافعة بتقدير النفس إن تمكّنت من إمساك لسانها عن الغيبة خلال مجلسٍ مع الصديقات، ولا علاقة لذاك كله بلقبٍ مهنيّ، أو رأي أحدٍ من البشر، أو وجود مقابل مالي للعمل من عدمه.

وهذا ينطبق علىٰ المرأة القائمة بدور الأمومة بشكل طبيعي إذ كلّ ما تقدّمه من عمل صالح بقلبها أو جوارحها، تجاه خالقها ونفسها وزوجها وأطفالها، إنما تقدّمه لنفسها أولاً، ويدخل في باب ازديادها من الخير وملء ميزانها من الحسنات إن أخلصت نيّتها لله وعملت علىٰ النحو الذي يرضي الله سبحانه؛ وبذلك يكون

---

(١) ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. كتاب الإيمان. ص٢١١.

عملها مع أبنائها جزءاً من إنجازها اليومي وطريقاً لها نحو الأجر والرفعة بإذن الله، وتستمتع معهم بكل لحظة وهي عالمةٌ أنها نجاح خاص بها تخبئه لآخرتها، وتحصد منه في دنياها سكينة وطمأنينة ببيتها ومودة ورحمة وصلاحا وبراً وسوية نفسية تراها في أبنائها، لا عائق لها عن تحقيق ذاتها وأحلامها التي قررها لها من لا يعرف عنها شيئاً.

ترتيب الأولويات فسحةٌ للنفس

ينبغي بعد تعريف الإنجاز أن نميّز بين الاعتراف بوجود مشكلة الدوران في فلك الأبناء التي تحسّ بها كثيرٌ من الأمهات وبين قبول أي حلٍّ مشهور لعلاجها، فبينما لا ينبغي أن تفقد الأم خصوصيتها وتشعر أنها مملوكة لأبنائها مهملةٌ لحق نفسها -كما وضحت في مقالٍ سابق[1]، فإن الحلول العولمية الجاهزة ليست بالضرورة ما تحتاجه الأم.

فالمرأة التي تعاني من غياب حق النفس لن تشبِعَه إن فُرض عليها الخروج لوظيفةٍ أو التوجه لتحصيل شهادة جامعية يختارها الآخرون لها، بل إن ذلك سيكون ثقلاً إضافيّاً علىٰ كاهلها لا تحتاج لحمله ولا تنتفع به علىٰ الحقيقة، خصوصاً ونحن نتحدث عن امرأةٍ تذهب لهذه الأمور من أجل إجابة مشكلة محددة، لا من أجل حاجة حقيقية لديها، فقضية الشهادة والعمل ينبغي أن ترجع إلىٰ سلّم الأولويات، وتحديداً إلىٰ أسئلة متعددة مثل: ماذا؟ لماذا؟ وكيف؟

فلا نريد أن نسعىٰ لهذه الأمور طلباً لرضا الناس عنا ولا استغراقاً في التنافس معهم، لأن هذا مما يزيد إرهاق النفس وتعبها، ولا نريد أن نترك ذلك لنثبت قوتنا وتفردنا لهم أيضاً، فنعود للمعيار، حيث تسأل الأم نفسها بصدق: ما هو واجبي أنا في هذا المكان وفي هذه اللحظة؟ ما هو العلم الذي أحتاج لطلبه؟ وما هي المهمات

---

(١) ينظر مقال "لا نريدك شمعة تحترق لتضيء للآخرين!" الوارد سابقاً.

التي تحتاجني وأحتاج فعلاً للقيام عليها؟ ما هي خياراتي وكيف أرتبها كما يريد الله سبحانه منّي؟ ماهي مهاراتي وقدراتي التي يمكنني أن أغتنم وقتي الإضافي فيها؟ وهل يدخل الذي أريد فعله ضمن الواجب، أم المندوب، أم المباح؟

إن كان الفعل داخلاً ضمن الواجب العينيّ فعلَتْه مباشرة، وإن كان ضمن الفرض الكفائي قامت به بعد إنهاء واجبها بحسب قدراتها، والمندوب والمباح يأتيان بعد ذلك، وفي ضمن هذا النظام تقدّر الأم نفسها علىٰ إنجازها بعد إنهاء كل واجب وبعد تحقيق المطلوب منها في أي يوم، ثم تلتفت للمندوب ومن بعده المباح ناظرة إلىٰ ذلك كله بعين التوجه لله بالقول والفعل وأداء الأمانات التي وُكِّلَت بها من علم وقدرة ورعيّة هي مسؤولة عنها أمام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن المهم في كل ذلك أن نرتب الخيارات بالشكل الصحيح انطلاقاً من فهم حقيقة الابتلاء في الدنيا والعبودية لله فيها، وهذا ممّا يريح النفس ويطمئنها، إذ تدع كثيراً من الأعباء الملقاة عليها من أجل تحقيق صور المرأة المثالية أو المرأة الخارقة الجامعة لكل المحاسن والأدوار التي يصورها المجتمع لها، كما تتجاوز المقارنة مع غيرها، وتكف عن جعل آرائهم وتعليقاتهم معياراً لما تريد أن تفعله وتحققه.

فكل أم مختلفة عن الأخرىٰ، وحاجاتها وظروفها وطبيعة حياتها وطاقتها وسنّ أبنائها وحالتهم الصحية تختلف كذلك، فلا يمكن رسم جدول يومي لما يجب علىٰ كل أم أن تقضي فيه يومها، إنّما هو سلم أولويات أساسه أن الله سبحانه هو الأول في حياتنا، فلا نعمل إلا لرضاه ونعطي نفوسنا حقها طلباً لرضاه، ونقوم بواجباتنا تجاه الخلق توجهاً إليه وحده، ومن إحسان الأم لنفسها أن تعتني بأبنائها وهي عالمةٌ أن هذا عمل لوجه الله، لا لوجه الأبناء..

وفي ختام هذا المقال أنصح نفسي أولاً وكل أم بإغلاق البوابات المفسدة المفتوحة علىٰ القلب والفكر، استغني عن أي نظرة تدفعك للمقارنة والشعور

بالنقص أو الدونية، استشعري إنجازك العظيم اليومي إن أدّيت ما فرضه عليكِ مولاك، وتذكري أنك تعملين لنفسك فعلاً مع هؤلاء الأبناء، تذكري سلم أولوياتك ومعياريتك، وانطلقي بعدها في خياراتك حسب طاقتك وظروفك وحاجاتك.

ونسأله وحده أن يعين الأمهات والآباء والمربين علىٰ ما يحملون من مسؤوليات ثقيلة في فتن عالم اليوم، وعسىٰ وحده يثبتهم علىٰ دربه وينير بصيرتهم ويؤنسهم ويجعل أبناءهم قرة عين لهم في دنياهم وآخرتهم، وله الحمد أولاً وآخراً.[١]

(١) فصّلت في مفاهيم النجاح والإنجاز وتحقيق الذات في محاضرةٍ نشرتها علىٰ يوتيوب عنوانها "النجاح، الإنجاز وتحقيق الذات.. طموحاتٌ أم أغلال؟"

https://www.youtube.com/watch?v=yE7SYjzOLTg&t=309s

من الإنجاز نحو السعي!

بعد أن تحدثنا عن بدايات تصويب مفهوم الإنجاز، نحتاج للعمل علىٰ التحرك من البحث عنه نحو تقدير وترسيخ واستحضار مفهوم ((السعي)) في حياتنا اليومية كما هو في الوحي العظيم..

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

فالله يحاسبك علىٰ سعيك لا علىٰ نتيجته، علىٰ العمل وصوابه ونيته، علىٰ الأخذ بالأسباب.. لا علىٰ ما يجري بعدها..

"إن قامتِ الساعةُ وفي يدِ أحدِكم فسيلةٌ، فإن استطاعَ ألّا تقومَ حتىٰ يغرِسَها فليغرِسْها"

قد تزهر فسيلتك وقد لا تزهر، قد تكون جزءاً من حصاد الثمرة وقد لا تكون، قد تراها وقد لا تفعل، وقد تعمل أياماً وسنيناً في سبيل غرسةٍ يقطفها الجيل الذي يأتي بعد جيل ابنك..

هناك أمورٌ تلمس نتيجتها ويمكنك الكتابة عنها، وهناك ما لا يمكنك الحديث عنه ولا وضع إشارة "✓" بجانبه علىٰ قائمتك أو تسجيله في سيرتك المهنية وهناك ما لا يراه ولا يعلم قيمته إلا ربك..

طالما أنك في سعيٍ نحو رضا الله عنك فأنت منجز ولو لم تنهِ أي شيءٍ اليوم، طالما أنكَ حاولت أن تقلِع عن عادةٍ سيئةٍ واقتربت من ذلك فأنت منجز اليوم، طالما أنك تنبهت لخطأٍ عندك وحاولت التعلم عن تصويبه فأنت منجز، طالما أنك تعمل لتكون أفضل في أداء واجباتك وفي نفسك فأنت منجز..

فحياتك أكثر من مجرد قائمة مهام عليك إنهاؤها لكتابة غيرها، حياتك رحلةٌ فيها مجاهدةٌ وابتلاءات وصعودٌ وهبوط وخطأ وتوبة، فيها تغيّراتٌ كثيرةٌ وامتحاناتٌ ترفعك أو تخفضك، وطالما أنك تعمل في سبيل الله فهو يثيبك علىٰ كل خطوة، والمهمّ أن تعلم كيف تستمر بالسعي والتقدم، كيف تعمل في ميدانك وبحسب اختبارك وابتلاءاتك في سبيل رضا ربك..

والحمد لله لأنه أرحم بنا من نفوسنا ومن فهمنا.. الحمد لله..

وعلىٰ الهامش..

أقول لكل أم تقرأ هذه الكلمات..

اشعري بالإنجاز بعد أي وقت نوعي الذي قضيته مع أبنائك..

اشعري بالنجاح بعد كل خطوة مشاها صغارك نحو معرفة الله وحبه وحب أنبيائه..

قدري نفسك إن استطعت أن تكظمي غيظك مع صغيرهم وتملكي زمام نفسك أمامهم..

افتخري بيوم لا تذكرين من إنجازاتك فيه إلا أن صليتِ فروضكِ بخشوعٍ علىٰ وقتها، وهيأتِ لصغاركِ طبقًا يحبونه..

والأهم من ذلك كله هو أن تشعري بالنجاح الكبير في آخر يوم أديت فيه واجبك تجاه الله ونفسك ونفوسهم وتقدّري نفسك لذلك وتحمدي الله علىٰ أن وفقك له بينما كثيرون في نفس العالم ضائعون في غفلة وضلال، لا يعرفون من هم وماذا يفعلون في هذا الكون ولا إلىٰ أين يمضون..

أنتِ امرأة ناجحة ومؤثرة وفعالة وملهمة بمجرد أنك تعرفين من أنت وتسعين

نحو رضا مولاكِ، فلا تشعري بالدونية أو قلّة الإنجاز..

دعكِ من تعريف هذا العالم المخادع للنجاح والأهداف والقيم..

ثم ارجعي وراجعي نيتك وصفة عملك ومكانه وأولويته..

أعط كل ذي حقٍّ حقه..

انظري إلىٰ الهدف الذي هو رضا الله وجنته واعلمي أنك مع كل خطوة نحوه تنجحين وتحققين وتفوزين، وها أنت ذا علىٰ مضمارك الخاص تمضين لا تنافسين إلا نفسك ولا يعيقك إلا شيطانك ونفسك الأمارة بالسوء.

رضي الله عنا وعنكِ ووفقنا جميعـًا لما يحبه ويرضاه..

"لا أصدق كيف تستطيع فعل كل ذلك!"

"ما شاء الله، إنها امرأة مثالية! تجدينها خارج البيت وداخله وفي المجالس الاجتماعية والجامعة والعمل والجمال والتربية، هي امرأة استثنائية بالتأكيد!"

"كم أحسدها علىٰ قدراتها! انظري إلىٰ ما تنجزه، انظري إلىٰ أناقتها وترتيب أولادها، انظري إلىٰ صفحتها في انستغرام، وأيضاً أنهت رسالة الدكتوراة قبل شهور!"

رأيت تلك العبارات؟ هل تحسرت علىٰ نفسك مقارنة بمن تتلقاها؟ هل تمنيت لو كنت مكانها؟ طيب، تعالَي نفككها أولاً..

هل هناك امرأة قادرة فعلاً علىٰ أن تكون كل شيءٍ وتتحقق أعلىٰ الأهداف في كل النواحي الحياتية في نفس الوقت؟ هل النجاح أصلاً يساوي تحقيق كل شيءٍ ممكن التحقيق؟ هل هذا مطلوبٌ من الأنثىٰ؟ هل عليها أن تكون الأم والعاملة والأنيقة والاجتماعية والجميلة والمثقفة والمؤثرة في نفس الوقت؟ وإن كانت كذلك فهل ستكون سعيدة؟ أي راحة أو سكينة تبقىٰ لها بعد ذلك كله؟ أين فسحة نفسها؟ أين المجال لتروّح عن نفسها أو تأخُذَ نَفَساً؟

وعلىٰ أي أساسٍ يقرر الناس أن تلك المرأة تقوم بكل شيء وتحقق كل شيء؟ بناءً علىٰ ماذا يعطونها صفة المرأة المثالية أو "الزبديّة الصيني "(بلهجة أهل الشام) التي تستطيع جمع ما يحتاج القيام به ٥٠ ساعة بدل الأربع والعشرين الموجودة في اليوم الواحد؟ وهل يعلمون منها إلا ما يرون؟ هل يهمهم أساساً إلا الظاهر منها أمامهم؟ وما أثر تلك الكلمات علىٰ متلقيتها وعلىٰ غيرها من نساء المجتمع من فتيات صغيرات وحتىٰ أمهاتٍ وجدات؟

تلك الكلمات التي تصور أوهام الناس وأحلام الفتيات وعُقَداً متوارثة عبر أجيالٍ هي بالضبط ما ينبغي عليّ وعليكِ الحذر منه والرجاء بأن يباعد الله بينك وبينه، إنها طريق مؤلم وطويل وشاق، طريق مرسوم من السراب تظن صاحبته بأنها أمسكته في لحظة، ولذلك فإنّ عليها الاستمرار بالتعلق به قبل أن يضيع وتنحدر بضياعه لمرتبة من تظنهم عامة النساء الذين ترقّت عنهم بوهم رسمه أحدهم لها..

هو طريق مؤلم وخيال كاذب.. كلمات لا قيمة لها لا تستحق ألمك ولا معاناتك في ضنك عيش لم يفرضه الله عليك، ليس من واجبك أن تشبهي هذه أو تلك، لا ينبغي أن تكوني أمـًا كاملة وسيدة مجتمع راقية مثقفة ومتأنقة وعاملة وطاهية محترفة وملمة بكل أساليب التربية وأخبار التافهين وأحدث طرق وضع المكياج والموضة والسياسة والرياضة، وإن كنتِ امرأة" عادية" فأنتِ لستِ أقل من تلك التي يقولون عنها أنها" خارقة" لمجرد تلك العناوين التي يرسمون..

أنتِ لستِ امرأة مثالية كما ظنّت إحداهن يومـًا.. أنت امرأة عادية تجتهدين وتتقدمين وتتأخرين، لديك قوة في هذا وضعف في ذاك، جدٌّ في يوم وكسل في آخر، عندك قدراتٌ محدودة وتأثير محدود، والمطلوب منك هو ترتيب أولوياتك بما يرضي الله عنك وإن كانت النتائج بعيدةً أو قليلة أو سخيفة بنظر كل الناس حولك، وكونك امرأة قائمة بما عليكِ تسيرين علىٰ طريقٍ آخره رضا الله وجنته هو الهدف وهو النجاح الذي تسعين إليه[1]..

احرصي علىٰ ما ينفعكِ ((أنتِ)) واستعيني بالله ولا تعجزي..

---

(١) ولا شكّ أن هناك ثمرةٌ دنيوية عظيمةٌ قبل الأخروية تجدها المرأة الثابتة علىٰ ثغرها، وسيغار منها حين تظهر الذين عايروها أو رأوها قليلةً أو ناقصة من قبل، تلك الثمرة ستظهر في علاقتها الطيبة بزوجها وقربها من أبنائها وفي طمأنينة نفسها وبسمتها الوادعة وراحة بالها، بينما الذين أضاعوا سنين عمرهم بعيداً عن أبنائهم ولم يعطوهم ولا الزوج أولويتهم سيأتون وقد كبُرَ الأطفال وغادروا وهم لا يعرفونهم ولم يبنوا علاقةً بهم، وكذلك بقوا مع زوجٍ هم في بعدٍ شديدٍ عنه، ناهيك عن التعب النفسي وشعور الذنب الذي سيبقىٰ معهم حينها..

"أمورٌ كثيرة تغيرت حين صرت أماً.."

جسدي، شكلي، جدولي، طاقتي، أولوياتي، وقتي وقدرتي وإنجازي، بل وحتىٰ سعادتي..

يعني أنا أحب طفلي، لكن هذا التيغير صعب، أشتاق لتلك الفتاة الحرّة التي كنت إياها، أشتاق للنوم المتواصل، للقهوة الساخنة، للبيت الهادئ، للاسترسال في رسم لوحة أو قراءة كتاب، لجلسة هادئة مع صديقاتي، للاهتمام بذاتي وحدها، لعدم الاكتراث بالفوط والحليب والرضاعة والجوارب الصغيرة والقفازات الدقيقة المبعثرة بين أغراضي..

أشتاق للماضي الذي مرّ سريعاً، لحين كنت طفلةً لا أعرف المسؤولية..

أشتاق ويؤلمني أنني أشتاق.. "فما هي مشكلتي؟ "

سؤالٌ يتكرر علىٰ خجلٍ ومع كثيرٍ من الاعتذار والتبرير والتلعثم..

ولنفسي ولمن تملك هذا السؤال أو يخطر لها جزءٌ منه أوجه هذه الكلمات..

اعلمي أولاً أن المشاعر التي لديكِ عادية وطبيعية وغير معيبة، بل إن رغبتك بفهمها والسؤال والتعبير عنها علامة خير بإذن الله..

لقد تغيرت أمورٌ كثيرةٌ فعلاً في حياتك منذ قدوم هذا الضيف طويل المقام إليها، لم تعودي بنتاً، بل صرتِ أماً!

صارت لديكِ هوية جديدة ومعها انقلبت موازين كثيرة في حياتك، وطبيعي مع كل هذا التغير أن تشعري بالاختلاف والغربة والوحدة والشوق إلىٰ ما كان والرغبة بقليلٍ منه، طبيعي أن تشعري أنك في مكان جديد وأنتِ في نفس المكان، أنك

شخصٌ جديد وأنتِ ذات الشخص..

أضيفي لهذا أن النفس بطبيعتها تحنّ دوماً إلىٰ الماضي وتتصوره أحلىٰ مما كان وتطلبه وهو مستحيل الإدراك بعيدٌ لا يعود، كأنها كانت فيه في سعادة مستمرة وانتقلت منه إلىٰ تعاسة دائمة وإن كانت الأدلة لا تدعم ذلك (في غالب الأوقات)..

لذا وأمام كل ذلك أعطِ نفسك بعض الوقت لتتأقلم وتعيد تكيفها مع الواقع الجديد، هيئيها لأن الحياة لم ولن تكون مجرد فراشات ودمىً وابتسامات وقبلاتٍ ومناغاةٍ للطفل الصغير فقط، توقّعي منها أن تتغير وأن تحتاج لاكتساب علمٍ ربما لم تطرق بابه من قبل، اعلمي أنّ إنجازها لن يكون كما كان من قبل، أن قدراتها لن تظل كما هي وأن جدولها بات مشتركاً مع إنسانٍ آخر غيرها وغير زوجها، ستتعبين وستحزنين، وستجدين نفسك أمام كثيراً من الخيباتٍ والآلام والمفاجآت، لكن تذكري أن الألم عابر غير أبدي، وتذكري أن اللذة تلازمه وابحثي عنها، وكلما ضاقت عليكِ استحضري أن الأمر بالمآلات، فألم دقيقة يستحق الصبر مقابل نعيم الأبد الذي يعنينا ونسعىٰ له فعلاً..

طبيعي أن تشعري بالفرق، لكن تذكري حديث رسول الله ﷺ" احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" ، أفكار مقارنة الحاضر بالماضي ليست مما ينفعكِ ولا مما يقويكِ، إنما هي من سبل الشيطان إلىٰ قلبك ليحزنك ويدعوك لطلب ما لا تملكين ولا تريدين وتزهيدك فيما عندك من كنوز وبوابات خير، ولذا ركزي في اللحظة التي أنتِ فيها، استشعري كرم الله عليكِ كأم (لا كطفلةٍ سابقة)، استمتعي بلحظاتك مع طفلك وتأملي عظيم المكان والتأثير والمسؤولية التي أوكلت إليكِ فيه، ثم استعيني بالله ولا تعجزي، وابني لنفسك جدولاً يومياً جديداً يناسب الوضع الجديد وتستحضرين فيه الإنجاز الذي تحققين الآن قبل حتىٰ أن تضعي الجدول، وضعيه انطلاقاً من اليوم والآن بغض النظر عن كل ما كان...

أنتِ أم، لكنك أيضاً أنثىٰ وامرأة وزوجة وأخت وابنة وخالة وغيرها، وقبلها كلها أنتِ أمةٌ لله وحده تعبدينه حيث وضعك، فاستحضري ذلك في جدولك، لستِ ملكاً للطفل ولا حياتك تتلخص فيه وإن بدت كذلك الآن، الطفل سيكبر والألم واللذات الكثيرة المرافقة له ستمرّ، لكنّ ما الذي يبقىٰ، وما الذي تريدين أن تجدي في صحيفتك عنه ومنه يوم القيامة؟

ضمّي أطفالك..

ضمي أطفالك وقبليهم وشميهم.. أخبريهم بمقدار حبّك لهم، احمدي الله أمامهم أن وهبك إياهم، قولي لهم أنهم أجمل نعم الله عليكِ وأنكِ لا تتصورين مقدار كرم الله عليكِ بهم..

ببساطة: استمتعي بأمومتك..

أطفالك ليسوا عائقاً عن نجاحك، ليسوا هماً ولا تعباً (وإن كانت تربيتهم تحوي كثيراً من الصعوبات وتتطلب كثيراً من الصبر)، أطفالك ليسوا ثقلاً جاثماً علىٰ صدرك، ليسوا ما يمنعك من طموحاتك ولا ما تريدين إيجاد "الحل" له لتستطيعي العودة لحياتك ونفسك وأحلامك..

سهلٌ جداً في عالمٍ تملؤه الرسائل المشوّهة التي تفسد الإنسان وتتعسه أن ترَي أجمل نعم الله عليكِ كشيءٍ بشعٍ يقيدك ويسيطر عليكِ، سهلٌ جداً أن يتحوّل شيءٌ من أعظم رزق الله لكِ إلىٰ "ثقلٍ" يعيقكِ عن "أحلامك"، سهلٌ جداً أن تتحوّل معجزةٌ ولذّةٌ عظيمةٌ إلىٰ شيءٍ عاديٍّ لا يستحقّ التقدير (إذ: "كل الناس ينجبون، فما الاستثنائي؟")..

سهلٌ جداً اليوم أن نكون جميعاً سجناء فكرة "تحقيق الذات" بالأسلوب الفرداني المادي السريع فقط، تلك الفكرة التي -بالمناسبة- سيطرت علىٰ كثير من الرجال أيضاً، فلا يكادون يجدون الوقت لبيتهم وأولادهم وزوجاتهم ولا برّ والديهم، إنّها فكرة أن علىٰ كل فردٍ أن يحقق ذاته لأقصىٰ حد، يكسب أكبر قدرٍ من المال، يترقىٰ في وظيفته لأعلىٰ حد، ويمتلك أفضل سيارة ممكنة ويوسّع بيته قدر الإمكان وينافس علىٰ الدنيا ما أمكن ويحقق ذاته ويؤمّن علىٰ نفسه ما أمكن.. وباختصار: يلهيه التكاثر حتىٰ ينتهي عمره كله فيه..

في هذا العالم.. سهلٌ جداً أن تنظري في أطفالك فلا ترين أيًا من عظيم نعم الله عليكِ بهم، لا تتمكنين من استشعار أي شيءٍ جميلٍ مفتوح الأبواب ينتظر لمساتك وكلماتك والقدوة منكِ فيهم.. سهلٌ جداً ألا تريدي منهم إلا أن يصمتوا ويتجمدوا علىٰ الشاشة أو يبتعدوا من طريقك أو يتوقفوا قليلاً عن مضايقتك!

هذا العالم الذي يجعلك تظنين أن معادلته للـ"سعادة" ستسعدك يكتب عليكِ بكل رسائله تلك أن تعيشي شقيّة مهما فعلتِ.. أنتِ أنثىٰ، ستشتاقين للأمومة حتمًا، سيمنعونك كثيراً منها لكيلا "تخسري جمالك"، و"لا تذهب دراستك سدىٰ"، و"لا تضيعي مواهبك"، و"الوقت مبكرٌ عليكِ"، و"لاحقة علىٰ الهم"، و"انظري لفلانة الدكتورة وتلك الباحثة وتلك التي.. "..

ثم إذا صرتِ أمًا سيتأكدون من انزعاجك من أولادك ورؤيتك لهم ككائناتٍ مرهقةٍ اقتحمت حياتك ولا تريد إلا أَسرك والتضييق عليكِ.. لتمر السنوات وأنت لا ترتاحين مع أي قرارٍ تتخذينه.. ولا ترضين عن أي نتيجة تصلين إليها.. إنما هي معادلة لشقاء أي شخصٍ يستسلم لها..

ولذلك علينا نحنُ أن نخرج منها.. العمل ذاته ليس الخطأ، لكن انظري أين أنتِ وما تريدين فعله بعمرك وسنينك وسنين أطفالك التي تمضي ولن تعود، وانظري للنعم العظيمة المفتوحة أمامك الآن..

لأبواب "تحقيق الذات" و"تنمية المهارات" و"تغيير المجتمع" التي تنتظرك هنا.. انظري لهذا الجمال الذي يكاد يفوتك وهو داخل بيتك، لهذه الجواهر التي تحتاج عنايتك، لهذه اللحظات من الأمومة التي تاقت نفسك أنتِ للقليل منها من قبل.. اعملي فيها واستمتعي بعملك.. هو واجبٌ وفيه صعوباتٌ فعلاً ككل ما في الدنيا، فيه السهل علىٰ نفسك وفيه التحديات..

لكنه من أمتع ما يمكنك فعله! حين تتجاوزين تحدّيًا مع طفلك، حين ترين أثراً

لك به، حين تقبّلين خدّ الرضيع الناعمة، حين تمسكين أصابعه الرقيقة، حين تقر عينك بكلمةٍ يقولها ابنك في موضعها.. لحظاتٌ كثيرةٌ من الجنة يرزقك الله إياها في الدنيا، فاستشعريها، عيشيها.. وإن لم تكن بعد فاطمحي إليها وانتظريها..

الحمد لله علىٰ رزق الأمومة.. الحمد لله ما أكرمه..

شكوى أم..

تقول: "أشعر بأن يومي يمر بين الرضاعة وتغيير الفوط وغسل الملابس وإطعام الصغار، أشعر بأنني أركض دون توقف ولا يراني أحد.. أنا أحب صغاري جداً، لكني أشعر بأنهم يسحبون طاقتي كلها فقط! لا أعلم كيف أقولها لكِ.. لكنني أريد أن أكون شخصاً عادياً لبعض الوقت.. أريد ألا أكون أماً لوقت يسير فقط.."

- لا بأس عليكِ يا صديقتي.. لا بأس..

ليس غريباً أن تطلبي وتأخذي استراحة، أن تريدي بعض الوقت وحدك وأن تريدي ملء أدوارك الأخرىٰ أيضاً..

الأمومة فعلاً ذات صعوبات، تربية هؤلاء الصغار والصبر علىٰ أخطائهم وطيشهم وفضولهم مهمةٌ ثقيلة أحياناً أعانكِ الله..

فأنت فعلاً في سعيٍ مستمر، لكن السعي مع تعبه هو كله عبادة، أنت تعبدين الله باستمرار (إن جددت نيتك وصوبتِ أعمالك)، ركضك لإرضاع صغيرك عبادة، وضعك إياه في سريره برفقٍ وحنان مع دعاء أو تلاوة قرآن، حديثك مع أخيه، محاولتك ضبط نفسك عند الغضب منه، امتناعك عن الصراخ عليه، تحضيرك الطعام الصحي لهم، حديثك معهم جميعاً وحتىٰ ضحكك ولعبك معهم.. كلها أجور تتجمع لكِ لا يعلمها إلا الله الذي فعلاً يراكِ وسيثيبكِ علىٰ كل ثانية سعيٍ وتعبٍ لكِ..

وبالمناسبة.. طبيعي جداً أن تريدي أن تفعلي شيئاً غير كونك أماً.. وهذا ما ينقلنا للنقطة التالية.. دورك كأم هو جزء من دورك كأمة لله، ومع أهميته إلا أنك أيضاً زوجة وابنة وأختٌ وربما طالبة علم وربما معلمة وربما أشياء كثيرة غير ذلك

أيضاً.. فلا تظني أن العالم توقف ولا أن كل أولوياتك انهارت.. إنما هو إعادة ترتيب ويحتاج مرونة وصبراً.. أعانك الله..

هذه المرحلة فعلاً صعبة.. لكن تذكري يا عزيزتي أنها ستمر، الصغير سيكبر وسيبدأ سيره علىٰ دربه، وقته معك واعتماده عليك سيقل، الجهد الجسدي الذي تصرفينه عليه سيتناقص.. وصدقيني.. ستشتاقين لابتساماته وضحكاته ولمساته الناعمة علىٰ وجهك (وأحياناً في عينيكِ!)، لأولىٰ أسنانه وأولىٰ كلماته، لخطواته المتعثرة ولتذوقاته الأولىٰ لطعامكِ..

لأول مرة من كل شيء.. للكلمات المتلعثمة والاستكشافات المخرّبة وللانبهار من أبسط محتويات البيت والحياة..

ستشتاقين لحمل جسده الرقيق وضمه وشمه وتقبيله وهو يضحك أو يدخل لنومه ثم يطلب إمساك يدك أو البقاء أكثر معكِ..

أعلم أنه صعبٌ أن نحب ما يتعبنا لأننا قد نشتاق له مستقبلاً، لكنه سهلٌ جداً كذلك ألا نرىٰ الجمال المبهر فيما يتعبنا وننسىٰ كل ما نحبه حد الجنون فيه، عيون الصغير المضيئة، كفاه الممتلئتان، صدق نظراته وكل تفاصيله التي يمكننا التأمل فقط بإعجاز الله فيها لساعات وساعات... انظري للجدات وقد اشتقن لأحفادهن، انظري لكبار السن الوحيدين في الغرب وكم يتمنون رؤية صغير يؤنسهم... هذا عدا عن التفكّر في كل بوابات الخير العاجل والآجل بإذن الله في دورك العظيم هذا..

ومع كل ذلك أعود وأقول أنّ تعبك طبيعي، وأنك فعلاً تحتاجين ترويحاً و نوعاً من "نسيان" مسؤولياتك لبعض الوقت..

فكري في هوايةٍ تحبينها وأعط نفسك عشر دقائق منها كل يوم، فكري في منح نفسك جلسةً وحدك مع فنجان قهوتك الخاص وقطعة الحلوىٰ المفضلة لديكِ، ربما يكون ترويحك في التطريز أو الرسم أو قراءة الشعر.. وبما في الرياضة التي

تحبين.. لكن اسرقي هذه الأوقات اليسيرة من يومك أو خططي لها، لن ينهار البيت خلالها.. لكنك أنت ستأخذين النفَس الذي تحتاجينه قبل الجولة التالية!

أشعر بكِ يا صديقتي ومررت ومازلت أمر بكثير من تجاربك.. لكني أيضاً أستمتع وأريد أن أستمتع بكل ما أمر فيه، الحمد لله الذي رزقنا هذا الرزق الجميل.. أي نعمٍ غامرة يتقلب فيها الإنسان ثم يشوهها الشيطان عليه حتىٰ يحرمه لذتها.. كيف رزقني الله هؤلاء الصغار الذين يحبونني ويصدّقونني ويثقون بي لهذا الحد.. سبحان الله.. سبحانه..

مكتبة
t.me/soramnqraa

الأمومة صعبة.. لماذا أختارها وأعيدها؟

من ناحية واقعية، فالأمومة فعلاً صعبة، فيها آلامٌ وعمل وجهد وتعلّم وصبرٌ وتغيّرات كثيرة..

طيب، لماذا؟!

لماذا نصير أمهات؟

هل لأنها المرحلة الطبيعية المباشرة بعد الزواج؟

هل لأن الناس جميعاً تفعل ذلك؟

والحقيقة أن هذا سؤال مهم جداً ويحتاج وقفات طويلة منا ونحن نبحث عن إجاباته، ونتأمل فيه مستظلين بالوحي والنظر والعقل..

والبداية هي من أين نحن وماذا نفعل هنا، لماذا نعيش؟ وإلىٰ أين نمضي..

ما طبيعية الحياة التي نحن فيها؟ وما الذي ينبغي أن نتوقعه منها؟

نحن في دنيا قصيرة فانية عندنا فيها رأس مالٍ محدد ينقص مع كل ثانية، إما يذهب هباءً أو يكون في استثمار نأخذ ثماره لاحقاً، رأس المال هو عمرنا هذا الذي بين أيدينا إلىٰ أن يدركنا الموت وينتهي الامتحان ويبدأ النتاج..

هذا الذي نحن فيه الآن هو وقت الاختبار، وقت العمل..

فإذا ثبتت هذه الأرضية أتينا لننظر في الأمومة والإنجاب والتربية..

أرىٰ (كأنثىٰ) أن الله فطرني علىٰ حب الإنجاب.. وضع فيّ غريزة تطلب (إذا امتنعت عن المثبتات والمخادعات) ذلك، ثم أتأمل في هذا الذي يفتح أمامي

بخوض هذه الرحلة..

مجال كبير لأعمل وأحسن إلىٰ من أحبّ وأنا في بيتي، فرصة عظيمة لأن أكون في حال مستمر من العمل الصالح وجمع الحسنات الجاريات التي قد تستمر لي حتىٰ بعد عقود أو أكثر من موتي..

مجال كبير لأعلّم إنسانًا خلقًا حسنًا فيكون لي أجره كلما طبّقه وعلّمه غيره واستمرت السلسلة إلىٰ قيام الساعة..

فرصةٌ عظيمة نادرة لأن أعلّم مسلمًا حرفًا فيكون لي أجره كلما قرأ القرآن به أو علّمه غيره أو كسب به علمًا أو كتب به كلمة..

حتىٰ وإن لم يحصل من ذلك شيء فنيتي التي تطلبه توصل إليّ أجره بفضل الكريم سبحانه..

الأمومة مجالٌ لأقيم أسرة مسلمة تكون بذرة خير في عالم يسير نحو الهاوية، وفرصة لأنفذ وصية رسول الله بالتكاثر ليفاخر بنا الأمم، ومجال لأتصف بما مدح الله به النساء أنها الودود الولود..

الأمومة فرصةٌ لئلا ينقطع عملي بعد موتي مصداقًا لحديث رسول الله ﷺ: "إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" (رواه مسلم)، وما أجمل أن يبقىٰ للإنسان في الدنيا بعده أولادٌ صالحون يدعون له!

ومع ذلك كله فأنا لا أختار طريق الشقاء الدنيوي كما قد يظن البعض، لا أعيش تعاسةً لأنني أم، لا أعمل مع من أكره، ولا أعاني بشكل مستمر..

إنما أعمل مع من وضع الله فيّ الحنان ناحيته وابتلاني بموازنة مشاعري نحوه.. هناك صعوباتٌ وتحدّياتٌ بكلّ تأكيد، لكن هناك متعةٌ حاضرةٌ ولذّة حقيقية معها،

وهذا حال كل ما نمرّ به في دنيانا التي هي دنيا وستبقىٰ كذلك، ليست لذة أبداً ولا ألمـاً أبداً..

والذي يحتاج الوعي هو أن عقلية كثيرٍ من المسلمين اليوم تغيرت -بفعل كثيرٍ من الإفساد الممنهج- بحيث صاروا فاقدين للجّدية باحثين عن المتعة، وصار معيارهم في موازنة الأمور هو سؤال: "هل تحقق لي المتعة الدوبامينية السريعة؟"، فصاروا يرفضون الجدّيّة التي لا بدّ أن يرافقها تعبٌ وألم، ولهذا فإنّ كثيرين لم يعودوا يقدّرون اللّذات التي يسبقها جهدٌ أو التي تحتاج صبراً، أو ليست بمتتابعة، بينما ديننا يخبرنا أن هذه الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء، وأن الجنة التي هي أعظم اللذات حُفَّت بالمكاره (أي بالآلام والصعوبات)، والنّار التي هي أعظم الآلام حُفَّت بالشهوات (أي اللذّات والمتع)!

فالناجح في هذه الدنيا ليس من يجمع فيها أكبر قدر ممكن من الراحة والمتعة والاسترخاء والرفاهية والتسلية، إنما من يعي حقيقتها وطبيعتها وطريقه فيها، ويتمكن من استثمارها بأفضل شكلٍ ممكن بما يناسب ظروفه وابتلاءاته ليأتي يوم القيامة ويجد ذاك كله في صحيفة يباهي بها ويسعد بالنظر فيها وتكون الجنّة التي هي دار النعيم المقيم واللذة الأبديّة ثوابه عليها بفضل مولاه..

وعلىٰ الهامش:

قاطعني ابني الرضيع ما يزيد علىٰ خمسين مرة أثناء كتابة المقال السابق، والذي أخذ مني حوالي خمس أضعاف ما كان ليأخذه لو أني قادرةٌ علىٰ العمل عليه في مكتبٍ مغلقٍ وحدي دون أي صخبٍ ولا مقاطعات..

وهنا بعد كل هذا تأمّلت.. نظريـاً أليس الأسهل علىٰ امرأةٍ مثلي أن تكون منظّرةً متفرّغةً تلقي الحكَم من غرفةٍ هادئة تستطيع فيها أن تنتج براحتها؟ أليست النسويات محقاتٌ فعلاً في أن الأولاد يعيقوننا عن تحقيق ذاتنا وبلوغ أعلىٰ طموحاتنا؟

ولذلك (سبحان الله، سبحان الله) يأتينا الرد في آيات كتاب الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، أنتِ وأنا وأنتَ، نحن هنا لنعبد الله، نحن عبيده، ملكٌ له وحده فقط، عبوديتي لله كأم فيها مهامٌّ ومسؤولياتٌ وأولوياتٌ تجعل تركها إثماً لا خيراً ولا نجاحاً، لأن علينا من موقعنا ومكاننا أن نعبد الله ونبلي حسناً في امتحاننا ولو لم يكن ذلك هوانا ولو لم يكن برغبتنا، والقيام بذلك كما يحب الله ويرضاه هو النجاح وهو تحقيق الذات الحقيقي بحسب موقع كلٍّ منا..

وهناً على وهن..

حين يتحدث كثيرون عن تعامل شريعة الله سبحانه مع المرأة فإن التركيز غالباً ما يكون علىٰ الفتاة في مرحلة عمرية معينة، ومناقشة واجباتها وحقوقها فيها، ومقارنة لذلك مع ما منحته إياها المنظومة الغربية، وكيف تعاملت مع حرياتها الفردية ورغباتها، كأنّ الأنثىٰ تولد شابةً وتستمر كذلك وهي تعيش في عالمها المنعزل الذي لا يتأثّر بأحدٍ حولها ولا يتفاعل معه..

لكن النّظر إلىٰ تعامل الإسلام مع المرأة باختلاف مراحلها العمرية وأطوارها وتبدلاتها مركزيٌّ في فهم الصورة الكاملة..

فمن ذمٍّ للرجل الذي يتضايق من مولودته الأنثىٰ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾، إلىٰ ترغيب الآباء والأمهات بالإحسان لبناتهن "مَن ابتُلي مِن هذه البنات بشيء فأحسَنَ إليهن، كنَّ له سِتراً من النار،" (متفق عليه)..

ومن ثم إن كانت الأنثىٰ أمّا يأتي الحديث الخاص المتميز بها، فهي أحق الناس بحسن الصحابة، ولها النصيب الأكبر من بر ولدها، وكما قال القرطبي فلها ثلاثة أرباع البر وللوالد ربعه، ولها كان التفصيل في سبب البرّ بينما للوالد عمومه..

فهي التي تحمل وتُرهق وتُوهَن، ثم يكون الطفل لصيقاً بها وهي أسعد ما تكون به تعطيه من غذاء جسدها بمنة مولاها عليها، وتترك نومها وراحتها لتعتني به وتعينه وتحرسه وتحنو عليه وتشفق وتجاهد في سبيل الله فيه..

وأيّ جمالٍ وأي نعمةٍ من ربّنا أكبر من تلك علينا.. وسبحان الله العليم بنا، الخبير بنفوسنا وضعفنا وحاجاتنا، فما أحوج الأم لمن يذكّر ابناءها بحقها، وما

أعظمه، وما ألطف ذاك الخطاب المطيّب لخاطر كل أم بعد أن حملت وأنجبت وأُنهكت وصبرت وهي تقرأ في كتاب الله وصفاً لما تمرّ به، ودعوةً لأبنائها لتقديره..

فاعلمي أختي أن الله الخبير بكِ يرىٰ جهادك وبلاءك.. ولن يضيع عملك..

لحظاتٌ تأملت فيها أطفالي وسبّحتُ ربّي..

كنت أتامل في هذه المخلوقات الصغيرة التي أكرمني الله سبحانه بوجودها في حياتي..

كنت أنظر في نعم الله علينا إذ وهبنا أن نحبهم ونصبر عليهم ونفرح بابتسامتهم ويرقص قلبنا فرحنا حين يأكلون ويشبعون وينامون ويستريحون..

كيف نفرح بفرحهم أكثر من فرحنا، وكيف يؤلمنا حزنهم أكثر من حزننا، وكيف يشق علينا أن نقسو عليهم حتىٰ ونحن نعلم أن في ذاك مصلحتهم وخيرهم..

كنت أتأمل وأفكر.. هل يمكن لدماغٍ كيميائي نشأ بالصدف العشوائية العمياء أن يأمرني أن أصبر علىٰ أخطائهم وأحبّ شقاواتهم وأشعر بهذا الفرح حين أراهم يكبرون وينمون ويصحّون؟

كيف لملحدٍ أن يرىٰ أمًا تلاعب صغيرها وتمتلئ فرحًا بأي حروف يجمعها لتشبه كلمةً أن يقول إن هذه المشاعر والغرائز لا تدل علىٰ الخالق البارئ سبحانه؟

أفكر في دقائق يومي ويوم كل أم لأطفال صغار.. كم مرة يقاطعونها حين تؤدي أي مهمة؟ كم يصعب عليها أن تستمتع بقهوتها ساخنةً كما تحب؟ كم يبطئونها إن خرجت للتسوق أو التمشي في أي يوم عادي.. وكيف مع ذلك كله تجد عيناها تضيئان إن عانقها أحدهم أو ضحك لها أو ناداها" ماما" لأول مرة؟

كيف تشعر أنها دخلت جنة الله في الأرض حين تقبلهم وتشمهم وتضمهم حتىٰ حين يملُ أي شخصٍ آخر من كثرة أخطائهم وبساطة أفكارهم وشدة فضولهم..

أفكر في هذه الفطرة الحلوة والغريزة الممتعة التي زرع الله فينا وأسبحه تعالىٰ وأحمده، وأسأله أن يعين علىٰ ما يرافقها من ابتلاء ومحن في تربية هؤلاء الأبناء

والجمع بين الحلم والشدة والرحمة واللين والاعتدال في التعلق واستذكار أنهم كما نحن لله وإليه راجعون..

وأذكر رسول الله ﷺ لمّا كان يخطب فأقبل حسن وحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ويقومان فنزل رسول الله ﷺ فأخذهما فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله ورسوله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة، رأيت هذين فلم أصبر. ثم أخذ في خطبته.(رواه أبو داود والترمذي)

هل أتحول إلى أم سيئة؟

تقول:" الحمد لله، أنا أحب أطفالي جداً وأشعر بنعمة الله علي بهم، ولا يمكن أن أستبدل الدنيا بالنظر في ضحكاتهم ولو لثوانٍ...

لكن..

أشعر أنني لا أستطيع هذه الفترة احتمال أي خطأ منهم، لا أعلم لماذا أجدني علىٰ حافة الانفجار أمام أي تخريبٍ أو عنادٍ ربما يكون طبيعياً منهم.. اليوم سكب ابني ذا العام الواحد الحليب فوجدتني لا أستطيع إمساك أعصابي حتىٰ صِحتُ عليه وشعرت ببراكين في صدري وأنا أمسح الأرضية.. ما الذي يحصل لي؟ هل أتحول إلىٰ أمٍّ سيئة؟ أم أنني كما يقولون أحببتهم كثيراً حتىٰ وصل بي الأمر لأن أصطدم (زيادة) بأخطائهم؟ لعلي ضحّيت كثيراً لأجلهم فصارت أخطاؤهم العادية أكبر من أن أحتملها!"

- صديقتي.. لا بأس عليكِ.. ارحمي نفسك قليلاً أولاً، لا تبالغي بالتعميم ولا تتسرعي مباشرة بالحكم علىٰ نفسك بالانحدار، لا تدخلي بالتحليل ولا بالتشكيك بالقرارات التي أخذتيها من قبل بناءً علىٰ الاستشارة والخبرة والنظر في المعطيات كلها وتقييمها.. لا تسمحي لكلام مجموعات الفيس بوك وغيرها أن يتسلل إلىٰ قلبك ولا تظني أنك علىٰ منحدرٍ زلقٍ لمجرد أن بعض الأخطاء أو علامات الضيق بدرت منكِ..

والحقيقة.. أننا جميعاً كأمهات نمر بفترات ضعف، جميعنا عندنا أوقات لا نستطيع فيها احتمال أي إزعاجٍ إضافي، جميعنا نتعب ونصل لذلك لظروف وعوامل عديدة.. وهذا الذي تصفين مررتُ به، والذي أجتهد نحوه هو أن أفهم أسبابه فأقلل تكراره، وكذلك أن أخفف أثره حين يحصل وأجاهد نفسي لئلا أفعل ما لا أرضاه

أو ما أندم عليه حين أهدأ..

أما عن الأسباب التي أظنها لهذه الفترات..

- فربما تكون أنك أرهقتِ نفسكِ بكثير من المهمات في وقت واحد (دوراتٍ كثيرة، واجباتٍ عائلية واجتماعية زائدة عن طاقتك، اختيار تحضير طبقٍ صعب في يوم فيه كثير من النشاطات لأطفالك..)..

- ربما لم تأخذي ترويحك منذ مدة طويلة، لم تقضِ أي وقتٍ دون الأطفال منذ زمنٍ، لم تستريحي قليلاً من مسؤولياتك خلال المدة الأخيرة (والحاجة لذلك متفاوتة بين الناس)..

- ربما هناك مرحلةً نمائية معينة يمر بها أحد أطفالك وفيها زيادة فضول أو ميل نحو الاستقلالية، والخليط بينها وبين شخصيته أو مراحل في تعليم إخوته أو ازدحام نشاطاتهم جعلت التعامل مع هذا أكثر مما تطيقينه أو تستطيعين التركيز فيه، والحل لذلك هو ضرورة طلب العلم في التربية وفهم السمات النمائية ولو بصورةٍ عامة للأطفال، وكذلك استشارة أهل العلم في التربية إن تعقّد الأمر أو كان فيه ما يصعب عليكِ..

- ربما يكون قلبك مزدحمًا بمشاكل أو أعباء كثيرة مرت عليك اليوم أو آخر مدة..

- ربما يكون الوقت الذي يضطرب فيه مزاجك في الشهر (من النساء من يضطرب مزاجها قبل الحيض، ومنهن أثناءه ومنهنّ بعده.. ومنهنّ من يصيبها ذلك في شهورٍ دون أخرىٰ أو لا يصيبها أبداً)..

- ربما يكون اجتماع تأثُّرٍ فيكِ من كلماتٍ سمعتها من إحداهن في مكالمةٍ هاتفية أو جلسةٍ اجتماعية من نوع: "أما أنا فلن أضيع حياتي لأجل الأطفال الذين سيكبرون

وينسوني"، أو" حبيبتي كفاكِ سذاجة! زوجك يستطيع دفع تكاليف الحضانة لابنك ذي العام، اذهبي واعملي قبل أن تضيع شهادتك!" (ومن هنا نلحظ ضرورة التهيؤ لتلك الصدمات والتدريب علىٰ الرد عليها)

- ربما هي صورٌ مرت عليك في السوشال ميديا أو مقارناتٍ أجراها ذهنك بينك وبين غيرك أو بين أطفالكِ وأطفال غيرك بوعي منك أو بدونه (وهنا نلحظ ضرورة إلغاء متابعة هؤلاء وعدم النظر فيما عند الآخرين)..

- ربما هو نقص في إيمانك بسبب تعجلك في الصلوات أو انشغالك الزائد بالدنيا (من تسوّق أو طعامٍ أو تزيين البيت..) خلال الفترة الأخيرة..

- ربما يكون مرضًا جسديًا أتعبك..

- ربما هو تعليق أحدهم علىٰ تربيتك لصغارك أو سلوكٍ بدر منهم..

- ربما هو غياب والدهم..

وربما اجتماع بعض من ذلك أو غيره مما يحتاج مزيد نظر لمعرفته..

لكن المهم أنكِ تنبهتِ للأمر الآن، والمهم أن نقترب من التخفيف منه ونقلل تكراره بالأخذ بأسباب الحلول المناسبة إن وجدت، أو اليأس منها والنظر في كيفية التعامل مع الظرف إن لم توجد (إن كان السبب هو سوء خلق أحد الأرحام المقربين مثلاً فالحل بإيجاد الطرق لتقليل الاحتكاك به والتعامل الصحيح معه سواء بالتجاهل أو المداراة أو غير ذلك..)، (إن كان السبب هو غياب الزوج لسبب خارج عن طاقته أو لا يمكن حلّه، فيمكن زيادة التفرغ للأطفال والاستعانة بالصحبة الصالحة والبيئات الإسلامية الحاضنة والأقارب)، (إن كان حزنًا أو ضيقًا عامًا فالدعاء والالتجاء لله ولكتابه، والترويح عن النفس ولو ببعض الوقت وحدك..)..

وأذكركِ ونفسي أننا لا نسمح لنفوسنا بمعصية الله في صغارنا حتىٰ ونحن في أسوأ

حالاتنا، لا ننتقم منهم بسبب كلامٍ سمعناه من الناس، لا نخرج ضيق صدورنا فيهم، وهذا يحتاج جهاداً للنفس واستحضاراً لمراقبة الله وصبراً وانضباطاً، ولا أخفيكِ أن الأمر صعب ولا يمكن وصفه إلا بأنه رحلةٌ في تزكية النفس مع هؤلاء الصغار الذين يثقون بنا ويتعلقون بنا ويريدون أن يحبونا ويفهموا العالم من خلالنا..

كذلك أذكر نفسي وإياكِ أننا لا نبرر لنفوسنا السلوكيات التي نعلم أنها خاطئة في أي حال، ليست إحدانا خارجةً عن السيطرة ولا فاقدة للخيار حتىٰ وهي في أسوأ حالاتها، راقبي نفسك أثناء ضيقك وبعده وحاسبي نفسك، واحذري أن يستغل الشيطان ضعفك ليقول لك أن الذي تفعلينه (إن كان خطأ) هو حقك الطبيعي لأن له أسبابًا أو عوامل لم تختاريها..

الضيق والتعب طبيعيان في الحياة، المهم ألا يكونا سمةً عامة وألا يكون نمطنا خلالهما هو النمط الغالب في تعاملنا مع أطفالنا ومع نفوسنا، فأبناؤنا لا يرون ما في قلوبنا وأذهاننا، لا يعلمون منا إلا ما يرونه من سلوكياتنا معهم، واستمرار التعامل معهم بانفعالية وغضب رسالةٌ لهم بأننا لا نأبه بهم، لا نريدهم، وأن وجودهم أصلاً غير مرغوب به في عالمنا، وهذه من أخطر الرسائل التي يرسلها كثير من الآباء والأمهات لأطفالهم مع الأسف..

وبعد كل ذلك وقبله ومعه صديقتي..

استعيني بالله وضعي عينك علىٰ الهدف، تذكري أن الشيطان هو من يريد أن يحزنك، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معك ويرىٰ سعيك وصبرك وجهادك..

خذي استراحتك، دعي عنكِ مسؤولياتكِ قليلاً، إن أخطأتِ فتوبي وأصلحي، ثم تقدمي واستمري.. أعانكِ الله وثبّتكِ..

الأمومة لا تكفي فيها الأم!

كنت ومازلت وبإذن الله وما أعانني الله سأستمر بالكتابة عن حقيقة الأمومة ولذاتها وسعادتها وحلاوتها التي توجد حتىٰ في صعوباتها، فمهما قلت عن أجرها وتفاصيلها الجميلة وصناعة الذكريات فيها لم أشعر بأنه يكفي..

لكن ينبغي التنبيه إلىٰ أن حل مشكلات تعاملنا معها ورؤيتنا لها لا يكفي فيه تصحيح الأفكار المجردة ولا توجيه الحديث للأم وحدها، إنما يحتاج كثيراً من التغيير في المجتمع والعمل الحقيقي من مختلف فئاته.. ليكون المجتمع الذي يحب الأطفال ويرفع الأمومة قائماً بذلك فعلاً..

وهذا يظهر وينبغي أن ينعكس في جهودٍ منهجية وفردية كذلك..

من تعاملنا مع الأم والطفل في الشارع والسوق والمسجد والحديقة وغيرها، من نظرتنا لعربة الطفل حين تمر، إفساح الطريق لها، تهيئة نهايات الأرصفة وأدراج المساجد بمنحدرات لمرورها، تقبّل وجود الطفل وصوته وحركته وقله صبره وفضوله، التبسم في وجهه، إبداء الفرح بوجوده، إعانة الأم التي تجرّ عربته أو تماشيه أو تتغاضىٰ (لهدف تربوي حقيقي لا تستطيع دوماً شرحه) عن بكائه، إعطائه مساحته، محادثته كإنسانٍ حقيقي، إعطائه مكاناً علىٰ الطاولة وفي غرف الجلوس وصفوف الصلاة..

هذا علىٰ مستوىٰ المجتمع، أما علىٰ مستوىٰ الأسر ذاتها فإننا نحتاج لدعم الأم وتوجيه الآباء والأقارب لأهمية دورهم مساندةً للأم وللعملية التربوية ككل..

أيها الأب.. صحيح أنك لا تستطيع أن تكون مع زوجتك في كل تفصيل تربوي من حياة طفلكم، وصحيحٌ أنك تتعب خارج البيت، لكن لا تنس أنك جزء من

حياة هذا الصغير ويحتاج لأن يتعلم منك ويشعر بقربك ووجودك ويرتبط بك، كما أن جزءاً أساسيًا من حاجة زوجتك لك هي حاجتها لدعمك النفسي لها في هذه المسيرة..

درّب نفسك شيئًا من الصبر علىٰ بكائه وفوضويته، توقّع أنك لن تعود لبيتٍ مثاليٍّ طالما أن فيه أطفال، اسأل عن أحوالهم، تعلّم قدر ما تستطيع عن تربيتهم واحمل عن زوجتك ما أمكن من مسؤوليتهم، توقّع أن وقتها وطاقتها ستنشغل (إلىٰ حد ما) بهم وأشعرها بأنك تقدّر جهدها وتعبها معهم..

قد تكون مساهمتك في أخذ الطفل بضع ساعاتٍ بينما تنام زوجتك أو تستريح، قد تكون في تسلّمك للإشراف علىٰ بعض المهام أو بعض الإشكالات التي عنده، لكن ادخل في خضم الأمر، وحاول بقدر وقتك وطاقتك، وتذكّر أن هؤلاء زينة حياتك الدنيا أنت أيضًا، ولن تستمتع بهم مالم تقترب فعلاً منهم وتلمس التعب مع الثمرات فيهم..

أيها الجد، الجدة، العمات والعموم والأخوال والخالات،

أعلم أنكم تحبون هذا الصغير فوق ما تستطيعون وصفه وتسعدون برؤيته فوق الكلمات، وصحيح أنه ليس طفلكم ولا عليكم (من حيث الأصل) تربيته، لكن الحب وحده لا يكفي، ومسؤوليات الصغير تحتاجكم وتحتاج صبركم ودعمكم..

كونوا مع أمه تغافلاً وصبراً وعونًا، توقعوا أن زيارة الطفل ستتسبب ببعض الفوضىٰ والتخريب غير المقصود، واعلموا أن الأم وإن حاولت السيطرة عليه ستفشل غالبًا في السنوات الأولىٰ من عمره خصوصًا إن زادوا عن واحد أو كانوا من النوع النشيط، امنحوها شيئًا من الهدوء، يَدَعون صادقة، أذنًا تسمع تعبها دون حكمٍ ولا لوم، ولا بأس إن وجدتم في هذا الطفل عودة أو تدريبًا علىٰ الأمومة والأبوة بينما يرتبط الصغير بكم ويزداد حبًا لكم واستشعاراً للحضن الحنون الذي

خلقه الله فيه من الرحم الذين سيبدأ صنع أجمل الذكريات معهم..

وهذه كلها أساسيات بل أوليات تربوية يحتاجها المجتمع الذي يقول بأهمية التربية ويكرر أن الأطفال جيل الغد وأن تربيتهم أسمىٰ المهمات وأن الأمومة أعظم الأعمال، فكيف يقول بذلك ثم لا يعمل بوصية رسول الله فيهم ولا يقتفي سنته وهدي صحابته معهم، وهو ﷺ الذي كان لا يتجاهل صبيًا صغيراً أمام الكبار، ولا يخزي صغيراً أخطأ في تناول الطعام، وينزل من علىٰ منبره ليحمل صغيريه الذين يعثران (في أول مشيهما)، ويقصر صلاته لأن طفلاً بكىٰ خوفًا علىٰ حال أمه..

وفعلاً.. كم من وقفة علينا أن نقف مع كونه ﷺ لم يأمر الأمهات هناك بعدم القدوم إلىٰ المسجد ولا نهرهن لبكاء أطفالهن ولا أمر بإبعادهن.. إنما اكتفىٰ بتقصير صلاته لأجلهن وتجاوز الأمر كله.. كم من وقفة هنا فعلاً!

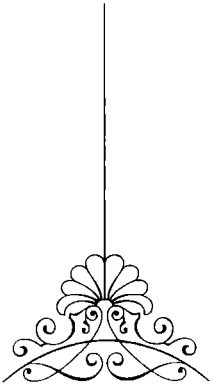

على طريق التربية

بضع مواقف وخواطر ونصائح،

تذكيرٌ لنفسي ولكل مربٍّ ومربّية..

الأمانة ثقيلة، والرحلة طويلة،

ونسأل الله الهدى والرشاد..

كيف تتجنّب أن تربي ابناً علمانيّاً؟

كمربٍّ أو مربّيةٍ في هذا الزمن ينبغي أن يكون من أهمّ أهدافك أن تخرج أشخاصاً سالمين من لوثة العلمنة، مخالفين بذلك للجيل الذي سبقهم ولما هو غالبٌ في عالمهم..

العلمنة اليوم باتت سائدةً لدرجة أنها "الطبيعي" والمتوقّع كنمطٍ عامٍّ لحياة الناس، "الطبيعي" أن يبقىٰ الدين علىٰ سجادة الصلاة ويُطوىٰ معها بعدها، لا يخرج معك من بيتك، لا يتدخل في لباسك بعدها ولا بالكلام الذي قبلها، لا علاقة له بشرائك للبيت الذي تصلّي فيه بقرض ربوي أم لا، لا أثر له بمصدر المال الذي تعيش به، ولا يقول لك بكل تأكيدٍ أين تذهب وماذا تفعل خلال يومك وكيف تعامل زوجتك وتربي ابنك وما المهم وما الهامشي وعلىٰ أي أساسٍ تحب وتبغض وتختار تخصصك وتبدأ العمل به وترسم كل تفاصيل حياتك..

"الطبيعيّ" بات أن الدين ربما يكون مفيداً في تعليمك كيف تكون شخصاً لطيفاً ومحترماً، كيف تجد بعض الروحانيات التي تملأ فراغاتك، لكن إن قال لك أن "أخاك في الإنسانية" ربما يكون من أهل النار أو أنّ عليك أن ترفض سلوكيات هذا أو تفكر بصحة فعل ذاك أو تقيّم نفسك أنت بناءً علىٰ معايير "تقيّد حريتك".. فعندها الدين لا علاقة له، وهذا "تشدد" و"تنطع" و"تخلّف" و و و.. !

لذلك فإن عملنا في التربية يوجب علينا أن نخرج الإنسان المتربي من هذه الدوامة، أن ننشئه منذ نعومة أظفاره علىٰ أن كون ربه الله ينتج أن يعبد الله بكل أفعاله وطوال يومه وتفاصيله ويبني قراراته وحركاته كلها علىٰ أن الله ربه فيراقبه ويذكره ويسأل دوماً عما يريده منه..

كيف ذلك؟

منذ البدايات وصغار التفاصيل، نربط الابن يومياً بالآية والحديث، نعوّده أن القرآن والسنّة معنا في كل وقتٍ وكل مكان منذ الاستيقاظ وحتىٰ نغمض عيوننا للنوم وأثناءه، هو معنا في السوق، فلا ننبهر بالدنيا ولا نشتري فوق ما نحتاج ولا ندخل المحالّ ذات الصور السيئة المعلّقة ولا نساوم البائع حتىٰ نبخسه حقه ولا نفرح إن فعلنا ذلك (وفي ذلك كله نوضح لأبنائنا لماذا فعلنا هذا ولم نفعل ذاك، مستدلين بالقرآن والسنة).. مكتبة سُر مَن قرأ

القرآن والسنّة معنا في المدرسة حيث نتعلّم لله ونطلب العلم النافع في سبيله ولا ننظر لعلامات غيرنا ولا نقارن نفوسنا بهم ونرضىٰ باختلافنا عنهم ولا يكون همّنا الترتيب علىٰ الفصل، إنما الانتفاع بالعلم وإتقان المواد..

وهما معنا في الحديقة وفي المطعم وفي بيت الجد وفي زيارة الصديق..

نحدد أصلاً رحلاتنا بحسبهما، وننويها النيّة الصالحة (كصلة الرحم أو عيادة مريضٍ أو تعزية مسلمٍ) بحسبهما..

وهكذا نستمر..

لأن ابنَنا الذي نربّي إنسانٌ مسلمٌ يعيش لله، ومن تلك التفاصيل الصغيرة ومع الاستمرار بها وطلبنا نحن وهو للعلم عنها وللعمل به تأتي التفاصيل الأكبر في وقتها من حجابٍ واختيار تخصص وانضباط في الاختلاط واختيار للزوج وممارسة للمهنة واجتهاد للتوفيق بين ذلك وبين البرّ وبين فروض العين وفروض الكفايات والقيام بما يستطيعه من نوافل وسنن..

نجتهد ليكون إنساناً موحّداً فعلاً في كل يومه وكل طريقة تفكيره وعمله، محوره

الدائم والمتسق هو البحث عن رضا الله والسعي المستمر لجنته، أي أنه ينظر إلىٰ الدنيا بنظّارة القرآن والسنة ويسير بهداهما..

ولا أزعم أن ذلك سهلٌ أو يوجزه هذا المقال وحده لكنها لفتة إلىٰ المبدأ لنحاول زراعة بذرته في النفوس تحقيقاً لقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

نصيحةٌ مُعِينة..

ومن أهم ما يعين في إبعاد ابننا عن العلمنة أن نراجع في نفوسنا مع نهاية كل يوم..

كم مرةً استحضرت الوحي في حواراتي مع ابني/ ابنتي/ طلابي؟

كم مرة ذكرت في المواقف التي مرت بنا آياتٍ أو أحاديث؟

كم مرة استخدمت فيها عبارة "حلال" و "حرام" لأغرس فيه مرجعية الشريعة في كل أفعالنا؟

هل ذكرتُ واحداً من الأنبياء أو الصحابة اليوم؟

هل ربطتُ سلوكًا قمت به أو قام به ابني أو موقفًا مررنا به بأي شيء في كتاب الله أو سنة رسوله؟

فقيّموا نفوسكم، واجتهدوا لنعيش بالقرآن ويعيش أبناؤنا به، في عباداتهم، علاقتهم ببعضهم، أثناء دراستهم، ومع ترويحهم، نجتهد ونعمل لإدخال الآيات والأحاديث لهم في مواقفهم المتنوعة، ليعلموا أن هذا الوحي هو دستور حياتهم كلها، لا ينفصلون عنه ولا يستطيعون الابتعاد عنه.. هذه هي حياتهم..

وقد كانت صديقةٌ لي تكرمت عليّ بنصيحةٍ تمارسها مع أولادها، وهي أنها تضع قائمةً شهرية بالآيات والأحاديث التي تريد لأبنائها أن يستحضروها في حياتهم هذا الشهر، وتستدعيها (بما يناسب حاجة الأبناء ومستوياتهم ودون تكلف) في المواقف اليومية التربوية، فيحفظها الأبناء وتصير من دساتيرهم الدائمة..

ومن أهم ما يعين في إنجاح ذلك انتقاء الآيات والأحاديث الموجزة (وأكثر الأحاديث كذلك) ووضعها مكتوبةً لنتذكرها ويسهل علىٰ الوالدين تكرارها..

وبالله نستعين..

هل تربّي / تربّين ابنةً نِسْويَّة دون أن تدري؟

أيعقل أن يوجّه المرء من يحبّ للفكر الذي يكره؟ أيمكن أن نرسل لبناتنا رسائل معاكسة لما نريد من حيث لا نشعر؟

مع الأسف وبعد عددٍ من المشاهدات والرسائل التي أتتني من نساء ويافعات يحملن شبهات نِسْويَّة معقدة فإنني أجدني مضطرة لتحذير الآباء والأمهات مما يفعلونه ببناتهم وهم لا يشعرون، فنحن المربون مسؤولون عن كمّ هائل من المدخلات اليومية المتكررة والمؤثرة جداً بأبنائنا وبناتنا، وهذا الأثر الذي لنا علَيهم عسير جداً علىٰ الإصلاح والتعديل، ولذا فإن علينا التنبه لتأثرنا نحن بتلك الشبهات ومن ثم لِبَثّها لهم وبنائها فيهم لئلا نجد أنفسنا مستقبلاً أمام ذات النسويات اللواتي نحارب علىٰ وسائل التواصل لكن من صنع بيوتنا وأسرنا!

فكيف تصنع أيها الأب وأيتها الأم نِسْويَّة في بيتكم؟

حين تميز أيّها الأبُ بين بنتك وابنك بما لم ينزّل الله به سلطانًا!

حين تشعر ابنتك أنك تتمنىٰ لو أن الله رزقك صبيًا بدلاً عنها!

حين تسيء لأمّها أمامها!

حين تُشعرها أن الأنوثة نقص وعيب عليها إخفاؤه وتجاوزه كأن تسخّف اهتماماتها بالتطريز أو الطبخ أو الخَبز أو تصفيف شعرها وشعر أخواتها، وتثني بالمقابل علىٰ هوايات أخوها الصبيانية أو قوّة جسده!

حين يظلمها أخوها ثم لا تنصفها منه (حتىٰ وإن كان هذا "اتقاءً لشره" كونه عنيفا تتجنب دفعه للتمرد عليك)!

حين تسخر من عاطفيتها ومشاعرها!

حين تُشعرها أن عملك خارج البيت أهم وأكبر من عمل أمها داخله!

حين تمنّ علىٰ زوجتك لإنفاقك عليها!

حين تجهل معنىٰ القوامة وتجعلها مبرراً لأخطائك وشهواتك، فتسمع منكَ كلّما أخطأتَ أو راجعتكَ زوجتك عباراتٍ من نوع: "أنا القوّام!" و"أنا الرجل!"

وأنتِ أيّتها الأم..

حين توجهين ابنتك لتكون تحقيق الأوهام التي امتلأتِ بها من الأفلام والمسلسلات (كصورة المرأة القوية أو المستقلّة أو التي لا تطيع أحداً)!

حين تعبّرين أمامها عن ندمك علىٰ اختيار أن تكوني ربة بيتك!

حين تحدِّثينها عن بعض الأساسيّات من أحكام ربها (كالحجاب) علىٰ أنه "مشروطٌ" باقتناعها واستعدادها!

حين تجعلين معيارك للنجاح مبنيّاً علىٰ كسب المال والخروج من البيت عبر الإكثار من الحديث عن نجاح هذه الفتاة أو تلك بهذا المعيار!

حين تراكِ مستاءة من حقوق زوجك عليكِ!

حين ترىٰ أمومتك عبئاً ثقيلاً تكرهين حمله!

حين تؤخرين زواجها إلىٰ ما بعد الجامعة واستلام الوظيفة "لئلا يتحكم بها زوجها"!

ليس بهذا فقط، بل وبأن تكون لديك رواسب من جاهلية مجتمعية تجعل النسويات يضربن بك المثل لتخلّف وضع المرأة ويعممن علىٰ سائر النساء لغايات

خبيثة[١]، ومن ذلك:

حين يكون تعاملكِ مع الظلم الذي تسمعين به أو تتعرضين له انهزاميًا مقيداً بالأعراف والتقاليد الجاهلية!

حين تكون الكلمات التي تباركين بها لمن رُزقت ببنت مليئة بالمواساة، ولمن رُزقت بصبي كلها ابتهاج!

وباختصار.. حين نجهل ديننا ونفقد بوصلتنا ونسمح لجاهليات الشرق وضلالات الغرب أن تسيّرنا وتحدد محتوىٰ كلامنا وفعلنا وشتىٰ سلوكياتنا التي تصير أفكاراً ومعتقدات عند أبنائنا..

ولذا نحتاج للوعي والانتباه لما يدخل علينا وما ندخله في فكر وقلوب رعيتنا حذراً من حديث رسول الله ﷺ: ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة. (رواه البخاري)

نسأل الله العفو والعون والعافية..

(١) فينبغي أن نعي أن سلامتنا من لوثات النِسْويَّة لا تكفي لنتجنب تربية بناتٍ نسويات، إنما ينبغي الوعي بالجاهليّات المجتمعية أيضاً والتحرّر منها.

مشكلة عدم استشعار النعم..

لماذا يؤلمنا أي بلاءٍ حدّ الانكسار؟ لماذا نسقط بمجرّد أي فقد؟ أيّ تغيّر في المعتاد؟

مشكلتنا فعليّاً ليست عند وقوع البلاء الصعب ذاته، ليست في لحظة هجمة الألم، إنما في أوقاتنا المعتادة التي تمرّ ونحن لا نستشعر عظيم النعم التي تغمرنا فيها، نتعامل معها علىٰ أنها العادي الطبيعي الذي لا نتخيّل حياتنا إلا به، لا نستشعر عظيم نعمة أننا محاطون بأسرةٍ تحبنا وأطفال ننظر في عيونهم البريئة وينظرون إلينا، لا نتفكّر في أن هذا كرمٌ عظيمٌ من الله، لم نستحقّه ولم نخلقه ولا يمكننا أداء شكره، إنما هو شيءٌ مَنّ الله به علينا بمحض فضله وكرمه و إلىٰ أن يشاء، وهو بكلّ حالٍ متفضّل علينا، سواء بقيت هذه النعمة ذاتها أم غابت، من البيت الذي يؤوينا إلىٰ الصحة التي نحن بها أو البشر المحيطين بنا ممن نأنَس بهم أو الأشياء التي نمسك أو نستخدم، هذه ليست حقوقنا..

هي كرمٌ من الله، فضلٌ عظيم منه، هو متفضّلٌ علينا بكلّ ثانيةٍ نبصر فيها وبكلّ دقيقةٍ ما زلنا نسمع فيها أو نلمس أو نعي، لا نملك هذه النعم التي لا نحصيها ولا نضمن استمرارها، قد يزول شيءٌ منها في أي لحظة وقد تزول كلها، قد يأخذها صاحبها المتكرّم علينا بها متىٰ شاء وقد يبقيها، ولذلك طالما أننا نتقلّب فيها فإننا نحمده، وإن فقدنا شيئاً منها نعلم أن هذا أمره وأن له ما أخذ وما أعطىٰ وهو متفضّلٌ في كل حال..

ونلمح بهذا معنىٰ الدعاء الذي علَّمَنا إياه نبينا ﷺ أن نقوله لمن مات له قريب: (لله ما أعطىٰ وله ما أخذ وكل شيء عنده بأجل مسمىٰ فلتصبر ولتحتسب)، كما أنني ههنا أذكر كلام أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعدما توفّي صغيرها وأرادت إخبار زوجها

بالخبر فقالت: "يا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ لو أنَّ قَوْماً أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قالَ: لَا، قالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ"[1] (صحيح مسلم)..

لذلك لنتدرب علىٰ استشعار النعم حال وجودها، استشعار أنها لله كما نحن، سمعنا لله، بصرنا لله، يدنا لله، أبناؤنا لله، بيتنا لله، ذاكرتنا لله، مالنا لله.. ولنكررها ونحمد الله علىٰ كرمه بما له علينا، فإن العبد إذا استشعر العبد هذه النعم علىٰ الدوام فإنه عند حلول مصيبة سيبقىٰ مستشعراً لفضل الله العظيم الذي يغمره به، وهذا يخفف الألم كما أنه يعين علىٰ الصبر والرضا وطمأنينة القلب..

فالحمد لله في كل حين.. الحمد لله..

(١) أي أنّها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شبّهت قبض الله تعالىٰ لابنها بمن كان قد أعار قوماً شيئاً ثم استردّهم منه، فليس لمن كان مستعيراً أن يعترض، كما ليس للعبد أن يعترض علىٰ حكم ربه، إذ نحن جميعاً لله وله أن يقبض من يشاء.

كيف نصل لاستشعار النعم وتقديرها؟

استشعار النعم وتقديرها = مهارة تحتاج التدرب والممارسة والصبر لتنمو في نفوسنا وفي نفوس أبنائنا ومن نربي..

بشكلٍ يومي ومستمر، مع القصص التي نحكيها، في تعاملنا مع الطعام والشراب واللباس والعلم والصحبة والصحة، مع المنع ومع العطاء..

حين نسمي الأمور التي نملكها ونستخدمها كل يومٍ نعمًا، حين نتكلم عن السماء والأرض والجبال والأشجار والسحاب والرياح علىٰ أنها نعم، نحمد الله عليها، نسبحه لجمالها وتناسقها..

حين نحمد الله لأننا نجد ماءً نشربه حين نعطش، نحمده لأن في بيتنا صنبور، نحمده لأن الماء نظيف، نحمده إن كان بارداً.. نحمده لأننا عرفنا أن هذه النعم منه ولأننا حمدناه.. وهكذا مع كل شيء..

حين نحكي قصة فلان الذي احترق بيته نقول: .. لكن الله الكريم أبقىٰ له عائلته بصحة وعافية..

حين يرتطم رأس الابن بالجدار: لكن الحمد لله أن الله جعل في الجسم آلياتٍ ليصلح نفسه..

إذا أصاب نفسه بجرح: الحمد لله الذي يرزقنا ملائكة تحمينا من بين يدينا ومن خلفنا فلم يكن الجرح أكبر..

والحمد لله علىٰ نعمة الإحساس بالألم.. هل سمعت بالمرض الذي لا يتألم فيه صاحبه؟ هل تعلم أنّ عدم الإحساس بالألم خطير لأنه يمكن أن يؤدي إلىٰ أن يحرق المرء نفسه دون أن يشعر أو يجرح نفسه دون أن ينتبه؟

طيب هل فلان المصاب بهذا المرض لا يملك نعماً يحمد الله عليها؟

سبحان الله كيف رزق تلك الأم بابنين ولم يأخذ إلا واحداً منهما.. صحيحٌ أنها تألمت، لكن انظر ماذا بقي لها، ولنفكر في أن صغيرها ذهب للجنة مباشرة، وأنها تجمع الحسنات بصبرها علىٰ فقده..

سبحان الله صحيح أن علامتك في كذا ليست جيدة، لكن علامتك في كذا جيدة جداً..

صحيح أنك لم تكن سريعاً في السباق، لكنك رسمت بشكلٍ ممتاز ما شاء الله..

صحيح أن الله خلق فلاناً أعمىٰ، لكنه رزقه سمعاً ويدين ورجلين وذكاءً متميزاً..

أغمض عينيك قليلاً.. تخيل لو أن الحياة هكذا.. ما أعظم نعمة البصر..

ثبّت مفصل كوعك قليلاً وحاول أن تأكل، تخيل لو أن الله لم يخلق لك هذا المفصل الصغير فقط..

انظر إلىٰ الحيوان كيف يأكل اللحم نيئاً.. الحمد لله الذي علمنا كيف نوقد النار..

تعال نتذوق الطعام بلا ملح.. الحمد لله الذي علمنا كيف نستخرج هذه المادة ونستعملها ورزقنا إياها..

وهكذا نستمر ونكرر وننوّع الأساليب.. لنربي نفوساً تصل لمرحلة تقدير ما تملك، وتستشعر نعم الله الغامرة عليها، تعلّم أنها فضل منه ومنّةٌ محضة لم تستحقها، إنما تحمد وتحمد وتحمد عليها، تجتهد لأداء شكرها باستخدامها كما يحب مولاها، ومن ثم لا تظلّ تمدّ عينها فيما لا تملك، ولا يكسرها فقدان أي مما عندها..

وفي أوراق الشجر دروس!

- انظر يا بني لكل الأوراق التي تتساقط مع الهواء.. لكل التي تتكسر حين تدوس عليها.. كم تتوقع يبلغ عددها؟

= مليون، أو ربما مئة مليون..

- تخيل أن كل ورقة من هذه الملايين يعلم الله متىٰ نبتت وما عمرها وما لونها وبأي نسمةٍ وقعت وإلىٰ أين تذهب..

= لكنها كثيرة جداً..

- نعم، سبحان الله ما أعظمه.. خالق كل شيء، ويعلم كلّ خلقه ويقدّر أعمارهم ويعتني بهم جميعاً، وقد أخبرنا عن ذلك في كتابه إذ قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

= حتىٰ هذه النملة الصغيرة يعلمها الله!

- سبحان الله.. وتخيل أن الورقة علىٰ الشجر والنملة وكل شيء كبير وصغير يسبح الله مثلنا..

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

يا بني اركب معنا.. أب نبي وابن كافر..

أمواج عاتية صاخبة تضرب بقاع الأرض، رعبٌ ووجلٌ يزلزلان القلوب، وسفينة نجاةٍ واحدةٌ تشق وجه الماء. هناك كان الأب العطوف علىٰ ظهر المركب يدعو الله وحده ويوجّه المسير لما رأىٰ فلذة كبده في الماء يبحث عن أيّة بارقة أمل يتعلق بها، ناداه مشفقًا ملهوفًا ليركب معهم ولا يصيبه ما أصاب الكافرين فيهلك معهم في الدنيا والآخرة، فكان رد الصبي الغافل أن سيلجأ لجبل يحميه، رد الأب سريعًا راجيًا لابنه النجاة، لكن قضاء الله أسكت الولد العاق وغيّبه الموج القاتل إلىٰ غير رجعةٍ أبدا.

قصةٌ مهولة تدور أحداثها أمامنا في سورة هود كأننا نشاهدها صوتًا وصورة، كلنا قرأ القصة وتأثر بها، لكنني لم ألمس العواطف العميقة فيها حقًا إلا بعدما رزقني الله نعمة الأمومة وأحسست بالمسؤولية العظيمة الملقاة علىٰ كاهلي ممزوجةً بمشاعر الحب والشفقة والرأفة التي يودعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فينا، وفهمت لوعة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما علم أن ابنه هلك مع الكافرين واختار لنفسه سبيلهم إلىٰ آخر لحظة.

نبيّ الله نوح، أحد أولي العزم من الرسل الذي مكث يدعو قومه تسعمئة وخمسين سنة لا يكلّ ولا يملّ ولا يدع دربًا للدعوة إلا سلكه، يفجع بابنه لا يؤمن به ولا يريد الاستجابة لأمر ربّه وهو يرىٰ عذابه الموعود بعينيه، ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ [هود: ٤٣].

كيف يمكن ذلك؟ هل يعقل أن يكفر ابن النّبي الذي اصطفاه الله لرسالته وأيده بوحيه؟ في القصة دروس عظيمة وعبر للتأمل قد تشق علىٰ النفس لأول وهلة، لكنها سرعان ما تولد سكينة وطمأنينة تنسجم مع حقيقة الإيمان والعبودية لله جَلَّ وَعَلَا.

هم أبناؤنا! فكيف لا يكونون جزءاً منّا؟

تعلمنا قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مبدأً أساسيًا ومهمًا في التربية وهو انفصال الابن عن والديه كيانًا وشخصيّة، هذا الانفصال هو الذي يؤدي فيما بعد لتقبّل انفصالهما عن الوالدين عملاً وتوجُّهًا، وهو ما يوصل لاستسلام الوالدين لقضاء الله وقدره إن اختار الابن طريق الضلال رغم كلّ ما حاولا القيام به لإنقاذه.

فكثيراً ما يدخل الآباء والأمهات دون إدراك منهم متاهة اجتماعية بسبب تعلّقهم الشديد بأبنائهم أو ارتباطهم الكبير بهم، تجعلهم يعيشون علىٰ اعتماد الأبناء عليهم، وهم دون شعورٍ يعتادون هذا الاعتماد ومن ثم يتغذّون عليه، هذه المتاهة تفضي بهم لتوطين نفوسهم علىٰ خدعة أن أبناءهم ملكٌ شخصي لهم لا يحق لهم الانفصال عنهم أبداً.

ولهذا شواهد كثيرة، تبدأ منذ الطفولة لما تجبر الأم صغارها علىٰ ارتداء ما يعجبها من الثياب، وتصرّ علىٰ مساعدتهم في كل صغيرةٍ وكبيرة من شؤونهم، وكذلك يستمر الحال ويتفاقم حتىٰ تصير مسؤوليات الأبناء كلها ملقاة علىٰ عاتق الأم ويغيب عنها حق نفسها عليها، قد تواسي نفسها بأنها مثال للتفاني وبأن أبناءها سيزدّون لها الجميل لاحقًا، وكثيراً ما يظهر أثر هذه الأخطاء بعد سنين حين تتحول هذه الأم التي كانت المشفقة الحنون إلىٰ حماةٍ شديدة الغيرة علىٰ ابنها أو ابنتها لا تستطيع أن ترىٰ سعادة لهم بعيداً عنها، كأن زواجهم صدمها بحقيقة أنهم ليسوا جزءاً منها!

لا أقول هنا أن كل الأمهات كذلك، بل كثيرٌ منهنّ وإن سارت ذاك الطريق ووصلت للعاقبة المؤلمة فقد تتجرّعها وحدها بصمت، لكن تلك الحالة المتناقضة والمؤلمة حين يغادرها الأبناء -وهم لا محالة سيغادرونها- ليست مطلوبة ولا

نرضاها، وينبغي أن نقول أن نقص معاني الإيمان وعدم التوازن في إعطاء النفس حقها وتجديد النية لله في العمل والتجرد له فيه قد يؤدي لتلك العاقبة مع الأسف.

فمهمّات التربية كبيرة وقد تكون -خصوصاً في مراحل الطفولة- مجهدةً فعلاً، وقد ترىٰ الأم نتيجتها في حياتها -بالمستوىٰ المأمول- وقد لا تراها، فهي في ذلك تعمل وتجدُّ مبتغيةً وجه الله والدار الآخرة، لا مُنتَظرة من أبنائها حمداً ولا شكوراً، فهم في نظرها أمانة من الله عندها وفرصة لتستكثر من الخير لآخرتها عند من لا يضيع عنده مثقال ذرة.

إضافة إلىٰ ذلك، فإن إمساك النفس عن التدخل في مهمات الأبناء وتصويبهم علىٰ الدوام قد يكون صعباً فعلاً، خصوصاً ونحن كمربّين نتضايق من رؤية الخطأ أو النقص من أبنائنا، ونريد لهم أن يكونوا "الأفضل" في كلّ شيء، وكم أدىٰ هذا الخطأ التربويّ وانعدام الانفصال أو عدم إعطاء مساحة للأبناء ليكوّنوا نفوسهم ويصيبوا ويخطئوا.. كم أدىٰ ذلك بالوالدين إلىٰ مشاكل تربوية أكبر، حيث الأبوان لا يتركان للابن المجال ليخطئ ولا ليفشل، لا يسمحون له بنسيان أغراضه للمدرسة -مثلاً- ولا يتركونه ينال العلامة الدراسيّة التي يستحقّها، ليكبر الابن اتّكاليّاً علىٰ والده في دراسته وترتيب ملابسه وتنظيم يومه وقياه بمهامه، وكثيراً ما يصل أمثال هؤلاء الأبناء عند بلوغهم -إن لم يتزكّوا ولم تجتمع لهم تحدّياتٌ تقوّيهم- لأن يكونوا هشّين وضعفاء أمام التحدّيات التي ستواجههم.

وأشبِّه هذا الخطأ التربوي بالمتاهة الاجتماعية لأن دخولها سهل لا يتطلب جهداً، إنما مجرد اتباع التيار، لكن النجاة منها تحتاج تحليلاً لما يدور فينا من أفكار وما تسبب في تكوينها علىٰ مر السنين إلىٰ أن صرنا علىٰ ما نحن عليه اليوم، ومن ثم مجاهدة النفس لنغيّر سلوكها الناتج عن تلك الأفكار، ونستمرّ بمراقبتها ومنعها عما يضرّ بها أو يؤدي لضرر غيرها.

ابن ضال لوالدين مستقيمين..

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فرغم أهمية ما ذكرت من إعطاء النفس حقها وإمساكها في بعض المواضع عن تقويم خيارات الأبناء لتتدرب علىٰ انفصالهم عنها وتنمي استقلاليتهم وتحملهم لمسؤولية خياراتهم، فإن ذلك لا يعني أن علىٰ الأبوين أن ينسحبا من حياة أبنائهم ويتركا لهم الحرية المطلقة في كل الأمور، بل المراد تحقيق التوازن بين الإشراف والانسحاب، ومن المهم كذلك تأصيل المرجعية الحق في نفوس الأبناء ليعلموا ما العمل الذي يرضي الله وفيه سعةٌ للاختيار مما لا يرضيه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ. يقول د. ابراهيم الخليفي أن علينا تعليم أبنائنا أنهم في كل لحظة مخيرون ليتعلموا مقارنة البدائل و تمييز الحق واختيار الفاضل -ولو كان مراً- علىٰ المفضول ولو كان حلواً[1].

ولذلك خطوات تبدأ بوعي الأبناء بحقيقة الوجود فهم ولدوا ليخلدوا، بين انتقالات من ذر لرحم لدنيا لبرزخ لآخرة، وأن أمامهم في هذا الخلود السرمدي فرصةً قصيرةً ذهبية للعمل يتبعها الجزاء. والعدة للعمل هي معرفة ما يرضي الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وبناء الخيارات عليه.

والمهمة تختلف بحسب شخصية الابن وحاجاته ومرحلته العمرية، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ: "كخ كخ، ارم بها، أما علمتَ أنَّا لا نأكل الصدقة" (متفق عليه)، فرسول الله ﷺ يعلم الحسن بن علي بنفسه ويصوب له سلوكه برفق ولين وهو بعدُ طفلٌ صغير.

---

(١) د. ابراهيم الخليفي، مادة مرئية بعنوان: موسوعة الأسرة – كيف نعلم أبناءنا تحمل المسئولية https://www.youtube.com/watch?v=Wv6LOzJqneU

ومن هنا نصل لفهم مؤدىٰ انفصال الابن عن والديه ككيان وشخصية إلىٰ انفصاله عنهما كعملٍ وتوجّهٍ وخيارٍ ومسؤولية، فإن كان الأبوان قائمين بما عليهما تجاه نفسهما وأبنائهما ثم كتب الله لأحد هؤلاء الأبناء الضلال فهذا لا يطعن في الوالدين البتة، ولعل ذلك من أهم الدروس المستفادة من قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ابنه الكافر، فضلال الولد لا يدل علىٰ تقصير والده. وللدكتور إياد قنيبي كلمة طيبة في هذا المعنىٰ يقول فيها إن الشيطان قد يأتينا من باب الصدق ومحاسبة النفس في حال هذه النوازل حتىٰ يجرنا إلىٰ الإحباط واليأس[١].

ويضيف الدكتور مخاطبًا الآباء والأمهات (مختصراً): إن انحرف ابنك أو ابنتك فلتحاسب نفسك ولتراجع سلوكك وتربيتك له ولتَتدارك الأمر ولتصلح فيما تبقىٰ، لكن لا تشعر بالفشل أو القلق فتصير غير قادر علىٰ التعامل بحكمة مع هذا الابن أو إخوته، ورغم صعوبة تقبل فكرة أن ابنًا لك قد يكون ممن لم يشأ الله أن يهديهم، تذكر: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٦٥]، فاخضع لإرادة الله واقبل أن له سبحانه قدراً نافذاً قدّره قبل خلق الخلائق[٢].

ورغم ثقل حقيقة الأمر علىٰ الآباء والأمهات الحريصين علىٰ نفع أبنائهم، إلا أنها تبعث في النفس راحة وطمأنينة إلىٰ عدل المولىٰ سبحانه ورحمته بنا، فكلنا محاسبٌ عن نفسه مسؤول عن ذاته فقط، والله يملك هدايتنا وحسابنا جميعًا، فإن أدىٰ المرء ما عليه أمام مولاه، كان أجره علىٰ العمل لا علىٰ نتيجته. يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] فأعمالنا ستعرض عليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ الرسول، وعلىٰ المؤمنين، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة[٣].

---

(١) د. إياد قنيبي، مادة مرئية بعنوان: ابني الضال مشروع حياتي.
https://www.youtube.com/watch?v=PKMvQc-LUeU

(٢) المصدر السابق

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم

أما نتيجة العمل أو ثمرته فلم تذكرها الآية الكريمة، فالمجاهد يثاب بخوضه غمار المعركة لوجه الله انتصر علىٰ العدو أم لم ينتصر، وقد قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الدعاة إلىٰ الله أجراء عند الله أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا عملوا وقبضوا الأجر المعلوم، وليس عليهم أن تتجه الدعوة إلىٰ أي مصير فذلك شأن صاحب الأمر ولا شأن الأجير"[1]. وسبحان الله كم يبعث الاستسلام له من راحة في النفس فهو سبحانه المتحكم بالخلق مالك نواصيهم، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، و﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

ولذا كان رد نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ استسلاماً لإرادة مولاه سبحانه وانقياداً لقضائه لما علم حقيقة الأمر فقال: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]. فيعلم العبد بذلك حده ومنتهىٰ قدرته.

فلله الحمد كم في كتابه الكريم من عبر وفوائد، نسأل الله أن نكون ممن يعيها وينتفع بها. جعلنا الله أن نكون من أهل القرآن العالمين بمعانيه العاملين بما فيه، إنه قريب مجيب، بيده الخير سبحانه رب العالمين.

(١) سيد قطب، معالم في الطريق

وباء العصر..

علينا كمربين أن نعي اليوم أن من أشد أوبئة العصر هو داء اللا اكتراث، داء "I don't care"، مرض "So what" المتفشي، مشكلة "ماذا فيها؟" التي تنتشر كالنار في الهشيم.

وإن كانت تلك كلها نتيجة الكسل البشري الهوائي فإنها تتجاوزه بأميال كثيرة، إلىٰ إطفاء العقل والذهن، إلىٰ ترك النفس ضحية لأول من يحاكي هواها، نحو فقدان كل المعيارية وكل الثوابت، ليكون أي شيءٍ مقبولاً، وأي شيءٍ عاديًا..

هؤلاء الملايين الذين يتابعون المقالب علىٰ تيك توك لم يأتوا بين يوم وليلة، الملايين الذين يشاهدون الساعات تلو الساعات من مقاطع لاعبي الألعاب الالكترونية علىٰ يوتيوب ليسوا صدفة، هؤلاء كارثة حقيقية، ليسوا أغبياء ولا متخلّفين عقليًا، إنهم يعلمون تمامًا أن الذي يفعلونه مضرٌ وسيء لهم، يعلمون أنه تضييعٌ للوقت والجهد، لكنهم يختارون وبكل إرادتهم أن يدعوا نفوسهم لها، يختارون أن يطفئوا فكرهم وعقلهم ويستسلموا للشهوة مبررين فعلهم بـ: "So What"! لأن "it's all okay"! ولأنهم فعليًا لا يبالون بنفوسهم ولا بحياتهم، لا يشعرون بقيمة ذواتهم ولا بمسؤوليتهم ولا يريدون إلا تحصيل المزيد والمزيد من المتعة في الأوقات التي يمكنهم فيها ذلك!

هؤلاء ضحايا فكرٍ مستشرٍ في الإعلام والأغاني يقول لليافع واليافعة ونهايةً لكل إنسانٍ أنه موجودٌ هنا هكذا! يموت ويحيا وما يهلكه إلا الدهر، ليست له قيمة وراء أخذه من الدنيا ولذتها وتحصيله للمال والسمعة الدنيوية، هذا حدّه وآخره، لا يوجد ما يهمه وراء دنياه، ليست لديه رسالة ولا هدف ولا هو مقبل علىٰ جنة ولا نار ولا سؤال عن العمر والصحة والجسد والمال!

ولهذا ينبغي العودة والتأكيد علىٰ أهمية وقيمة كل مسلم، ازرعوها في أذهانكم وفي أذهان الشباب واليافعين، أنت مسؤول، أنت مهم، أنت ذو قيمة وذو قدرة كبيرة علىٰ التأثير، أنت رجلٌ وأنتِ امرأة من أمة الإسلام التي هي الوحيدة القادرة علىٰ تخليص البشر من تعاستهم، أنت ذو قيمة بغضّ النظر عن متابعيك علىٰ وسائل التواصل، أنت مهم وإن لم يكن أحد يعرفك أو يكترث بك من البشر، أنت عبد لله، أنت ابن آدم الذي أسجد الله له ملائكته المكرمين، أنت من أمة محمد ﷺ، لا يليق بك أن تترك نفسك لأول مؤثر سوشال ميديا تجده، لا ينبغي أن تحدد ملابسكِ أيّ فاشنيستا تتابعينها، لا ينبغي أن يمر نصف يومك أو أكثر علىٰ ألعاب الفيديو التي صنعها لك من لا يخاف الله فيك ومن يريد تضييع أيامك بشيء من مالك، العمر يمر وأنت لم تتعلم بعد، لم تجد غايتك بعد، ليس لك هدف، وإذا كان لك فإنك لم تعمل بعد علىٰ الهدف الذي تقول أنه هدفك، عمرك هو كل ثروتك وأنت تنفقها علىٰ ما تعلم أنه تفاهة محضة فقط..

أنقذوا أبناءكم من سيل التفاهة، علموهم قيمة نفوسهم ومسؤوليتهم، املؤوا يومهم بما ينفعهم وكونوا قدوة لهم في حملكم للمسؤولية وتحميلها لهم[1]، واعلموا أن هذه المعاني تلمس "رصيد الفطرة" فيهم (كما يسميه سيّد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، فيجذبهم أن يسمعوا عن هدف وجودهم وقيمتهم في الحياة وإن كان ببضع كلماتٍ قليلةٍ كأنّ الموضوع يضرب علىٰ وترٍ حساسٍ في فطرتهم، طالما أنّ كلماتنا صادقة تشعرهم بأننا نهتمّ بهم ونريد الخير لهم وبأنهم لم يخلقوا عبثاً[2]..

---

(١) لا يعني الأمر أن يكون المرح واللعب ممنوعاً، ولا يعني ألا يرفه اليافعون عن نفوسهم. بل الترويح له مكانه وقد يؤجر عليه المسلم إن كانت النية سليمة وخياراته صحيحة ولا يتجاوز حده في اليوم، ولذا ينبغي فيه أن نوجّه ونصوّب ونعطي الخيارات التي ترضي الله عنا وفي الوقت المناسب لها.

(٢) كان هذا مما لمسته بفضل الله في اليافعين في المدرسة الإسلامية المحلّيّة بعد سلسلة محاضراتٍ قدّمتُها لهم عن أهمية المسلم، ومشكلة العبثية، والهدف من الخلق، وسنّة الابتلاء وغيرها، ورأيت فيهم بحمد الله تأثّراً طيباً وتفاعلاً كبيراً مع الجلسات رغم أنّها احتوت بعض ما ظننته سيضايقهم كالتحذير من وسائل التواصل وألعاب الفيديو والأفلام...

حسناتٌ جاريات أم آثام جاريات؟

قبل مدة كنت أمسك كتاب مختصر منهاج القاصدين أمام ابني ذي الست سنوات، فسألني عن هذا الذي أقرأ..

أخبرته بأنه كتابٌ أحبّه يعلّمني أن أعبد الله بشكل أفضل وأعرف نفسي أكثر..

= أتعرفين الذي كتبه؟

- لم أره، هو عالمٌ توفّي منذ أكثر من مئة عام..

بعد قليل قلت: تخيل أنني أنا أو أنت أو أي شخص في العالم كلما أمسكنا هذا الكتاب وقرأناه واستفدنا بأي شيء منه سيأتي لهذا الكاتب الذي مات منذ زمن طويل كثيرٌ من الحسنات في قبره!

صمت قليلاً وجعل يفكر..

= يعني وهو ميتٌ يأتيه حسنات!

- نعم.. أتَعْلَم شيئًا؟ كثيراً ما أدعو أن يرزقني الله أن أعمل أي شيء يستمر بأن يأتيني بالحسنات بعد موتي، سبحان الله، كم هو كريم سبحانه!

الفكرة بقيت مع ابني لأيام، وهو يفكر في كيف يعمل ما يأتيه بالأجر بعد وفاته، ويسألني عنه، وما أجملها من فكرة فعلاً..

والآن حين أرىٰ الناس يعلّقون علىٰ المسلسلات أو الأفلام ويناقشون فكرةً من هذا وأخرىٰ من ذاك أجدني أتأمل..

ما أشد غبن هؤلاء الممثلين والكتاب والمخرجين، ما أقل ما ربحوه مقابل عملهم هذا وما أعظم الذي خسروه..

يصنعون أنهاراً وسيولاً من الآثام الجارية التي قد تبقىٰ تدرّ عليهم الوبال ولو بعد أجيال من وفاتهم وهم يحسبون أنهم "فنانون" أو مبدعون أو متحررون! يظنون أنفسهم ربحوا تجارتهم حين تنتشر أسماؤهم وتزيد شهرتهم وتزيد أرصدتهم، وموازينهم التي ستسوؤهم تمتلئ وتستمر بالامتلاء طوال عمرهم وبعد وفاتهم..

سبحان الله، وشتان بين عالمٍ اجتهد ليبدأ الحسنات الجاريات في حياته وبين من يجعل شغله بدء السيئات الجاريات لنفسه..

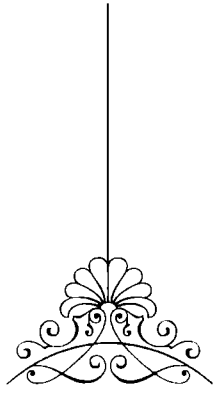

وختاماً..

أدعو الله سبحانه أن تكوني أختي قد وجدتِ في باقة الرسائل التي مضت بعض الأنس والعون والتثبيت،

أبقيها عندك وعودي إليها كلما تعبتِ أو راودتكِ وساوس شياطين الإنس والجن عن رحلتك،

أدعو الله أن تكون خاطبتكِ واقتربت منكِ وأشعرتكِ بقيمتكِ..

وههنا أختم برسالتين وردتاني بعد نشر بعض من المقالات التي سبقت..

من الرسائل التي وردتني (مع إعادة الصياغة)..

"بصراحة كلامك عن العمل صحيح.. أنا درست فرعاً جامعياً لا أحبه لأجل البرستيج الاجتماعي، والآن والحمد لله زوجي قادر علىٰ كفايتنا مالياً، أولادي حولي وأنا سعيدة بتربيتهم.. لكن المجتمع الذي عاش علىٰ هذه الخدع لا يرحمني!

كلما قلتُ لأحد أني لا أعمل خارج البيت سمعت كلمات مثل: "يا حرام[1]!" "حوينتك[2]، كنتِ ذكيّة!" "يعني ماذا تفعلين طوال اليوم؟"، "لكنكِ تعبتِ جداً لأجل تلك الشهادة!"، "لا، الحقيقة لا يصح ألا تعملي! واحدة مثلك وتبقىٰ هكذا!"

أنا سعيدة ومرتاحة، لكنني صرت أتحاشىٰ الحديث عن نفسي أمام من ألتقيهم لأول مرة لشدة شعوري بالدونية والنقص أمامهم، كأنني يعني مستوًىٰ آخر عنهم، فردٌ ناقص، وأنا أرىٰ زوجات أصدقاء زوجي العاملات ممن هنّ في ذات وضعنا المالي، يعملن ويرهقن ركضاً بين الحضانات والوظيفة والبيت، ولا تقول أيٌّ منهنّ أنها مطمئنة لجدولها اليومي!"

(انتهىٰ من رسالة الأخت)

وهذا هو تماماً ما أتحدث عنه..

المرأة اليوم صارت تظن هذا النمط هو واجبها، هو الطبيعي الذي يُستغرب ممن لا يُوافقه (مع أنها غير مرتاحة فيه!)، وهو كسرطان ينتشر بقوة أكبر وأكثر وضوحاً جيلاً بعد جيل، كان منتشراً كثيراً من فتيات قبل عقود طويلة قول أنهنّ يردن أن يكنّ أمهات حين يكبرن، لكنّ هذا الحلم صار قليلاً بين فتيات اليوم..

---

(١) كلمة تطلق في اللهجة الشامية بمعنىٰ يا مسكين، ولا يقصد بها المحرّم شرعاً في هذه السياقات.

(٢) كلمة باللهجة الشاميّة يقصد منها التحسّر علىٰ ضياع ما هو قيّم، هنا يقصد بها التحسّر علىٰ أن الفتاة "أضاعت" نفسها.

قليلٌ من الطفلات اليوم يجبن سؤال: " ماذا تريدين أن تكوني إذا كبرتِ؟" (مع التحفظ علىٰ السؤال) بقول: أريد أن أكون أمًا يحيط أولادها بها، أو أريد أن أشبه جدتي التي تصنع أطيب الطعام وأجمل قطع الصوف، أو أريد أن أكون أمًا تحفّظ أولادها كتاب الله وتعلمهم العربية الفصيحة مثل أمي، وهذا نتاج التربية والرسائل المكثفة التي يبدأ إرسالها للفتيات منذ سنٍّ صغيرة بلا شك..

فالبيت -عند كثيرين- كله لم يعد ذا قيمة، البعض لم يعد يكترث بالأسرة ولا يرىٰ مركزيتها ولا يذكر أثرها العظيم علىٰ نفسه، وبالتالي صاروا يرون التقديم لها رديف قلة الإنتاج أو كون المرء" عاطلاً عن العمل"، وهذا من نظرتنا نساءً ورجالاً ومن مدخلات الإعلام والسوق والمدرسة..

لكننا نسمع كثيراً من البنات ونفرح بهن إن قلن: أريد أن أكون رائدة فضاء، أريد أن أكون مذيعة أخبار مشهورة، أو وزيرة أو رئيسة، وهذا نصفق له ونحن لا نعلم علىٰ أي طريق نمشي، كيف تنحدر الأمم ويضيع الأطفال حين نغرس في النساء (والرجال) أن الواجب هو خروج جميع أهل البيت للعمل أو المدرسة أو الحضانة كل صباح والعودة قريب غروب الشمس لوجبة مستعجلة وارتماء مرهق علىٰ السرير..

ماذا عن المتعبين الذين لا يجدون من يسمعهم؟ عن الأطفال الذين يكبرون دون ذكريات ولا حضن يضمهم؟ ماذا عن الأجيال التي تربيها المدارس العلمانية دون أي وعي منا؟ عن أدلجتهم جميعًا علىٰ قيم الأمم المتحدة الخالية من الدين والمعادية للفطرة والأخلاق؟ عن الانغماس المستمر في النظام الرأسمالي المستعبد للبشر؟ ماذا عن الأعمار التي تمضي سنة وراء سنة دون قدرة علىٰ صلاة ترضي الله ولا جلسة مع النفس ولا لحظة تفكّر في سبب الوجود وغايته؟

هذه هي الحياة التي صارت حلمًا للملايين، هي التي يسمونها الحرية والكرامة

ومساواة الفرص والقوة والتمكين.. لكنها في حقيقتها معيشة ضنك، استهلاك للنفس من أجل استهلاك المادة من أجل تسيير الشركات من أجل تحريك الاقتصاد.. والعناوين البراقة تأتي مع كل ذلك بالمجان!

ولهذا كله نحتاج مرةً أخرىٰ للعمل علىٰ نفوسنا، للتوقف معها، سؤالها عن أولوياتها وغايتها، هناك من تعمل لأنها تحتاج للعمل، هناك من تعيل أسرتها، هناك من تضحي براحتها وتجاهد بنفسها لأجل لقمة عيشها، وجزاها الله خيراً وأعانها، لكننا بكل حال نحتاج الوعي بما نغرسه في نفوس أطفالنا، للهدف وللمقبول وللمرفوض وللمعيار وللأصل وللاستثناء وللحلول، بما نضيع عمرنا فيه، وفيما نبيع حياتنا في سبيله..

والله المستعان في كل حين..

رسالةٌ وردتني من صديقة وأخت حبيبة
وأردت مشاركتها تحدثاً بنعمة الله وفضله..

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حبيبتي

كنت في جلسة مع نساءٍ لا أعرفهن من قبل، وكعادة النساء في هذا الزمن يعرّفون أنفسهن ويتعارفن بما هي شهادتك و هل تعملين أم تجلسين في البيت، و يقيِّمون بعضهن بناءً علىٰ ذلك إلا من رحم ربي،

فبعد أن عرَّفت نفسي وجاء الحديث عن كوني أعمل أم لا، قلت أنني متفرغة لبيتي وأولادي لأني أرىٰ أن أولادي يحتاجون اهتماماً و تركيزاً في مناحي مختلفة ووجدتني أقول أنا مستمتعة بذلك و راضية and I don't feel bad at all. الحمد لله.

ما دفعني لهذا هو أنني لأول مرة في موقف مثل هذا لا أشعر بالنقص أمام السيدات اللواتي يعملن في وظائف مختلفة وأول مرة أرىٰ نفسي معتزة باختياري وأول مرة أرىٰ نفسي متأملة لأحوالهنّ ولحال الفكر المنحرف و المغلوط المسيطر علىٰ كثير من نساء هذا الزمان[1]..

و لا أنكر أني بالرغم من عدم كوني نِسْويَّة، و لكن مع الوقت اكتشفت أن فكري و مشاعري قد أصابها قدر من التلوث من هذه الأفكار التي تعرضت لها بشكل غير مباشر في طور التربية وفي سياق الثقافة المجتمعية و الإعلام، و أحسب أني تطهرت من هذه الأفكار النجسة إلىٰ حد كبير و الفضل يرجع إلىٰ الله تبارك و تعالىٰ ثم إلىٰ قراءات و محاضرات مختلفة دلني عليها أهل العلم و الخير ممن لهم علي فضل

(١) إضافة: صديقتي صاحبة الرسالة طبيبة وذات علم في مجالها وحاصلة علىٰ درجة الماجستير بعدها من دولة غربية فهي تتكلم عن قدرة وتفتخر بكونها ربة بيتها المتفرغة مع ذلك كله.

و أنتِ يا حبيبتي و كتاباتك كانت من المشاركين في توجيهي للطريق القويم و إزالة ضبابيات الأفكار النِسْويَّة عن تفكيري و اعتقاداتي و مساري في الحياة..

فقط أحببت أن أشاركك هذه الخواطر من باب إرجاع الفضل لأهله و أحببت أن أقول لك جزاكِ الله خيراً.."

(انتهىٰ من كلام صاحبة الرسالة بتصرّف يسير جداً)

وأقول..

الحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله..

خرافات النجاح والفشل وتحقيق الذات والعمل والبطالة باتت وبكلّ وضوح مصدراً لتعاسة وشقاء كثير جداً من النساء (والرجال) في زماننا، ولله الحمد أن عرّفنا شيوخَنا وأساتذتنا وأصحاب الفضل علينا وبصّرنا قليلاً بنفوسنا وأنطقنا بشيء من الخير لننفع نفوسنا وأخواتنا..

والبركة والخير الذي أحسب كثيراتٍ يجدنه أو سيجدنه حين يتحررن من تلك المنظومات هو مما لا أظن الكلمات تتسع لوصفه، ليس فقط من باب "من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه"، لكن أيضًا من الحياة الطيبة التي وعد الله بها عباده سبحانه..

ولله الحمد..

مكتبة
t.me/soramnqraa

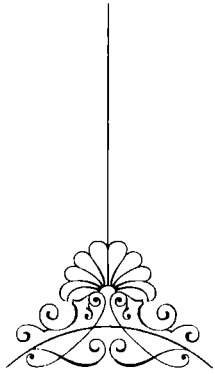

عن الكاتبة

ابنةٌ وأختٌ وزوجة وأم لثلاثة أبناء، مطمئنة سعيدة معتزة بدينها، درست الصيدلة لعامَين في الجامعة العربية الدولية في سوريا والشريعة الإسلامية لعامٍ واحد في كلّية الشريعة في جامعة دمشق ولم تتم كليهما لظروف السفر لأمريكا بعد الزواج، ثمّ حصلت علىٰ شهادة البكالوريوس في التغذية والحميات من جامعة لاسال في بنسلفانيا- الولايات المتحدة الأمريكية حيث تخرّجت حاصلةً علىٰ الجائزة الأكاديمية للبرنامج.

أنهت الماجستير في التغذية الطبية العلاجية من جامعة سانت لويس في ميزوري- الولايات المتحدة الأمريكية مع تركيز علىٰ تغذية الأطفال والرضّع، وهي حافظةٌ للقرآن الكريم وتطلب العلم الشرعي، خريجة عدد من الدورات الشرعية والتربوية والفكرية، وتدرس حالياً في دبلوم المربي الواعي في الجامعة الأردنية.

تبحث وتكتب في نقد الحداثة وما بعدها والتغريب وقضايا المرأة المسلمة، وفي تعزيز اليقين ورد الشبهات، وقد قدمت مواداً في فقه التفكير والعقل انطلاقاً من الوحي، وكذلك في الأنوثة والشبهات النِسْويَّة وما يتعلق بها.

المحتويات

إهـــــداء	٣
تقديم الأستاذ الدكتور إياد قنيبي	٤
المقدمة: هناك بدأت القصة..	٦
تصويب مفاهيم خاطئة (مجتمعية / حداثية / نِسْويَّة)	١٤
هل أصبحتِ المرأة أسعد بالفعل؟	١٥
لسنا في الجنة!	١٨
هل النِسْويَّة = حماية المرأة / الدفاع عن حقوقها؟	٢٠
كيف كانت النساء قبل النسوية؟	٣٣
هل النِسْويَّة نصيرة المرأة بالفعل كما يقولون؟	٣٨
النِسْويَّة وكذبة الحريّة..	٤١
من شرور النِسْويَّة: تبخيس العمل "التقليدي" للمرأة لمجرد كونه تقليدياً..	٤٤
النِسْويَّة "الإسلامية"! التناقض الدارج!	٤٦
النسويات الاسلاميات والدين الجديد الذي يُصنع..	٤٩
هل كانت أم المؤمنين خديجة سيدة أعمال نِسْويَّة؟	٥١
من سؤال: "ماذا قدم الإسلام لي؟" إلى سؤال: "ماذا يمكنني أن أقدم للإسلام؟"	٥٦
لا يشترط أن تعلمي أنك متأثرة بالنِسْويَّة لتكوني كذلك!	٥٨
هل الحديث عن النِسْويَّة موجه للنساء فقط؟	٦١
النِسْويَّة ومعاداة الأسرة.. من المسببات إلى الواقع...	٦٣
طموحةٌ أم ربّة بيت؟ تحبّ نفسها أم أسرتها؟	٧٠
خطابان مفسدان ينبغي تمييزهما والحذر منهما..	٧٣
عن تناقض الغربيين.. بين علمهم وواقعهم..	٧٦
كم هي خدعة لئيمة!	٧٩
عن الرجولة المشوهة التي تُصَدَّر..	٨١
ما الذي تمضي إليه المجتمعات؟	٨٥

كيف نرد على جماعة "جسدي ملكي" وما أشبه ذلك من جنون؟!	٨٨
عن مفهوم الـ"Bad Girl": عندما يغدو السيء جميلاً..	٩١
أنوثتكِ غالية	**٩٥**
لأنكِ أنثى..	٩٦
كيف تكونين أنثى قوية؟ وما القوة التي تحتاجها المسلمة؟	٩٨
بين تهمة النِسْويَّة ومخاوف الالتزام.. أين تذهب الفتاة المسلمة؟	١٠٤
صديقتي التي تمسك هاتفها وتتجول بإصبعها عبر الانستغرام.. تعالي نتكلم لدقائق..	١١٠
بؤس الأنوثة المشوّهة في نظرةٍ سريعة..	١١٣
غض البصر وتذكرة لنفوسنا..	١١٥
كلمةٌ لأخواتي طالبات العلم..	١١٧
فهم الضعف الأنثوي.. الفطر في رمضان مثالاً..	١٢٠
تأخّر الزواج وبضع نصائح وهمسات..	١٢٥
هل هناك ما يمكن للفتاة التي تأخر زواجها القيام به أخذاً بأسباب الزواج في عالمنا؟	١٢٩
نقطة توازنٍ مهمّة عند الحديث عن تأخر الزواج..	١٣٢
كلماتٌ إلى أخواتي المخطوبات والمتزوجات حديثاً..	١٣٤
وقتكِ كنزك!	١٣٧
تقول: من أنا لأنصح غيري!	١٣٩
عن القنوات والمواد "العامة" المخصصة للشؤون الأنثوية الخاصة..	١٤١
عن المطبخ وجمال وقته..	١٤٤
أمومةٌ وأمّهات	**١٤٦**
"يعني أنتِ طبيبة لا أكثر؟"	١٤٧
لا تستهيني بنفسك..	١٤٩
لا نريدك شمعة تحترق لتضيء للآخرين!	١٥١
كان يوماً عادياً..	١٥٧
بين عربتين..	١٦٠
الأمومة وأزمة الشعور بالإنجاز..	١٦١
من الإنجاز نحو السعي!	١٦٦

"لا أصدق كيف تستطيع فعل كل ذلك!" ١٦٩
"أمورٌ كثيرة تغيرت حين صرت أماً.." ١٧١
ضمّي أطفالك.. ١٧٤
شكوى أم.. ١٧٧
الأمومة صعبة.. لماذا أختارها وأعيدها؟ ١٨٠
وهناً على وهن.. ١٨٤
لحظاتٌ تأملت فيها أطفالي وسبّحتُ ربّي.. ١٨٦
هل أتحول إلى أم سيئة؟ ١٨٨
الأمومة لا تكفي فيها الأم! ١٩٢
على طريق التربية ١٩٥
كيف تتجنّب أن تربي ابناً علمانيّاً؟ ١٩٦
نصيحةٌ مُعِينة.. ١٩٩
هل تربّي / تربّين ابنةً نِسْويَّة دون أن تدري؟ ٢٠٠
مشكلة عدم استشعار النعم.. ٢٠٣
كيف نصل لاستشعار النعم وتقديرها؟ ٢٠٥
يا بني اركب معنا.. أب نبي وابن كافر.. ٢٠٨
وباء العصر.. ٢١٤
حسناتٌ جاريات أم آثام جاريات؟ ٢١٦
وختامًا.. ٢١٨
من الرسائل التي وردتني (مع إعادة الصياغة).. ٢١٩
رسالةٌ وردتني من صديقة وأخت حبيبة وأردت مشاركتها تحدثاً بنعمة الله وفضله.. ٢٢٢
عن الكاتبة ٢٢٤

مكتبة
t.me/soramnqraa

رسائل في الأمومة والأنوثة والحياة

كلماتٌ وهمساتٌ تكلّم الفطرة التي لا تموت،
وتدافع بها كلّ من يحاربها أيّاً كان ومهما كان..
مقالاتٌ كتبتها على مرّ أربع سنوات،
كنت كثيراً ما أكلّم فيها نفسي قبل غيري،
ومن ثم أردتها نبراساً ورسائل واقعية وحقيقيّة لكلّ أنثى تصلها،
لتقويّها، ولتؤنسها ولتقول لها أنها ليست وحدها،
لتقول لها أن هذا الذي تمرّ به من امتلائها بأحلامٍ ليست أحلامها
وسعيها لتحقيق طموحاتٍ بعيدةٍ عن غايات وجودها ليس عادياً،
أنّ الخروج من الدّوّامة ممكن والعودة للطمأنينة ممكنة،
وأن الله سبحانه وتعالى يراها ويسمع دعاءها ويعلم نيّتها،
أنها ليست بحاجة للاستمرار بإثبات نفسها للمعايير المرفوضة،
وأن الإجابات فعلاً أقرب إليها مما تظن..
والحمدلله على لطفه وكرمه وعطاياه،

أسأله أن يبارك في هذا العمل ويتقبله ويجعل أجره مستمراً إلى يوم القيامة..
ولله الفضل والمنة وله سبحانه الثناء الحسن..

telegram @soramnqraa